الإسلام

ودعائم اليقظة الإسلامية



تأليف

سعيد الأعظمي الندوي

الناشر

مكتبة الفردوس ، لكناؤ (الهند)

الإسلام

ودعائم اليقظة الإسلامية

تأليف

سعيد الأعظمي الندوي

الناشر

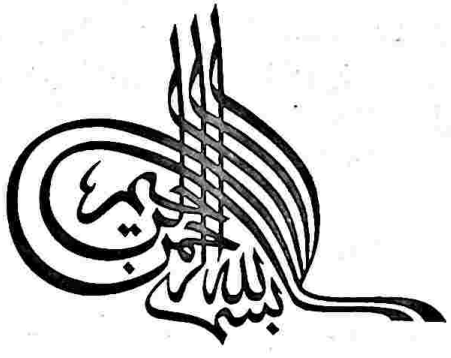
مكتبة الفردوس، لكناؤ (الهند)

حقوق الطبع محفوظة للناشر
لكناؤ (الهند)

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

اسم الكتاب: الإسلام ودعائم اليقظة الإسلامية
اسم المؤلف: سعيد الأعظمي الندوي
عدد الصفحات: ١٩٢
العدد: ١٠٠٠
سعر النسخة: ١٥٠
الناشر: مكتبة الفردوس، لكناؤ (الهند)
٠٠٩١٩٨٣٩٢١٤٥٧٢

اهتم بالطبع
محمد عبد الله المخدومي الندوي



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وإمام المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلم يكن وجود هذه الكائنات الواسعة من خلق الله سبحانه، إلا لكي يتمتع فيها الإنسان أفضل الخلق، بالنعم السماوية التي تدعم الأفضلية الموهوبة له ممن خلقه، وألبسه لباس الإنسانية بكامل معناها، فلا يتناسى في أي حال، هذه النعمة العظيمة التي لا تعادلها نعمة في هذا الكون، وذلك هو المؤمن الكامل الذي يذكر ربه في كل حال، ومن غير توقف أو غفلة، فيستمر ذكره في كل عمل، ولدى أي نشاط، يذكره في السراء والضراء، ويتصل به في كل حال من المحن والرخاء، لذلك فإن الله سبحانه حين تحدّث عن خلق هذا الجنس، من الجن والإنس، ذكرهما بصيغة الحصر، وقال: (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ. مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ)، كأن هذا العالم البشري ليس إلا قاعة امتحان بصورة مستمرة، وليس وجود الجنس البشري فيها إلا كطلاب علم، يشتغلون بحل الأسئلة، التي تحوي جميع القضايا والمشكلات التي تحيط بالحياة، بجميع أجزائها وأنواعها، دقيقها وجليلها، وصلتها بالأرض والسماء كلتيهما.

ولكن بالرغم من ذلك قد عهد إبليس بإغرائهم والحيد بهم عن طريق الحق إلى الضلال، ومن طبيعة الطاعة إلى العصيان، وقد وجّه الله سبحانه تساؤلاً إلى الإنسان، وخاطبه بما منّ عليه من الخلق المستقيم، وأكرمه بالعقل والفهم الرشيد، والشعور بالحسن والقبح، خاطبه قائلاً: (يا أَيُّهَا ٱلإِنسَانُ! مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ. ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ. كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ. وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَاماً كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ). فليس للإنسان رغم أفضليته أن يعيش في هذه القاعة الامتحانية، كيفما شاء، وأن يردّ على الأسئلة التي تتضمن إنسانيته وتشمل العلة التي خُلق من أجلها، وأكرم بنعم التميز الإنساني في هذه الدنيا، التي لا تعادل جناح بعوضة عند الله تعالى، ليس له أن يرد على الأسئلة الامتحانية بصرف النظر عن كل هذه التميزات، التي لم يحظ بها أي خلق آخر،

سوى هذا الإنسان، وإن الله سبحانه يسائل الجنس البشري، فيقول: (أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى ٱلأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَىٰ ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ)، ومع هذه التساؤلات فإنه سبحانه يأمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ويقول له: (قُلْ يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَاْ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. فَٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ).

ومن هنا لا يشكل علينا أن ندرك حقيقة أفضلية الإنسان في هذا الكون، ولا يخفى أن نعرف سر وجوده في هذا الكون الذي لا يساوي جناح بعوضة عند الله تعالى، وهو في استغناء كامل عن وجود هذا الجنس البشري، ومع كل هذه الحقائق التي عرفها أهل العقل والشعور يجب أن ينتهز الإنسان ولا سيما المسلم كل لمحة من حياته، في معرفة الخالق العظيم، ولا يفسح الطريق لأي غفلة، تؤذن بكون الغافل أضل من الأنعام، وهل هناك شخص مهما كان، يسمح لنفسه بالنزول إلى أسفل من هذه الهوّة السحيقة، ويرضى بأن يدعى بأضل من الأنعام.

هذا أول غيض من ذلك الفيض الكثير الكبير الذي يحويه تاريخ الإنسان، منذ وجوده، أما الإنسان اليوم في هذا العصر المتغير ذي مدنية متسعة فقد تقدم كثيراً بين التطورات الصناعية، والتقنيات المتسعة العلمية، وبلغ به الأمر إلى أن تناسى إنسانيته وشغل بما ليس من شأنه في شئون الإبداعات والاختراعات التي نزلت به إلى اقتراف كل ذنب وجريمة، يأباها الخلق ذات المستوى الرفيع الذي كان عليه إنسان العصر القديم، إنه كان يمثل الإيمان والأمانة في كل عمل، بل في كل لحظة من لحظات الحياة، كان بعيداً عن كل ما يخالف المستوى الإنساني، كان ذا مُثُل عالية، في جميع أوقاته وإنجازاته، فكان نموذجاً صادقاً للإنسان المؤمن الذي وصفه الله سبحانه وتعالى بأحسن تقويم، ثم استثناه من الوقوع في صف أسفل سافلين، وذلك بالتزام الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر: (لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ. إِلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)، كما وصف الله سبحانه عباده المؤمنين بصيغة الحصر، فقال: (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ).

معلوم أن الإنسان هو المحور الوحيد الذي يدور حوله الكائنات، وما خلقها الله سبحانه إلا للإنسان بوجه خاص، وما جعلها الله تعالى دار

امتحان إلا للإنسان الذي فضله على جميع الخلق، نستطيع أن نعرف أن أصحاب العلم والمعرفة ورجال الفكر والدعوة كلهم قاموا بأداء واجبهم نحو توجيه المجتمعات الإنسانية إلى الوجهة الصحيحة المطلوبة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى عن طريق عباده المرسلين، وكان ختم الرسالات السماوية بخاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأصبحت رسالته ودعوته هما المرتكز الأساسي لبناء الإنسان من جميع النواحي، وكل نوع من أنواع المجتمعات البشرية رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، سادة وخَدَمة، وأساتذة وتلاميذ، شعوباً وقبائل، فعادت المسئولية العملية على الجميع، كما قد صرح بذلك رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم راع وهو مسئول عن مال سيده، فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته".

إن هذه المجموعة الكلامية من هذا الكتاب وإن كانت تتوزع بين عناوين مختلفة وأسماء متعددة، لكنها تجتمع على نقطة واحدة، وهي الدعوة إلى الله تعالى والتفكير فيما أنعم الله به علينا من مسئولية النصح والدعوة إلى الخير، فإن الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

من خلال هذه العاطفة النبيلة قام أخونا العزيز الدكتور محمد فرمان الندوي (أستاذ العلوم الإسلامية بدار العلوم لندوة العلماء) بجمع هذه الكلمات على غفلة مني، فاطلعت عليها فجاءة، وقد اختارها من الافتتاحيات لمجلة البعث الإسلامي التي كتبت في ظرف أربع سنوات الأخيرة للمجلة، وقد وزّعها بين أربعة أبواب، في صورة كتاب دعوي بإذن الله تعالى، وإنني إذ أشكر صنيعه الديني الجميل أرجو أن يكون مبعث خير ونصح لنا وللآخرين، بإذن الله تعالى.

(والله ولي التوفيق والسداد)

١٤٤١/٥/١٦هـ
٢٠٢٠/١/١٢م

كتب هذه الكلمة
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة البعث الاسلامي
ندوة العلماء (الهند)

كلمة عن الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن العالم المعاصر يعيش أزمات منوعة، ويتموج باضطرابات متعددة، فيتعرض لها الناس، وخاصة الشباب المسلم الذي يتأرجح بين دواعي الروح والمادة، ويتسكع في متاهات الجهل والعقلانية، وقد شاهد العالم فيه فقدان الثقة بالدين، وقلة الاهتمام بشعائره، وضعف الارتباط مع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فأصيب بزيغ في الفكر، وردة في العقيدة، وخواء في الأخلاق.

كان الصراع بين الحق والباطل قائماً منذ الأزل، وكان الشيطان هو العدو اللدود وألد الخصام، فتربّص بالإنسان الدوائر، وأجلب عليه بخيله ورجله، حتى تفنن الإنسان في المكر والخديعة، فاختار وسيلتين لشن الغارة على الإسلام، وطمس معالمه، وهما الغارة العسكرية والغارة الفكرية، فالإسلام مُحارَب في كلا المجالين منذ زمن طويل، لكن ظلت شمسه طالعةً، وأشعتهاساطعة، بقوله تعالى: وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً (بنو إسرائيل: ٨١).

إن داء الإلحاد الفكري الجديد قد استشرى اليوم، ومرض الردة الفكرية قد تفاقم الآن، فلم يبق مكان إلا وقد دخل فيه، فالشكوك تُغرس، والشبهات تُثار، وبذورالكراهية تُزرع، والثقة بالدين تضعف، بل العلاقة بالإسلام تقطع، ويعتبر الدين سُمّاً ناقعاً، إذا شربه الإنسان مات على عجل، وقد أثر هذا الإلحاد في الشباب فماتت فيه الغيرة الإيمانية، وأثر في النساء فغاب عنهن وسائل البرقع والحجاب، وأثر في الشيوخ فتغلبت عليهم المصالح والمنافع، فليس الإلحاد قضية اليوم والليلة، بل قضية الإيمان والكفر، وقضية البقاء على الإسلام، ونبذ حضارته المثالية.

فإذا كان هذا الفساد قد استولى على كل شيئ فلا بد من تصميم دقيق، وسعي دؤوب مشكور، وقد ذكر الله تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ

أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنْفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: ١٠٩ – ١١٠)، فالآية تشير إلى تقوية الإيمان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على صعيد جماعي، فإذا كانت هذه الشروط مستوفية كان الرد على الإلحاد الفكري الجديد إيجابياً بناءً، يقول العلامة الإمام السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى:

"إن جهاد اليوم، وإن خلافة النبوة، وإن أعظم القربات وأفضل العبادات أن تقاوم هذه الموجة اللادينية ..... وأن تعاد الثقة المفقودة إلى نفوس الشباب وأن يزال القلق الفكري والاضطراب".

فدحراً لهذه الردة ورداً على هذا الإلحاد الفكري الجديد قام العلامة الندوي رحمه الله بثلاث مآثر في الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي، إحداها: تأسيس المجمع الإسلامي العلمي في رحاب ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)، وقد أنشئ هذا المجمع في ١٩٥٩م، وأصدر هذا المجمع حول موضوعات علمية وفكرية كتباً ورسائل يبلغ عددها إلى أكثر من ثلاث مأة، وثانيتها: هيئة التعليم الديني لأترابراديش، أنشئت هذه الهيئة للرد على الأفكار والنزعات الصفراء الهندوسية في الهند، وقد ركزت هذه الهيئة جهودها على إقامة الكتاتيب والمعاهد الدينية، وصاغت أذهاناً سليمة من شوائب الإلحاد الفكري الجديد، وثالثها: إنشاء مجلة البعث الإسلامي عام ١٩٥٥م، في إدارة فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله ومساعدة أستاذنا سعيد الأعظمي الندوي، وصحيفة الرائد ١٩٥٩م، في رئاسة تحرير العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي حفظه الله، وقد قال منشئ مجلة البعث الإسلامي، وهو يسلط الضوء على أهداف المجلة:

"إنها ليست مجلة كبعض المجلات الأدبية تلهو وتلعب بالأدب، وتعبث بالخذف والحصى، وتسبح بحمد أعلام الغرب وتقدس لهم، إنها مجلة ذات دعوة، وذات عقيدة، وذات مبدأ، وذات رسالة".

ولا شك أن هذه المجلة قد قطعت شوطاً كبيراً في إعادة الثقة بالإسلام إلى الشباب المسلم، واستنكرت جميع النظرات الباطلة

والأفكار الزائفة التي تجتاح العالم الإسلامي وتغزو العقول ومراكز العلم والدعوة ، فأعدت جيلاً، "جديداً في إيمانه، جديداً في فكرته، جيلاً أبياً لا يلين لإغراء، ولا يذوب أمام وهج المال وسمو الجاه"، وقد حلم منشئها أن تكون المجلة جامعة، فتكونت جامعة إسلامية في معنى الكلمة، جامعة دينية في المصطلح العام، يديرها الآن أستاذنا الشيخ سعيد الأعظمي الندوي، يتخرج منها الطلاب والطالبات والشباب والشابات والكهول والشيوخ والصغار والكبار، فينالون شهادات واسعة عريضة، ووسامات قيمة تقديرية، وقد تخطت المجلة الحدود والثغور، وعبرت البحار والعصور، فاتسع نطاقها، وعمّ نفعها، وانتشر صيتها، وجدير بأن يقال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

وحياة أستاذنا الدكتور سعيد الأعظمي الندوي حافلة بإنتاجات أدبية، وثروات علمية، وقد جعل اللغة العربية والأدب العربي موضوعاً له منذ ١٩٥٢م، واستفاد من النجوم الثلاثة في العلم والفكر والأدب أمثال المحدث، الأديب، الشاعر الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، وأديب العربية الكبير العلامة محمد تقي الدين الهلالي المراكشي والعلامة المفكر الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، ولا يزال يواصل سيره في هذا المجال، فكتب لمجلة البعث الإسلامي الصادرة من ندوة العلماء، التي هو رئيس تحريرها، في ٦٥/ عاماً، أكثر من ٦٥٠/مقالاً علمياً وأدبياً وفكرياً باللغة العربية، ولصحيفة الرائد النصف الشهرية ١٤٠٠/ كلمة، على أقل تقدير، ما عدا المقالات والبحوث التي كتبها للندوات الأدبية، والمقالات التي دبج يراعه حول وفاة العلماء والفضلاء والمفكرين المسلمين، أضف إلى ذلك تدريسه اللغة العربية، والأدب العربي والنقد الأدبي وعمادة كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء إلى مدة، وخطابته باللغة العربية في جامع ندوة العلماء منذ أكثر من ستين عاماً، وخطابته في حفلات المدارس الإسلامية، وخاصة أمام طلاب دار العلوم لندوة العلماء، وعضويته في مجلس الأمناء لرابطة الأدب الإسلامي العالمية.

فتقديراً لجهوده الأدبية نال جوائز كثيرة أدبية، من بينها جائزة

رئيس جمهورية الهند عام ١٩٩٤م، وهو أديب ضليع وصحافي بارع، ولغوي ماهر، وأستاذ جليل، درّس "شذا العرف في فن الصرف" للشيخ أحمد الحملاوي و"قطر الندى وبل الصدى"، و"شرح شذور الذهب" لابن هشام، ولا يزال يدرّس المعلقات السبع ودلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني و"المفصل في علم العربية" للزمخشري، ودواوين الشعر العربي، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، والصحافة العربية وغيرها.

وتقديراً لجهوده أيضاً في مجال اللغة العربية والأدب العربي والعلوم الإسلامية، فوّضت إليه الجامعة الجشتية بلكناؤ (الهند) عام ٢٠١٩م شهادة الدكتوراة في الآداب (Doctor of Letter)،كما نال سعادته شهادة الدكتوراه في الفلسفة (PhD) حول موضوع: "شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم في ضوء الواقع والقريض" عام ١٩٩٢م من خلال منافشة لجنة الأدباء البارزين.

وشخصية أستاذنا لغنية عن نيل الوسامات والشهادات، وهو لا يزال يقوم بخدمة العلوم الإسلامية والأدبية منذ مدة طويلة في جامعة ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)، فحياته نموذج عال للجهد والعمل، وقد كُتبت رسائل جامعية وأطروحات علمية للماجستير والدكتوراة وما قبل الدكتوراة لكثير من الأدباء والكتاب بالعربية ، وكان من بينها: سعيد الأعظمي الندوي ودوره في ترويج اللغة العربية والأدب العربي أعدها كاتب هذه السطور. ندعو الله سبحانه وتعالى أن يبارك في عمره ويطيل بقاءه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: خير الناس من طال عمره وحسن عمله (رواه الترمذي).

أما هذا الكتاب الذي هو بين أيدينا فهو يتحدث عن الإسلام ودعائم اليقظة الإسلامية، ذلك لأن الدين عند الله الإسلام، وهو يتغلب على العالم كله إما بعز عزيز أو ذل ذليل، ففطرة الإنسان وطبيعة الدين الحنيف واحدة، وهي تنسجم تماماً مع غرائز الإنسان الطبيعية، فلا تكاد تنفك عنها، لكن لا بد من بذل جهود مضنية وإفراغ طاقة مكثفة على مستويات مختلفة لشرح تعاليمه وبيان متطلباته، وهذا الكتاب يستوفي بهذه الحاجة الأكيدة، ففيه بيان ذكر مكانة الإنسان ومنصب خلافته، ثم جناية المدنية على الإنسان والإنسانية، ومن ثم غارات وهجوم

على الإسلام من أولياء الشيطان، وتهديدات للعودة بالعالم الإسلامي إلى عصر الحجارة، وهدم الكعبة.

وقد قارن المؤلف (حفظه الله تعالى) بين المسلمين في الأمس واليوم، فإن السلف الصالح قد استماتوا في سبيل الحفاظ على الدين، لكن لم يرضوا بأدنى ضيم ودنيئة في هذا المجال، واختاروا لذلك أدوات ووسائل مع الثقة الكاملة بالله تعالى، ولم يدخروا وسعاً في الإعداد المادي مع شحن بطاريتهم بزاد الإيمان الراسخ المتغلغل في أحشاء القلوب والنفوس، وكان قول الله تعالى على ذُكر وذِكر منهم: هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ (الصف: ٩). وقال صلى الله عليه وسلم: بشّر هذه الأمة بالسناء والرفعة والتمكين في الأرض .... (رواه أحمد وابن حبان).

فهذا الكتاب يدعم هذه البشارات ويقويها، ويملأ قلب القراء الكرام بإذن الله تعالى حماسة وقوة في جانب، وفي جانب آخر إيماناً ويقيناً، ويستنهض الهمم الفاترة، ويشحذ العزائم الخامدة، ويعلن بكل صراحة: أن مصدر كل خير هو شجرة إيمانية لا شرقية ولا غربية، وأن أمة الكلمة بحاجة إلى وحدة الكلمة، ويبشر المسلمين بنعمة الكمال والخلود، ويعلن كذلك أن الغرب قد أفلس في تحقيق السعادة للإنسانية جمعاء، فليس عنده رصيد من الثوابت الإيمانية، يهتف بالنعرات المعسولة، والكلمات الحلوة، لكنها تخلو من روحها وجوهرها، وقد قيل: "ليس كل بيضاء شحمة".

فدعائم اليقظة الإسلامية هي الأسس التي قام عليها الإسلام، فكلما كان الأساس متقناً وقوياً كان البناء ثابت الأركان ومستحكم البنيان، فتحدث الكتاب ضمن هذه الدعائم عن شهر محرم الحرام قبل الإسلام وبعده، وهو رمز للجهد والجهاد، وتاريخ مشرق للنعم الإلهية التي أنعم الله بها على الإنسانية من الأنبياء وأممهم، ثم تناول ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً، وشرح هذا الموضوع بعنوان: أزهار الربيع كيف ينبغي أن نجنيها؟ والدعامة الثالثة هي الجو الإيماني الذي يعرف بمدرسة الصيام، وختم الصيام، فعَنوَن له المؤلف الكريم: دعوني أتعلم في مدرسة الصيام،

هذا الباب بالتمسك الإبراهيمية على صاحبها ألف ألف تحية وسلام. قال تعالى: مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ.

وعلى كل ، فقد اشتمل الكتاب على أربعة أبواب:

الباب الأول: نواميس الكون وبناء الإنسان

الباب الثاني: غارات شعواء على الإسلام وحضارته البناءة

الباب الثالث: الإسلام هو الحل الوحيد للخروج من الأزمات

الباب الرابع: دعائم اليقظة الإسلامية

ندعو الله سبحانه وتعالى أن يبارك في عمر المؤلف (حفظه الله تعالى) ويصونه من كل سوء، حتى يتحفنا بأمثال هذه التحف الإيمانية.

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٤/١١/ ١٤٤١هـ
٢٠٢٠/٠٦/٢٧م

كتبها

محمد فرمان الندوي

مدير تحرير مجلة البعث الإسلامي

ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

الباب الأول

نواميس الكون وبناء الإنسان



الإنسان ونواميس الكون![*]

من نواميس هذا الكون التغييرات التي تلاحق كل شيئ مما خلقه الله سبحانه في الكائنات من آيات وآثار ومن أرواح وأجسام، يشاهدها كلٌ من ذوي البصر والبصيرة من الناس ممن يفكرون فيها، ولكن هناك نوعاً من الناس لا يعرف أكثر من أنه إنسان يأكل ويشرب وينام ويستيقظ، وينطق بلسان، ويلبس لباساً يستر عورته أمام الناس، ولعله لا يدرك أكثر من ذلك شيئاً، أما الغاية من خلقه في صورة إنسان فلعله لا يفكر فيها، ويعيش في الدنيا ككائن متميز فحسب، وله الحق في أن يتمتع بما خلقه الله تعالى في هذه الأرض من متع ولذات.

ولعل هذا النوع من الناس، وإن كان منهم من تعلم وتثقف، ومن بلغ إلى أعلى درجة من العلم والثقافة الظاهرة ولكنه قلما يتأمل في صانع هذا الكون وما حقه عليه، وكيف يعرفه، وما هي تميزاته الواسعة اللامحدودة التي يعجز عن إدراك أقل شيئ منها بل أقل ذرة منها، عقل العالم البشري بكامله، إنه يعيش في أحلام لذيذة ويبني قصور عظمته في الهواء ليس غير، ويقضي أيام سعادة متخيلة ثم يغادرها من غير رجعة، هذا النوع من الناس له جولة وصولة في أجزاء من الأرض مختلفة وهو مستمر في سياسته الزائفة وفي أعماله ونشاطاته الصناعية والعلمية باستكبار، وعلو شأن، ويعتبر نفسه من سوابق المجتمعات البشرية وروادها نحو الازدهار والرقي مما ليس له نظير في غابر الأزمان، وقد بلغ بالعلم والصناعة إلى آخر ذروة من الكمال!

ولكن هذا النوع "المسكين" لا يأتي في عداد ممن دعاهم الله سبحانه بأولي الألباب وأثنى عليهم وأشاد بمكانتهم في هذا الكون، لأنهم يستخدمون قوى العقل والفكر في التأمل في آيات الله العظيمة الكبرى، فقال تعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلاَفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ. ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا

[*] مجلة البعث الإسلامي، عدد سبتمبر ٢٠١٩م.

عَذَابَ النَّارِ)، جاء في الحديث الصحيح الذي روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "لما نزلت هذه الآية على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يصلي، فأتاه بلال يؤذنه بالصلاة، فرآه يبكي، فقال: يا رسول الله! أتبكي وقد غفر الله تعالى لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً ولقد أُنزل عليّ الليلة آية: (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلاَفِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ)، ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها".

إن هذه الآية وما والاها من آيات تغطي حيزاً كبيراً لأولي العلم والألباب، وما يتميزون به من صفات ودلائل تجعلهم دائمي التفكير في الآيات الكونية وصانعها العظيم والخضوع أمام قدرته الواسعة الدائمة التي أكرم الإنسان وكل كائن من العالم البشري بالذكر والتأمل فيها، ثم الانتفاع بصناعة ذلك الصانع العظيم مع التعمق في كل ناحية من الخلق والأمر، ودراسة كل زاوية من آيات الله تعالى في السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، وبذلك وحده يتمكن المرء من الحصول على سعادة الحياة في هذه الدنيا، والاستحقاق بالجوائز العالية من الجنات والنعيم في آخرته التي يواجهها بعد الموت، وفي الحشر بعد النشر، وسوف لا يُترك أي كائن من الجن والإنس إلا ويتعرض ليوم الحساب.

ومع هذه الحقيقة السماوية وهذه العقيدة الإيمانية الثابتة الخالدة، يتوافر في العالم البشري منذ أول يومه نوع من البشر لا يخضع لها ولا يتعب في التوصل إلى عمقها وإسعاد الحياة في ضوئها، بل الواقع أنه يتمرد إزاء التأمل فيها ويعتبر أن إرهاق الفكر واستعمال العقل في مثل هذه الأمور الغيبية ليس إلا تعكير صفو الحياة، والحيلولة في سيرها الطبيعي، ولقد عبّر كتاب الله تعالى عن هذه الفئة من الناس بأسلوبه المعجز البليغ، اقرأوا معي الآيات التالية التي قال الله تعالى فيها: "(لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَئِكَ كَٱلأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ)، لم يكتف الله سبحانه بتشبيههم بالأنعام فقط بل أضل من الأنعام، بل وأقل درجة من الأنعام في ضلالهم، وأحط درجة من الأنعام الضالة وأسفل درجة منها وهي الغفلة!

وما أدراك ما الغفلة والغافلون؟

لقد كانت الآية جواباً لهذا السؤال، قال المفسر العظيم أبو عبد

الله محمد بن أحمد القرطبي ضمن تفسير الآية: "(أُوْلَئِكَ كَٱلأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ) لأنهم لا يهتدون إلى صواب فهم كالأنعام، أي همتهم الأكل والشرب، وهم أضل من الأنعام، لأن الأنعام تبصر منافعها ومضارها وتتبع مالكها وهم بخلاف ذلك، وقال عطاء رحمه الله: الأنعام تعرف الله والكافر لا يعرفه، وقيل: الأنعام مطيعة لله تعالى والكافر غير مطيع، (أُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ) أي تركوا التدبر، وأعرضوا عن الجنة والنار". (تفسير سورة الأعراف).

إن قليلاً من الاستعراض لمجتمعاتنا التي نعيش فيها يؤكد أن هذا النوع من الناس الذي تشير إليه الآية يتغلب اليوم على العالم المعاصر، وطالما يملك أزمة الأمور، ويتحكم في أقدار عامة الناس وشئونهم الحيوية، وأوضح مثال لذلك إذا تساءلنا عنه، الولايات المتحدة الغربية التي تحكم في القضايا المصيرية والمهمات الأساسية بصرف النظر عن الحقيقة الفطرية والمشكلة الطبيعية التي يواجهها الإنسان منذ وجوده في هذا العالم، يوم أعلن الله سبحانه أمام ملائكته بقوله: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ) ولكن الله سبحانه ردّ عليهم وقال: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ.

لأن الله سبحانه وتعالى كان قد قرر أن يجعل الأرض قاعة امتحان أوسع للكائن العاقل الذي يشمل الجن والإنس، ويوزع فيها ورقة ذات أسئلة مهمة جداً، تتعلق بالإيمان والكفر بصفة دائمة باقية إلى بقاء العالم البشري.

ومما يؤسف له في عالمنا المعاصر المعاش، أن ميزة الجمع بين الإيمان الراسخ والإخلاص القائم في النوايا والأعمال تكاد تفقد روحها، ويقع الناس فريسة الأوضاع والظروف المادية الرعناء، ولا تخطر ببالهم حقيقة الفرق بين العادة والعبادة والقيام بالمسئوليات الدينية كإنجاز الأعمال العادية والنشاطات الروتينية، فالصلاة مثلاً يؤديها مع الالتزام بالجماعة أو في المسجد، ولكنه لا يتصور بذلك أن الله يراه وهو يطيعه بهذا العمل ويكرمه بالعطاء الذي قدر له، إنما يصلي شفاءً لعادة تعودها، وهكذا في جميع الأعمال والعبادات فريضة وواجباً وسنة ونفلاً، كل ذلك يتأدى ولكن خالياً عن الروح والشعور بأن الله يراه (فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

أين ذهبت الروح وبقي الجسد بارداً خالياً عن الروح! أليس هذا السؤال يتفق مع الواقع المعاش في مجتمعاتنا وفي مجالسنا وفي أسرنا وبيوتنا؟ بلى! إننا نعيش كأمة ميتة خالية عن الروح المطلوبة والغاية المنشودة، ألا ينطبق علينا الآية المذكورة من سورة الأعراف، وبالأخص مبدءها (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ.....)، فهل هناك إنذار أشد من هذا، وهل هناك تحذير أعظم من هذا الذي هو مبدء الآية؟!

وما دمنا نحن الجن والإنس مكرمين بعظمة الإسلام ومنحة أشرف الخلق، كيف نتناسى هذه النعمة الإنسانية والعقل البشري، والشرف الجنسي، والعزة الإيمانية، وكيف تتحول حياتنا من الدعوة إلى الله والعمل لله، والعبادة والذكر لله إلى حياة ذرأها الله لجهنم (والعياذ بالله)، إلى حياة من لهم قلوب، وعيون، وآذان ولكنهم يستخدمونها في غير ما وضعت له من الوظائف التعبدية، والعيش مع الفطرة التي فطر عليها الإنسان وجعله خليفة في الأرض، إذ هو مسئول عن تعليم الإنسان وتربية النفس البشرية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإن قليلاً من التغافل يجعل الإنسان أضل من الأنعام ويحوّله إلى مادة فساد وضلال، ويعكس مهمته من الدعوة إلى الحق والطمأنينة والأمن والسلام إلى دعوة للهدم والدمار وكفران النعمة ونشر الفساد والضلال وانوحشية في عالم البشر، وأخيراً إلى أضل من الأنعام.

ليت قادة العالم المزعومين الماديين فكروا قليلاً في هذه الحقائق الثابتة الدائمة وعرفوا قيمة الإنسان ووظيفته في الحياة، ومصيره إلى دار الحساب التي لا مناص منها في أي حال.

(يَٰأَيُّهَا ٱلإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ. ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِيٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ. كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ. وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ. كِرَاماً كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) وصدق الله العظيم.

والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

دور أمانة الدين في بناء الإنسان !*

لعل خبراء العلوم والمعارف يتفقون على أن العنصر الأساسي في بناء الإنسان في كل فترة من التاريخ، يعتبر الشعور بالمسئولية مرجعاً في توفير الوسائل الإيجابية لهذا البناء السليم، بل الواقع أن كل بناء مهما كان لا يتم من غير توافر لهذا الشعور الغالي، وقد يكون ذلك أول وسيلة تتولى العزيمة الصادقة على بدء العمل البنائي، وتبعث الثقة في النفس على تحقيق الواقع الذي كان لا يعدو حلماً من الأحلام ولكنه يتمثل اليوم في صورة عملية يراها الناس، وطالما يكون واقعاً مغبوطاً، يثير في الإنسان دوافع النزول في ميدان العمل وبذل كل الإمكانيات في تحقيق الصورة الواقعية التي كانت حلماً فقط، ولم يكن له وجود في ساحة الواقع من قبل، أما إذا راودت النفوس برامج إنشاء معجزة من العمل البناء فعزمنا على تحقيق ذلك من غير تردد أو تكاسل أو تأخير، متوكلين على الله سبحانه وتعالى بكل صدق وإخلاص وأمانة وصبر، فلا ريب أنه يتمثل في صورة حية عملية، ويكون مصداقاً لقول الله سبحانه: (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ)، وذلك طريق لا يتعبد إلا بالصبر والتقوى كما قد صرّح الله تعالى بذلك في قوله: (وَإِنْ تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلأُمُورِ).

إننا نعيش اليوم في عالم مادي، ولكن المشاهد المعلوم فيه على مستوى الجماعات والحكومات أن أصحابها والقائمين عليها لا يقصرون في تحقيق العزائم الفاسدة التي يقصدونها، وإن كلف ذلك من الأموال والأنفس ما لا نستطيع أن نتصوره، وليس مما يخفى على المطلعين والمهتمين بالاطلاع على مجريات المجتمعات المادية ما يُتخذ من الإجراءات الجريئة لهدم القيم الإيمانية والإنسانية في مجتمعات بلدان المسلمين رغم كثرة عددهم والتزامهم بالدين، إلا أن المشاريع التي تنال تنفيذاً باسم الثقافات والعلوم والمصالح السياسية والنفعية لا تكون في صالح الإنسانية العامة والثقافات البشرية التي توسع المعلومات الإيجابية العلمية والصناعية

* مجلة البعث الإسلامي، عدد أكتوبر ٢٠١٩م.

أو السياسية، بل الواقع أنها تكفي لتتخير جذور القيم من كل نوع وتحويل الإنسان إلى كائن حي يستطيع أن يودي دوره في خلع لباس الاحتشام والزينة، فما أيسر تحويله إلى كوائن الغابات، مسلحة بأسلحة الجرائم الخلقية علناً وجهاراً كما تتجز السباع شهواتها أمام العالم بدون استحياء أو احتشام، فإذا تحول هذا الكائن الذي فضّله الله سبحانه على سائر الخلق إلى أسفل درجة من البهيمية ماذا ستظهر النتائج، ومن أي خلق يُعمر هذا العالم الذي ينتمي إلى البشر، ذلك الذي خُلق لبناء هذا العالم بالشعور الكامل للأشرفية التي منحها من خالقه، وذلك ما كان يعلمه الله سبحانه وكان في غيب علمه أن المهتدي إذا ضل الطريق السوي وحاد عن الخط الذي قرره الله سبحانه لأشرف خلقه فسيفقد ميزته بين الخلائق كلها، ويعود إلى أضل من الأنعام ويعيش في غفلة أيّ غفلة، تسلب منه الشعور بالإنسانية، اقرأوا ما جاء في كتابه الخالد السماوي العظيم: (لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ).

هذه الآية تغنينا عن كل تبرير لسقوط الإنسان من منزلة الشرف الذي أُكرم به على كثير من خلق الله تعالى بتوفير الطيبات له من الرزق الحلال وتفضيله على الخلق الكثير، وتنشئ فينا الشعور بأداء المسئولية العظيمة التي لا نتبرأ منها ما كان الشرف الإنساني يساير طبيعة التمييز بين الخير والشر وبين الطاعة والمعصية، ويساعدنا على إحراز كل فضيلة والاحتراس من المعاصي التي تقضي على مكانة الشرف، وتُغرقه في أوحال الذلة والبهيمية التي غاصت فيها كثير من الأمم البائدة والحاضرة، وما قصة الحروب التي دارت في هذه البلاد أيام الاستعمار الذي دام إلى مدة قرنين، فقد كان الإنسان خلال ذلك مظلوماً مضطهداً لا يعرف مصيره، وقد فقد الكرامة الإنسانية وعُذب بالقتل والجوع والسجن، وعاش أذل من الأنعام، ذاك أن ضمير المستعمر كان عامراً بالحقد على الشعب الهندي وكان مشحوناً بالاستغلال ونهب كنوز البلاد وخيراتها بأسرع وقت ممكن، قبل أن تكون هناك ثورة أخرى ضده (بعد ثورة ١٨٥٧م)، ولا يمكنه التغلب عليها بأي حال.

إن الشعور بالحرية الطبيعية التي خُلق عليها الإنسان، والاحتفاظ

بالكرامة التي أُكرم بها منذ أول يوم خُلق فيه، يتطلب منا أن نعيش كل نوع من اليقظة البشرية التي تشمل الحياة بكاملها وتعينه على أداء واجبها باستمرارية شاملة، وذلك هو العنصر المتميز في حياة كل إنسان ينقذه من قعر الغفلة إلى مرتفعات العلم والشعور والذكاء، ويذكره بمنصب القيادة العالمية التي منحته خلافة الأرض، وهداية الأمم، ومنذ ذلك الوقت يتبوء الإنسان هذا المنصب العظيم، وأرسل الله سبحانه رسله لتذكيرهم بذلك الشرف وهدايتهم إلى الطريق المستقيم، وفي آخر مطافهم بُعث رسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم لإنقاذ الناس من الجاهليات الشائنة والضلالات الفاشية ومن الخضوع والتذلل أمام الأحجار من أصنام وأوثان لا شأن لها، وقد بذل النبي صلى الله عليه وسلم كل ما أمكنه في مجال دعوة الناس إلى عبادة الله الواحد القهار والعودة بهم إلى توحيد الرب وترك الجاهلية من الكفر والشرك، ولم يبال في أداء واجبه بأي عائق أو عداء أو إيذاء أو تهديد و وعيد، وقد نصره الله تعالى فأعاد إلى الإنسان الشعور بعبوديته لله تعالى وأفضليته على الخلق كله من خلال عبادة الله تعالى وتوحيده ونبذ وسائل الشرك كلها والخروج من ظلام الجاهلية الجهلاء إلى ساحة الحياة الواسعة مع اللجوء إلى الخالق جل وعلا، وصبغ الحياة بالإيمان وصالح الأعمال، ونشر الأمن والسلامة بين المجتمعات الإنسانية.(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ).

ولقد كان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان نموذجاً مثالياً للحياة التي أرادها الله سبحانه أن تملأ العالم كله، فتهب فيه رياح الشعور بالمسئولية التي حملها الإنسان كأفضل خلق، ويوديها بغاية من الدقة والصدق والأمانة، ومن ثم كان الإنسان خليفة الأرض الذي تولى نشر الخير والبر ووصل نفسه بربه تبارك وتعالى على جميع المستويات وفي جميع النشاطات والأعمال التي يمارسها في كل حين حتى يقدم مثالاً للكائنات كلها في الخضوع لربه والثقة بوعده بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين الذي ارتضاه لعباده المؤمنين الصالحين وتبديل كل خوف بالأمن والسلام، كل ذلك يتحقق بشرط العبودية لله تعالى والامتناع عن الشرك بجميع أنواعه الجلية والخفية،

انظروا كيف يتحدث الله سبحانه عن ذلك في أسلوب واضح بليغ معجز: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ).

والله سبحانه وتعالى عرض هذه الأمانة الجليلة الشأن على السماوات والأرض والجبال فلم ترض بحملها واستولى عليها الخوف، ولكن الإنسان هو الذي رضي بحمل الأمانة وأدائها من غير نقص أو زيادة، فذلك هو الإنسان المطلوب لبناء هذا العالم على أكمل وجه، وهو الخلق المتميز المؤمن بالله إيماناً صادقاً بعيداً من كل شرك ونفاق، وهو الذي يشعر بقيمة هذه المسئولية العظيمة ويوديها بإذن ربه بكل دقة وأمانة (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً).

يقول الله تعالى: (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ).

والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

أفضل الخلق، يحمل الأمانة!*

قضى الله سبحانه وتعالى إعمار هذه الأرض بخلق سماه الإنسان وربطه بنظام إنساني عالمي خالد يتفق وطبيعته الإنسانية في جميع الأحوال والأوضاع ويقوم بتوفير كل ما يفتقر إليه لقضاء الحياة من كل نوع، فردية وجماعية وأسرية وعائلية ومع جميع مستلزمات هذه الحياة من العلم والفكر والأدب والدين، لكي يتم رفع صرح الحياة عالياً من جميع النواحي الخلقية والإنسانية، حتى يعيش هذا الخلق الأفضل بأكمل طريق وأشمل نظام، ويحكم في ضوء شريعة السماء بما يوفر له السعادة والهدوء، وينور له الطريق نحو الاستمتاع من نعم الكون ويمهده للخروج من متاهات الكفر وظلام الجهل والانحراف، ومن دياجير الشقاء والظلم.

كل ذلك كان أمانة عرضها الله سبحانه وتعالى على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، انظروا كيف يبين الله تعالى هذه الحكمة التي آثر بها الإنسان، والغرض الذي كان يختفي وراء هذه الأمانة (إِنَّا عَرَضْنَا ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً. لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً).

وقد جاء فيما رواه ابن كثير في تفسير هاتين الآيتين، روايةً من مقاتل بن حيان: "إن الله تعالى حين خلق خلقه، جمع بين الإنس والجن والسماوات والأرض والجبال، فبدأ بالسماوات فعرض عليهن الأمانة وهي الطاعة، فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة، ولكن على الفضل والكرامة والثواب في الجنة؟ فقلن: يا رب، إنا لا نستطيع هذا الأمر وليس بنا قوة ولكنا لك مطيعون، ثم عرض الأمانة على الأرضين فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة وتقبلنها مني، وأعطيكن الفضل والكرامة في الدنيا؟ فقلن: لا صبر لنا على هذا يا رب ولا نطيق، ولكنا لك سامعون ومطيعون، لا نعصيك في شيئ أمرتنا به، ثم قرب آدم فقال له: أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها؟ فقال عند ذلك آدم: ما لي عندك؟ قال: يا آدم إن أحسنت وأطعت ورعيت الأمانة، فلك عندي الكرامة والفضل، وحسن الثواب في الجنة، وإن عصيت ولم ترعها حق رعايتها وأسأت فإني معذبك

* مجلة البعث الإسلامي، عدد يوليو ٢٠١٨م.

ومعاقبك وأنزلك النار، قال: رضيت يا رب وأتحملها، فقال الله عز وجل عند ذلك: قد حملتكها، فذلك قوله: (وحملها الإنسان)" (تفسير ابن كثير، سورة الأحزاب).

هذا هو الحوار الذي أجراه الله سبحانه مع السماوات والأرض والجبال ثم خاطب الإنسان فلم يتلكأ في حمل هذه الأمانة العظيمة وقبلها بكل رحب وسعة ورضي بما يقدر الله له من الجنة في حال الطاعة والإحسان، ومن النار في حال الإساءة والعصيان.

تلك هي البنية التحتية لحياة الإنسان في هذه المعمورة ومن خلال ذلك يستطيع أن يختار دوره في البناء والسير على درب الأمانة التي حملها ورعاها، وتلك هي في الواقع مركز النتائج التي يعيشها ويبني عليها المستقبل الذي يتوقف عليه السعادة والشقاء والجزاء الذي يتلقاه في الدنيا والآخرة، (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ).

ولا مراء فيما إذا كانت عملية التعليم والتربية ذات عماد متين في التمييز بين الحق والباطل، وبها وحدها يمكن توزيع المسئوليات بأنواعها بين المجتمعات الإنسانية، ولولاها لما قدم الله سبحانه ذكر وسائل العلم والمعرفة في أول وحي نزل على رسوله النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، وقد أخذ بهذا المبدأ الأساسي من أدرك ذلك وتعمق في تحليل معاني العلم ووسائله ونتائجه الإيجابية وتبين عليه بعض ما أريد من افتتاح الوحي من توجيه الإنسان إلى البحث عن معاني العلم والحكمة التي تصل العبد بالمعبود وتصونه عن جميع المزلات والمعاصي التي تؤدي إلى المهالك مع توافر بعض الملذات السريعة الزوال، كما هو المشاهد اليوم في معظم أجزاء العالم ومراكزه التعليمية المعاصرة مع الزمان.

وقد أدت رغبة العلم والمعرفة، المجردة من روح الأمانة إلى أمراض نفسية، وأفكار مريضة، ورغم أن التركيز على تلقي المعارف العلمية والاكتشافات السريعة في مجالات العلم والمعرفة يتزايد على مر الأيام والليالي، والجامعات العالمية مكبة على افتتاح الأقسام والكليات بأسماء ورموز ذات انتماء إلى العلوم الحديثة والابتكارات الفنية ولكن المجتمعات البشرية غير مطمئنة القلب والروح.

فمثلاً وسائل الإعلام بأسمائها ومصطلحاتها المتعددة التي تملأ العالم اليوم، وقد تطورت وسائل الإعلام والقنوات الفضائية (Satellite Channels) وموقع التواصل الاجتماعي فيس بوك (Facebook) والتويتر (Twitter) والواتس أب (WhatsApp)، وكذلك الإعلام الاجتماعي الذي يعتني بكافة القضايا الاجتماعية ويُعنى بوسائل التواصل الحديثة التي

توفر الوقت، وتسهل عملية تبادل المعلومات ومناقشتها، وتتميز بالسرعة العالية في نشر الأنباء والأخبار، وبعملية تبادل المعلومات ومناقشتها، هذه كلها من تميزات وسائل التبادل والتواصل الحديثة التي ضل بها الطريق البناء كما هو المشاهد المعلوم.

ولا ريب أن علماء الإعلام والتواصل الاجتماعي وفقوا إلى إنجاز أحدث المعلومات لتسهيل الحياة والمجتمعات الإنسانية، وقد أفاد العالم البشري على المستوى العالمي من هذه الوسائل الجديدة في جميع مجالات الحياة وتحقيق الغرض النزيه الذي أريد باستخدام هذه الابتكارات، وتطورت الإنسانية في التواصل الاجتماعي والسياسي بجميع ألوانه إلا أن طائفة من المغرضين استولت على هذه الإنجازات الإعلامية وقامت باستغلالها فيما يهدم أساس الأخلاق والضمير الإنساني الصالح، وبذلك فقدت هذه الوسائل الإعلامية في جميع المجالات البشرية تأثيرها المطلوب، وأصبحت لعبة بأيدي العابثين الظالمين.

وهكذا أثرت النفعية وفقدان الاجتماعية الصالحة في إسعاد الحياة وتسهيل عملية التبادل الإعلامي، وعادت العلوم والمعارف أداة هدم وفساد قبل أن تكون وسيلة التواصل الاجتماعي المتميز النموذجي، ولنأخذ مثلاً ذريعة التبادل التجاري "أون لائن" (Online) فإنها شاعت اليوم على المستوى الجماهيري، ومن خلالها يتم التبادل التجاري فيتوافر الوقت والجهد وتتم شئون البيع والشراء بواسطة الهاتف الجوال، وهي تعتبر الآن ذريعة سهلة وذكية، إلا أن عناصر الفساد تتربص التدخل فيها وتلويثها باتجاهات مغرضة تؤدي إلى خسائر إنسانية، وتعكر صفو الحياة التجارية الشعبية ويداخلها الخيانة والخداع.

كأن الخيانة تكاد تسيطر على جميع شئون الحياة الفردية والجماعية ويعود الإنسان الأمين متلاعباً بين الأمانة والخيانة ويفقد نزاهة المنصب الإيماني الذي رفع مكانته على جميع الخلق، وعلى السماوات والأرض والجبال التي أدركت ثقل الأمانة واعتذرت عن حملها وصرحت بضعف قوتها عن أداء مسئولية هذه الأمانة العظيمة، مع السمع والطاعة الكاملة وامتثال جميع الأوامر إلا أننا لا نقوى اليوم على حملها وأداء حقها بكل دقة وأمانة كاملة.

وأراد الله سبحانه أن يكرم الإنسان بشرف الأمانة وقد أقر بها وحملها، رغم أنه كان لا يدري كيف يقوم بالمسئولية وكم يكلف أداء هذه المسئولية من جهد وإخلاص، ومن تضحية بالنفس والمال ومن الثبات على جادة العبودية لله تعالى والخضوع أمام جميع تعاليمه التي يشرحها

الإسلام؛ ذلك الدين الخالد الأخير الذي نزل على الرسول الخاتم والنبي الأخير محمد صلى الله عليه وسلم، وقام عليه أساس هذا الكون والإنسان والمجتمع (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً. وَدَاعِياً إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً).

ومن ثم كان الإنسان أفضل الخلق كله، وعادت عليه مسئولية البلاغ لهذا الدين الكامل الأكمل والدين القائم من غير نقص أو زيادة إلى يوم الدين، وذلك هو دين كل من يُدعى بالإنسان الذي تحمَّل أمانة الإنسانية بجميع معالمها ومقاييسها وآدابها وحِكمها، وعرف أهمية وجوده في هذا العالم البشري، وتعرّف مسئولية الأمانة التي حملها، ولم يقصر في أداء تبعاته ووظيفته الإنسانية التي تمنحه القيادة، قيادة العالم من الضلال إلى الهدى، وقيادة الإنسانية في كل عصر ومصر من مهالك الظلم والذل إلى منارة العلم والعدل، ومن دياجير الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد الخالص.

ولكن لما قلت الأمانة أو ضاعت، وأصبح الإنسان يعيش في غفلة عن واجبه، ويتناسى ما أكرم به من الأمانة التي حملها بإذن من الله تعالى، وأصبح الأمين خائناً والخائن أميناً فلننتظر الفتنة التي أشار إليها الله سبحانه في محكم كتابه فقال: (وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) (الأنفال: ٢٥).

وجاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنكم سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أدوا حقهم وسلوا الله حقكم)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، مَن تشرَّف لها تستشرفه، فمن وجد منها ملجأ أو معاذًا فليعذ به. (صحيح البخاري، كتاب الفتن).

أليس كل هذه الفتن والمحن مما إذا تناسى الإنسان الأمانة التي حملها من عند ربه تعالى وأغفلها وتناسى مسئوليتها؟! فلنتذكر الأمانة التي حملناها، ونصونها من كل خيانة، لكي لا تغشانا الفتن التي تسبب ضعف الإيمان وذهاب الأمانة التي تحملنا مسئوليتها العظيمة أمام الله تعالى الذي أعلن بذلك وقال: (وَحَمَلَهَا ٱلإِنسَانُ)، والله بصير بعباده، وخبير بكل ما يُسرّه ويُعلنه، وهو على كل شيئ قدير.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

تطورات عملية لبناء الإنسان!*

كلما تزايد إقبال الناس على تطوير طرق التعليم والثقافة للأطفال والشباب، وقامت دول عاشت في تخلف عن العلم، وحرمان من الثقافة إلى مدة من الزمان، فإنها بدأت تتطلع إلى توفير وسائل التعليم والتربية في شعوبها وفي جميع شعب الحياة، وهي لا تكاد تعتمد على نفسها في هذا المجال بل تبحث عن منهج متبع في أي بلد يهتم بالتعليم والتربية ويحرص على تطوير إمكانيات العقل الإيجابي وتفجير طاقات الحياة واستغلال الفرص لبناء المجتمع والحضارة، إنها ركزت على النواحي التعليمية بكافة أنواعها دون أن تقصر في إنشاء المدارس والكليات والجامعات بأقسامها المختلفة، وإن كان ذلك يكلفها الاستدانة من الدول الغنية واستعارة المعلمين والمدرسين والأساتذة من بلد متطور وآخر، ولكن بالرغم من كل ذلك تبلغ نسبة المتعلمين والمثقفين فيها إلى خمس أو أقل من ذلك بالمأة، ولقد كانت بلاد الهند تعاني من تأخر كبير في هذا المجال فكانت نسبة التعليم فيها ضئيلة إلى حد، ولما أحسّ بهذا النقص جماعة من المسئولين اتجهت إلى بناء الكليات والمدارس والجامعات، وازداد اعتناؤها بهذا الجانب المهم، وهكذا في كل بلد دخل فيه الاستعمار وظل تحت سلطته إلى مدة طويلة أو قصيرة.

أما الهند وإن كانت ذات أقلية مسلمة ولكنها أقلية تفوق أغلبيات كثير من بلدان العالم، وهذه الأقلية المسلمة عاشت تحت شعار ديني لا تتم شخصيتها من غير الالتزام بواجب ذلك الشعار، وهو نشر التعليم للتوصل إلى مفاهيم الدين العالية وخدمة الإنسانية باصدق معانيها، ومن ثم أقبل المسلمون من أول يومهم على إنشاء وبناء المدارس ومراكز التعليم والتربية، فتخرج منها جيل محترم يحمل العلم والأدب والثقافة والدين، مما أثر في تعليم وتثقيف الآخرين، والقيام بخدمة الإنسانية من غير تمييز أو تفريق، وبذلك مثل الشعب الهندي وحدة إنسانية عبر مناهجه الدينية والتقاليد والعادات، وقدم نموذجاً عملياً لإجراء التجارب العلمية والثقافية في جميع مجالات الحياة والمجتمع.

* مجلة البعث الإسلامي، عدد مارس ٢٠١٧م.

ومن خلال هذه التجارب كان الجمع بين علوم الدين والعقيدة وبين العلوم العصرية والتقنية، فقد أقام العلماء المسلمون مدارس وجامعات دينية، وعلماء الطبيعة وزعماء الثقافة العصرية والعلمية مراكز تعليمية ومدارس وكليات عصرية لكي يتحقق الجمع العادل المتزن بين الثقافتين، وذلك رغماً من العوائق السياسية وقلة الوسائل والمحاولات الاستعمارية لحرمان الشعب المسلم بوجه خاص من كل يقظة قومية وشعور سياسي ووعي ديني وخلقي، لكيلا تتقاصر فترات الاستعمار الإنجليزي على هذه البلاد الحافلة بالمعادن والثروات الأرضية والمواد الزراعية المخصبة التي كانت مركز الأطماع الاستعمارية ومطمع المستعمرين الناهبين الذين بعثهم على الاحتلال والاستعباد، الواقع الذي دفع كل إنسان في مهلك من الجهل والأمية، وسهّل سلب لقمة العيش من أفواههم، وهكذا داب المستعمر في كل بلد أو دولة، ولولا انتشار العلوم والثقافة على المستوى العالمي لكان العالم كله سجناً للشعوب الضعيفة والبعيدة عن مسارات التعليم ومراكز العلم والمعرفة.

ولذلك كان العلم مفتاح كل معضلة وكان مبدء كل سعادة بشرية جامعة، وكان أول أساس للدين القيم الذي أنزله الله ديناً خالداً للإنسان وشريعة كاملة دائمة للإنسانية جمعاء، وقد سجلت صفحات التاريخ معطيات هذا الدين في مجال التعليم والتربية بما لم يكن في الحسبان لدى زعماء الديانات السابقة من الأحبار والرهبان والقسيسين الذين لم يؤمنوا بما جاءتهم رسلهم بالبينات فحرموا قيادة العالم، أكرم الله تعالى بها أمة الإسلام كما صرح بذلك الله سبحانه في كتابه فقال: (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)[1]، فأنتج ذلك العلم الأساسي عقيدة الإيمان الراسخ والعمل الصالح التي منحت للإنسان المسلم شخصية ذات فاعلية كبيرة لم يسبق لها مثال في العالم البشري قط، ألا وهي شخصية القيادة العالمية النابعة من الإيمان بالله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، وقد ظل زمام هذه القيادة بيد المسلمين الذين أيقظوا أوربا من سباتها العميق وأنقذوا أهلها من غفلة سادت عليهم إلى مدة طويلة، ولولا أن الدين الحنيف كانت له سيادة في هذا المجال لما استطاع أن يخرّج جيلاً من أصحاب العلم والمعارف وأساتذة العلوم والفنون

[1] سورة يونس/ ١٤.

في أقل مدة، ممن قاموا بجولات علمية ودعوية في الغرب، وأنشأوا جواً من العلم والحكمة في هاتيك الديار النائية الغربية، وبالتالي فتحوا المدارس والمعاهد ما بين صغير وكبير حتى أصبحت الأندلس أكبر مركز للتعليم والتربية والصناعة، وعم الشعور بقدسية العلماء وفضيلة العلم والدين والثقافة والصناعة، وبفضل ذلك استفادت أوربا بكاملها من هذه اليقظة وعياً متواصلاً في مجالات العلوم والصناعات، وصلت من خلالها إلى قمة عالية من علوم الطبيعة والتطور الحضاري وقامت بالإبداعات والبحث عن المعارف الكونية والتقنيات الحديثة حتى اكتسبت مركز القيادة في جميع مجالات الحياة والعلم والحضارة، وسيطرت بذلك على جميع البلدان المتخلفة حضارياً واجتماعياً، وتم لها فيها ما يعبر عنه بالاستعمار، الذي دام مدة طويلة ولم ينته إلا في أوقات مختلفة من خمسينيات القرن العشرين حينما قامت الشعوب المستعمرة في بلدانها بثورة ضد الاستعمار، وضيقت الخناق على المستعمرين، فلم يعدله طريق سوى إعلان الاستقلال.

ذهب الاستعمار وخلا الجو للشعوب والجماهير العامة لتنظيم شئون البلاد على أسس من التخيرات في جميع مجالات الحياة وخاصة في التعليم والاقتصاد وانتظم كل ذلك في ضوء الحاجات الشعبية وشعور خاص بإزالة آثار الاستعمار في جميع مرافق الحياة، إلا أن تدخلات استعمارية لم تزل تعود حيناً لآخر إلى الدول المستقلة التي جعلتها مسرحاً للجرائم والاعتداءات وإثارة العواطف بين الطوائف واستفزاز المشاعر ضد الدول والبلدان لمجرد تمزيق الوحدة البشرية التي يصنعها الإسلام من أول ما دعا إلى عقيدة التوحيد ونادى بأن البشر كلهم من آدم، وآدم خلق من تراب.

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ).

ولكيلا يفارق الناسَ هذا الشعور، أنزل الله تعالى شريعة كاملة وخالدة عن طريق خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم الذي ليس بعده نبي ولا دين، ولا شريعة ولا نظام، وكل ذلك نتيجة كمال الدين وخلوده وثمرة لتمام النعمة بواسطة الإسلام، ذلك الدين القيم الذي رضيه الله سبحانه للكون والحياة والإنسان، وقد أعلن بذلك مدوياً مجلجلاً مع ذكر ما أصيب به الكفار من يأس بفشل جهودهم ضد الدين الإسلامي

وحاولوا تخويف الناس بما إذا انحرفوا عن دينهم القديم، وديانة الوثنية وعبادة الأصنام (ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلاَمَ دِيناً).

تلك هي الآية الأخيرة التي لما نزلت فرح بها اليهود، فقد جاء فيما رواه الإمام أحمد في مسنده عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال يا أمير المؤمنين: إنكم تقرأون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأي آية؟ قال قول: (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي)، فقال عمر رضي الله عنه: والله إني لأعلم ذلك اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم: عشية عرفة في يوم جمعة (رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسأي).

أفهل هناك شهادة أوضح من هذه التي شهد بها اليهود بكون هذا الدين أكمل من جميع ما سبق من ديانات ونظرات وفلسفات، وهو نعمة أتمها الله سبحانه وتعالى على بني آدم لآخر مرة، فلا تفوقها نعمة ولا منة منّ بها الرب سبحانه، لا على العالم البشري فحسب بل على جميع ما يعيش فيه الإنسان من الكائنات والحياة، وهي ليست جامدة وموقوفة على طريقة واحدة ولكنها حية متحركة نشيطة تنفع المرء في كل ما هو بحاجة إليه لقضاء حياته على هذه الأرض في سعادة وهناء، وتوفر له قلباً مطمئناً وصلة مخلصة بربه وبالعباد عن طريق الإيمان والطاعة والبر والإحسان والتورع عن الشبهات والعمل بالفرائض والواجبات، على جميع مستويات الحياة الفردية والجماعية، وقد جاء كل ذلك مشروحاً في كتاب الله تعالى، مبيناً مذكوراً في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إننا لا نمانع العمل التطوري في مجال العلم والحكمة وفيما يعود نفعه إلى الناس في حل مشكلاتهم وتربية أبنائهم، بل الواقع أن الإنسان مفطور على طبيعة التسابق في الخير فليس التطوير في العلوم والصناعات ممنوعاً عنه في أي حال، والتاريخ الإسلامي حافل بهذا الواقع الإنساني في فتراته كلها، ولا يزال المسلمون يتسابقون في تطوير جوانب العمل الإيجابي في بناء الإنسان بأحسن وجه وأفضل طريق (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ).

هناك أسلوب آخر للتربية الإسلامية من خلال المناوئين للإسلام، اك أنهم يتزيأون بأزياء المسلمين وقد تراهم يتعممون مثل العمامة السوداء والبيضاء، ويتظاهرون بأنهم مسلمون ويريدون أن يقوموا بتسليح الشباب من الأمة الإسلامية بسلاح التربية الدينية والتدريب العسكري كذلك، حتى يتخرجوا من وراء هذه التربية الجامعة شباباً جامعين، ويتمكنوا من مواجهة أساليب الغزو الفكري والعسكري الذي يقوم به الغرب ضد الإسلام، ويدبروا للقضاء على تميزات الحياة الإسلامية باستهدافهم شباب الإسلام الناهضين وإدخال الشبهات في نفوسهم وزرع سموم الشك والريبة ضمن التربية الجامعة التي يتناولونهم بها، ومن هنالك يتمهد الطريق نحو انسلاخهم عن العقيدة من غير شعور.

إذا تفقدنا هذا السرّ في جماعات الشباب المسلم التي توجد في الجامعات الغربية وما على شاكلتها أدركنا أن هناك مؤامرة دقيقة جداً لسلخ روح الإسلام وإبقاء صورته أو تغييرها كذلك في جميع المؤسسات والجامعات والدوائر السياسية والاقتصادية، ولتنفيذ هذه المؤامرة لدى هؤلاء المتآمرين وسائل ضخمة وذخائر مكثفة من الأموال والطاقات الإنسانية، وهم مكبون على تدمير أمة الإسلام والقضاء عليها، ولا تزال نار الحقد والانتقام تتأجج في نفوسهم، وهم مستمرون في تغيير روح الإسلام واستبدالها بروح اليهودية والصهيونية.

فلنكن على حذر دائم ولنعد طاقاتنا المادية والمعنوية كلها في صد هذا العدوان وإحباط هذه المؤامرات السرية، ولنستخدم سلاح العلم والدعاء، فإن الدعاء سلاح المؤمن، ولا يرد القضاء إلا الدعاء.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

كَلاَّ، إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ!*

لم يكن الإنسان مجرد خلق ناطق بالعقل الإنساني في شئون الحياة حتى يتميز عن غيره من المخلوقات ذوات الجسم والروح والتعقل الطبيعي، إنما كان أفضل خلق الله تعالى في هذا الكون من كل حيوان ناطق، وذلك بالتمييز بين الخير والشر وبين الطاعة والمعصية، لأنه رُزق سلامة العقل والتفكير وأكرم بالهداية السماوية نحو الطريقين والاختيار بما هو الطريق الواضح الطبيعي الذي يتفق مع الطبيعة البشرية ومسئولية أفضل الخلق الذي نال جائزة الأفضلية من خالقه العظيم، ثم ابتلاه بما إذا كان يعرف نعمة ربه تعالى ويشكره عليها، ولا ريب أن الإيمان به ومعرفة حقيقته من أعظم ما ناله الجنس البشري من خالقه العظيم، وهي جائزة الإيمان الربانية التي تتحلى بها حياة العبد المسلم، ذلك الذي يعيش مع الله وفي أداء الشكر له من جميع قواه وطاقاته، ولا يحول دون ذلك أي مانع من عوامل الزمان، ويستمر في أداء واجبه مهما كانت الظروف في ضوء التعاليم التي أنزلها الله سبحانه لعباده البشر إلى آخر لحظة من حياته، هكذا تكون حياة المؤمن المسلم الذي ينجح في جميع الاختبارات التي اختارها الله له، (لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ. إِلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)، وقال: (وَٱلْعَصْرِ. إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ).

فكانت العمدة الحقيقية والمقياس الرباني الأصيل إنما هو الإيمان والعمل الصالح، ثم التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وعلى هذا الميزان الذي خلقه الله سبحانه وتعالى وأراده حينما أخبر الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة، تعجب من هذا القرار الملائكة المقربون وقالوا: كيف تجعل خليفة في الأرض أولئك الذين لا يصلحون لحمل مسئولية الخلافة! وكان الرد الكريم: (إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ).

لأن ما كان قد قدره الله تعالى هو أن يعمر الأرض إزاء السماء بخلق إنساني يتميز في الكائنات كلها بالعقلانية المتميزة التي تساعده في

* مجلة البعث الإسلامي، عدد ديسمبر ٢٠١٩م.

الاختيار المناسب لأساليب الحياة ولا يفقد الشعور بين النافع والضار في ضوء تلك الطبيعة الإيمانية التي تشرَّف بها يوم أعلن الخالق العظيم: "إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلأَرْضِ خَلِيفَةً"، والخليفة لا يكون غير مَن خلفه، لأنه يحل في الأمور كلها أو جُلّها محله في الأمور والمسئولية التي نيطت به من الشخص الأول إلى الثاني الذي نُقلت منه المسئولية إلى صاحبه.

ومن ثم كان الموضوع في غاية من الدقة وهو يتطلب النزاهة الكاملة ولا يتخلى عن التورع والتقى في كل لحظة خشية أن لا يصدر منه شيئ يشوه سمعته، ولو لا أن الله سبحانه كان يعلم أن هناك (إبليس) ضمن الملائكة وأنه لا يرضى بإعطاء الإنسان مكانة أعلى من منزلة الملائكة لما أمرهم بالسجود أمام آدم (عليه السلام) فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، وطرده الله سبحانه من حضرة الجلالة ووصفه بشيطان رجيم، ولنقرأ القصة بوضوح في سورة الحجر من الآية ٢٨/ إلى الآية ٤٢: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ ٱلْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّاجِدِينَ. قَالَ يٰإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ ٱلسَّاجِدِينَ. قَالَ لَمْ أَكُن لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ. قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ. إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ. قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ. قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ).

من هنا عمّر الله سبحانه العالم البشري من ذرية آدم (عليه السلام)، فأول نموذج أرانا في ابني آدم من الطاعة والمعصية، وبذلك توزع الإنسان بين المطيع لله تعالى والمرتكب للمعصية، وتوسع المجال للشيطان أن يلعب بعقول الناس ويبعثر وحدة الإنسانية ويفرقها بين فرق وجماعات شتات، وقد تحدث التوراة (الكتاب المقدس) عن المعصية، وكيف دخلت في مجال الحياة وماذا كان لها من التأثير في الحياة البشرية، وكذلك الإنجيل يشير إلى كل موضوع بشيئ من التفصيل.

ولا شك أن إبليس كان له دور كبير في الصد عن سبيل الله

والحيلولة دون عظمة الإنسان وفضيلته التي منحها الله سبحانه إياه، ولا ريب أن النظام العالمي كله منوط بتقدير الله عز وجل الذي خلق العالم وأسكن فيه الإنسان بوجه خاص لكي يطلع على أنه ليس حراً طليقاً، ولكنه مربوط بنظام معيشي دقيق يتخلله المحن والآلام، ومراحل اختبارية وفترات ارتياحية، وبذلك وضع الله سبحانه نظام الجزاء إما: الجنة أو النار، وقرر أن هناك سبيلين الجنة والجزاء الأوفى، وطريق النار والعقاب، ويتأرجح الإنسان بين هذين السبيلين، وقد تحدث القرآن بغاية من الوضوح والتكرر في آيات كثيرة ولا تخلو أي سورة من سور القرآن الكريم من ذكر الجزاء وأشكاله المتعددة، وأرجو أن أقرأ بعض آيات الكتاب في هذه المناسبة، فقد قال الله تعالى: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ)، (إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ. يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ. وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ)، (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ آمَنُواْ وَٱتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)، (وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ. فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)، (فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ)، (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ. إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ أُوْلَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ)، (إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلأَرْضُ زِلْزَالَهَا. وَأَخْرَجَتِ ٱلأَرْضُ أَثْقَالَهَا. وَقَالَ ٱلإِنسَانُ مَا لَهَا. يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا. بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا. يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْاْ أَعْمَالَهُمْ. فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ).

إن القرآن الكريم كله حافل بالمعاني والمفاهيم العالية الربانية التي تشبع الكائنات بجميع نواحيها بغذاء دسم ويوفر لها النشاط والحيوية بأكمل معانيهما، ولا تتوافر هناك ناحية ولو كانت مهجورة لعارض ما أو موقتاً، إلا وتكون في انتظار مستمر للمناسبة التي تتناولها وتنجز ما هي بحاجة إليه بكل ما يملك من قوة معطاة من ربها الكريم.

فكان القرآن الكريم أول ما يحتاج إليه الإنسان لكي يسير في ضوئه اللماع وتوجيهاته الشاملة للحياة والكون والإنسان، إننا نرى من أهل العالم البشري بكامله أنهم يعيشون ولا يبالون بما إذا كان عملهم مطابقاً للطبيعة الإنسانية أو للطبائع الأنعامية، والناس في ذلك ألوان

وأنواع، فنوع يؤمن بكتاب الله تعالى وهم يهتمون بدراسته والتأمل في معانيه ويبالغون في تقديسه ويعتبرونه أعلى بضاعة في متناول أيديهم، ولا يقصرون في تفسيره والتعمق إلى بلاغيته ومعجزاته، وهم علماء هذه الأمة وأصحاب الإيمان بالله تعالى والعاكفين بتلاوته والعيش مع جميع أحكامه وتشريعاته.

ولكن هناك جماعة من الناس وهم بالعكس من هذه الجماعة، لا دين لهم ولا عقيدة ويتأكدون أن القرآن الكريم يحول دون جميع نشاطاتهم الحيوانية وهو أكبر مانع لصد المسلمين الملتزمين وانتزاع إيمانهم وحرمانهم من تعاليم هذا الكتاب، فلا يألون جهدهم من إخراج هيبة وقيمة كتاب الله من أذهانهم، ومؤكدين لهم أنه ليس إلا كتاب ديني قديم ذهبت حاجته أدراج الرياح وما هو الآن إلا كمخطوطة قديمة فقدت قيمتها وأصبحت ضمن التراث القديم.

وبهذه النفسية يعاملون كتاب الله ودين الإسلام ويعيشون في محرومية كاملة يمرغون في الشهوات وينهبون لذات من الحرام، ويوسعون نطاق فسادهم إلى الطبقات البشرية ويحولونهم إلى أنعام بل أضل من الأنعام، فيمارسون كل حرام ويرتكبون كل فاحشة ولا يرون في أي شيئ بأساً من ذلك.

كان وجود المنافقين في العهد النبوي (على صاحبه ألف ألف تحية وسلام) بواقع ملموس، حيث إنهم أظهروا الإسلام أمام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، ولكنهم كانوا منافقين يتظاهرون بالإسلام ويخفون الكفر والعناد للإسلام والمسلمين، فكانوا إذا جاؤا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشهدون بأنه رسول الله، ولكن الله سبحانه كان يعرف كفرهم ونفاقهم فشهد بكل صراحة أنهم كاذبون، قد بلغ ذلك التظاهر من النفاق حتى أنزل الله سبحانه سورة خاصة بالمنافقين سميت (سورة المنافقون)، وهي تصور إلى الآية الثامنة طرائق المنافقين التي كانوا يتبنّوتها، وكانوا يخدعون بها المسلمين من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولكن هنا، وفي العصور التالية ظهرت صور تشبه صور المنافقين الأساسيين، وهم على شاكلتهم بأساليب متعددة رغم أنهم مسلمون وقد

ولدوا في بيوت ذات أصالة في الإسلام، إلا أن في نفوسهم شيئاً يشبه الخروج من العقائد المسلمة لدى جمهور علماء الأمة، وهم يجاهرون بذلك في كثير من المشكلات التي تواجه بلدان الأقليات المسلمة في العالم كله، وقد اشار شيخنا الجليل العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله في إحدى المناسبات إلى ما يشبه طريق التوسط بين حسن وقبيح، فقال: "كنا نسمع أن هدف الإنسان في عمل ما يكون حسناً لائقاً أو يكون قبيحاً غير مرضي، فوُجد بذلك نوعان من حسن أو قبيح، ولكنا نرى ونسمع في عصرنا الحاضر أن أعمالاً تُنجز من غير هدف أو بدون مقصد كأنه لا يُراد منه إلا اتباع النفس أو اتباع المصالح التي لا تكون لها علاقة بعقيدة الإنسان ودينه.

ولعلنا في معظم الأحوال نعيش هذا النوع الثالث التابع للظروف والمصالح المعاصرة، إما مراعاة للآخرين أو إرضاء للجماهير من الناس ممن لا شأن لهم بالدين ولا علاقة لهم بالعقائد الثابتة والإيمان الخالص، كما هو مشاهد بوجه عام في مجتمعات العالم المعاصرة في الشرق والغرب كليهما، وفي كل مكان.

وقد علمنا الله سبحانه الطريق العادل للحياة الإسلامية في قوله: (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ. قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). وصدق الله العظيم.

والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

جناية المدنية المتطورة على الإنسان والإنسانية!*

إن نظرة عابرة على المجتمعات البشرية اليوم تفيدنا بأن نسبة الشعور بشرف الإنسان وعلو مكانته في تربية الفضائل في النفوس وقيادة العالم نحو الأمن والسعادة، والعيش في جو من الهدوء والطمأنينة، لا تزال تتضاءل مع تضخم آليات المدنية وتكاثر الوسائل الحضارية من كل نوع، مما جعل المرء لا يبالي بمدويات الكوارث ونبوءات الزلازل والبراكين مثلاً، ولا يخطر بباله أن يسرع في اتخاذ الوقاية وإزالة أسباب الأضرار والخسائر المترقبة من الشقاء المتمثل أمامه، ولعل ذلك نوع من التقاعس، واليأس من استخدام القوى لمواجهة الخطر ودفع النوازل بطريق إيجابي، وبواسطة الالتجاء إلى القوة القاهرة، دافع البلايا والمحن، رب الكائنات جل وعلا.

ومن ثم نشاهد أن الناس ضعفت صلتهم بالواقع الإيماني العظيم، ووقعوا فريسة الضلالات والانحرافات في جميع شئون الحياة والمجتمع، وحلت الوسائل وحدها محل القوة القاهرة، الواقع الذي سبب العموم لكوارث الهدم والدمار التي شملت العالم البشري من أقصاه إلى أقصاه، وأنست الإنسان أن يفكر للحظة واحدة في أسباب الشقاء والتعاسة وكثرة الأحداث المؤلمة في صور شتى وأشكال منوعة، فإن شخصاً يعيش في منزله بهدوء وعافية إذا به يُفاجأ بأحوال شاذة ويؤخذ بخسائر الأموال والأنفس على غفلة منه، وهذه الأوضاع المثبطة للهمم، والمشعرة للناس بأنهم مهددون بصفة دائمة، أصبح شعار الحكام والزعماء المحترفين في عصرنا هذا، إن وكالات الأنباء العالمية تتبنى تهديد الجماهير وتخويفها على المستوى المعلوم لديها، ذلك لنشر الفوضى والإشكاليات في المجتمعات التي تعتمد على الآخرين وتستنجد في شئونها المتعددة من أصحاب القوة والمال فتكون عالة عليهم، ولا تملك من أمرها شيئاً (سَآءَ

* مجلة البعث الإسلامي، عدد أكتوبر ٢٠١٧م.

مَثَلاً ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ) (الأعراف: ١٧٧).

إن ما يتوافر اليوم من شهوة المناصب وتسليتها باستغلالات بشعة من غير رحمة وهوادة في الدول الغاشمة والشعوب الغنية بفنون زائفة تسحر النفوس وتخدع الجماهير، إنما مردها إلى فقدان عقيدة التوحيد، واعتبار الوسائل المادية آلهة، فإليها المرجع في جميع الأحوال، وهي العمدة في كل حال ومآل، أما عقيدة التوحيد فهي تعم الكائنات بكاملها التي هي قائمة بأداء وظائفها من ينابيع التوحيد المتفجرة، وإن الاستغناء عنها والتغافل عنها يأتي بمصائب ومتاعب من كل نوع، وذلك واقع مشهود وحقيقة معلومة ملموسة، (قُلِ ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ) (الرعد: ١٦ – ١٧).

تناست معظم الشعوب البشرية أن الله هو الواحد القهار، فأصيبت بالذل والعار، واستولت عليها طواغيت الساعة، فسلطت عليها ألواناً من عذاب الخزي والدمار، والأمراض النفسية، والخوف والحزن واليأس، ونشأت هناك فرق وطوائف ممن لا يقصرون في تدمير القيم الخلقية والتميزات الإنسانية، وتخلية المناطق من سكانها، رجالاً ونساءً، وشيوخاً وشباباً وأطفالاً، كأنها لم تغن بالأمس، وذلك بتنفيذ طرائق القتل والإرهاب، فكم من نفوس بريئة وقعت فريستها، وليس ذلك مما يأتي عليها الحصر، زد إلى هذه الخسائر الإنسانية ما أصيب به الناس من العداوات والحزازات بين الجماعات والقبائل، ونتائجها في صور من الحروب والمهاجرات والانتكاسات، مع وجود الحوادث الطبيعية وغيرها مما يواجهه الناس صدفة أو فجاءة، وتذهب ضحيتها آلاف وآلاف من الأرواح البشرية بالإضافة إلى المجاعات والفيضانات، والسيول العارمة التي تغطي ساحات واسعة من المساكن والمزارع، ومن المتاجر والمنازل، وتمحوها من ساحة الوجود، دون أن يبقى لها عين ولا أثر، كل ذلك يحدث كنتيجة للثقة الكبيرة بالقوة والسلطة وبالمال والأنصار، لأناس متناسين أن هناك ملكوت السماوات والأرض تهيمن على كل ذرة من الكون وعلى كل لذة وشهوة من مال ومتاع في الأرض، أولئك هم المغترون المخدوعون ممن عاشوا نشوة كاذبة وأحلاماً مزورة، وعاثوا في الأرض فساداً، ولكنهم لم يُغن عنهم شيئ من ذخائر الأموال والأمتعة، ولم

تسعفهم ممتلكاتهم من خزائن الأرض وكنوز البلاد يوم فأجأهم الموت بجنوده وجيوشه، وذهبوا من الدنيا خاسرين دون أن تتسنى لهم لحظة يتنفسوا فيها، ويتحسروا على ما فاتهم من فرصة لوصية ينبسوا بها أمام أهلهم وذويهم (كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ. فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ) (الدخان: ٢٥ – ٢٩).

تتمثل أمام الأعين مع قراءة هذه الآيات تهجير المسلمين من أرض الشام وإرغامهم على ترك أوطانهم ومرافقهم إلى أراض مجهولة، ابتلعت صحاريها وأمواج البحار فيها أرواحاً بريئة من الرجال والنساء والشباب والأطفال والشيوخ، قد يبلغ عددهم ملايين أو ما يقاربها، وأمست بلاد الشام خراباً يباباً، الواقع الذي يبعث على البكاء المستمر إلا أن ذلك لم يتحقق ولا ليوم واحد، ولم يبك عليه البكاؤن، لأن وراء هذا الواقع يختفي ما يبرر مثل هذه الكارثة التي لا مثيل لها في عصرنا الحاضر، فأنى للسماء والأرض أن تبكيا عليه، وليسَ ما حدث في بلاد الشام وحدها وإنما هناك دول مسلمة عديدة وقعت فريسة الظلم والقهر، وأقفرت من أهلها جراء المعاصي والانحراف عن الطبيعة الإيمانية، وتناسي عقيدة التوحيد، مع الاقتناع الكامل بالكفر أو بما يشبهه، ولا ريب أن المعاصي لم تعم في قوم إلا ونزلت عليه من المآسي الشديدة والظروف المستعصية ما محاه من الوجود، وسجله التاريخ في كل زمان، قريب أم بعيد.

إن ما يجري اليوم في الدول الإسلامية والدول العالمية باسم مكافحة الإرهاب ومقاومة الجماعات المتطرفة، يؤكد أن الصراع لا يزال قائماً بين الجد والهزل ويتوزع الناس بين جماعات وأحزاب تدعي أنها على الحق، وهي لا تتوخى من خلال نشاطاتها إلا تجميع الطاقات لصالح الإنسان، وأخرى تزعم أنها تطالب العدل والمساواة وإشراك الجمهور من الناس في تسيير دفة الحكومة والنظام، ونشر الديموقراطية في المجتمعات والمجموعات البشرية على المستوى العالمي، ومهما تكن من جهود تبذل في إصلاح الأوضاع الاجتماعية والسياسية فليست بشيئ يقام له وزن، بل إن ترسيخ جذور الإيمان في النفوس من أهم المهمات المطلوبة

اليوم، فليكن ذلك على أوسع نطاق علمي ومعرفي، وتجميع الطاقات كلها على إيجاد الثقة بالنظام الديني الذي ليس من وضع البشر، إنما وضعه الله سبحانه وتعالى الذي خلق البشر وأراد أن يجتمع الناس كلهم على نقطة الإنسانية والسعادة البشرية، ويركزوا على تنفيذ شريعة السماء بغاية من الثقة واليقين بأنها هي الملجأ الأول والأخير لكل سعادة في الدنيا، والفوز بدرجات عالية في الآخرة التي لا مناص منها في أي حال، مهما كانت الظروف، ولقد قال الله تعالى في سورة الجاثية من كتابه العظيم: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ. إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ) (الجاثية: ١٨ – ١٩).

ولكن جنايات التطورات المدنية على المجموعات الإنسانية اليوم تشير إلى أنها تواجه خطراً كبيراً من أصحاب المدنيات الحديثة، ولا سيما في مجال شريعة الله تعالى وآياته التي اتخذوها هزواً ولعباً متظاهرين بالاستكبار (أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ستكون فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا)، والعلامات ظاهرة، فإن أتباع بعض الديانات يُعلنون بما إذا لم تنل مطالباتهم استجابة من الحكومات وولاة الأمور فسوف يتحولون إلى دين الإسلام مع جماعاتهم وأنصارهم، ويُعلنون عن ذلك أمام الأشهاد وبكل ثقة وحرية.

وقال الله تعالى: (وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ).

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل).

لماذا أصبح الإنسان رخيصاً ومتاع الدنيا غالياً؟*

(وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ) ليس هذا الإملاء للعابثين بالعفة، والكرامة التي ألبسها الله سبحانه أشرف خلقه الإنسان، إلا لكي يختبر مدى قوتهم وتمردهم فيما هم فيه متمادون، والذي فيه هم متجاوزون حدود الشرف الإنساني، وذلك ما يتمثل اليوم أمام العالم البشري بأشكال متعددة وصور منوّعة في جهات مختلفة، فقد بلغ هؤلاء العابثون بكرامة الإنسان إلى أن حرموا جميع المواصفات الكريمة والخلائق الحسنة التي يتفرد بها الإنسان عن غيره، واختاروا طرائق الفساد بكل نوع، وذلك بحيدهم عن الطريق التي اختارها الله سبحانه وتعالى للبشر وكرمهم بها، فقد صرح بذلك فيما قاله في محكم كتابه: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ولكن بالرغم من هذه الوصية السماوية الخالدة يتناسى الإنسان طريقه المستقيم ونهجه الأصيل، فتتفرق به السبل، وتلقيه في طريق معوج إذا سلكه الإنسان واختاره، شق لنفسه وللآخرين طريقاً يؤدي إلى نتائج غير طبيعية، من الإفساد في الأرض، وسفك الدماء من غير حق.

ذينك العنصرين من الجرائم الخلقية يتوافران اليوم في كل بلد ومنطقة بشرية، بغاية من الوضوح، كأن هناك مجموعة واسعة النطاق متسلحة بكل سلاح ومتصممة على إهلاك الحرث والنسل، ومؤيدة من قادة الفساد والدمار، تواصل حملاتها الإرهابية من غير رحمة وهوادة في ضوء المخططات التي يقود بها هؤلاء القادة، ولا يبالون بما إذا كان نأس يبيعون نفوسهم مقابل ثمن غال، ويباشرون الحملات الانتحارية في التجمعات البشرية مهما كانت، وقد شهد العالم ولا يزال يشاهد ذلك الدمار والخراب الواسع، وخسائر الأرواح والأموال التي تشمل الكرة الأرضية بكاملها، فما من مكان آمن ومجتمع عائش في أمن وسلام

* مجلة البعث الإسلامي، عدد أغسطس – سبتمبر ٢٠١٦م.

ودعة إلا وتتوافر فيه عناصر مأجورة تنفذ عملية التفجير الفجائي، التي يذهب ضحيتها عدد ضخم من الأبرياء ممن لم يخطر ببالهم أنهم سيواجهون مثل هذه الجريمة الوقحة التي يمارسها قوم يحملون صورة الإنسان ولكنهم أضل من الأنعام، والذين يصدق عليهم قول الله تعالى: (لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ).

وهل يتناسى التاريخ المعاصر لقاءات قادة الأمن العالمي والاتفاقيات التي وافقوا عليها في تعزيز الجهود المشتركة على المستوى العالمي لمكافحة الإرهاب والقضاء على الفئات المشبوهة وعرقلة نشاطها في نسج خيوط الإرهاب، ولا سيما تنظيم (داعش) الذي يملأ العالم بهجمات إرهابية ويقوم بإعدادات واسعة لتنظيم جيش إرهابي ينفذ مخططات الإرهاب والهجمات، ولا يزال العالم الإسلامي يذكر ما أكده رؤساء أركان دول التحالف الإسلامي خلال اجتماعاتهم على أهمية العمل الجماعي للتصدي في وجه التطرف والإرهاب، اللذين لا دين لهما ولا وطن.

وهناك اهتمامات كبيرة بمكافحة كل ما يعوق الإنسان عن أداء واجبه نحو الحياة والكون، والدول العالمية كلها مُكبة على سد جميع المنافذ التي ينفذ منها ما يعوق سير التقدم والرقي، ويحول دون توافر الأمن والسلام في جميع المجتمعات الإنسانية، ومن بين هذه الجهود المباركة ما قد اتفق عليه منذ مدة قليلة وزير الدفاع الأمريكي "اشتون كارتر" (Ashton Carter)ووزير الدفاع السعودي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود و ولي العهد على تشكيل مجلس لتنسيق الجهود في محاربة الإرهاب والتطرف على المستوى العالمي ومواجهة الأوامر الهدامة التي تقوم بها بعض الجهات السياسية ضد تحقيق النجاح والتوصل إلى نتائج إيجابية مشتركة، ولا ريب في أن هذه الاتفاقية كانت بادرة خير كبير تعلقت بها الآمال وتوقع الناس عودة السلام العالمي إلى جميع الجاليات الإنسانية التي تدعو إلى السلم وتعيش في جو من الأمن والسلام.

رغما من هذه الاهتمامات والجهود المتتالية للصد عن حوادث الإرهاب، نرى ونسمع على مدار العالم أنباء الهجمات المضادة وأحداث التفجيرات الانتحارية وغيرها مما يهز كيان العالم البشري، ويبث روح

اليأس والتشاؤم في النفوس، ولا تكاد تنتهي الحوادث من هذا النوع ولا تزال مسلسلاتها تبدو فينة وأخرى، ويوماً بعد يوم، في مختلف أرجاء العالم من القارات الأوربية والإفريقية وبلدان المسلمين، في العراق، وسوريا، وفلسطين، والكويت، وليبيا وحتى المدينة المنورة، ولولا أن وقوف بعض الدول والحكومات وراء هذه المسلسلات ودعمها للتخطيط لهذه الجرائم الشنيعة التي هي وصمة عار وشنار على جبين الإنسانية، لولا ذلك لكان العالم البشري يعيش في سعادة وهناء على اختلاف القارات والديار، ولكن هيهات لم يجد هذا الحلم اللذيذ طريقه نحو تحقق وجوده وظل في نطاق أضغاث الأحلام، بل الواقع أن نطاق الهجمات المباغتة توسع إلى حد كبير، وتوصل أوارها إلى البلدان والمناطق الآمنة المطمئنة، فما حدث في تركيا قبل أيام في أواسط شهر يوليو لهذا العام من انقلاب فاشل ضد الحكم الموجود هناك، والذي سبب أزمات سياسية وخسائر من الأرواح وفقدان الثقة والولاء في الجيش التركي بوجه عام، إن ذلك لا يخلو من تأثير المخططات الإجرامية التي تدفع إلى التفجيرات تارة وإلى قلب نظام الحكم تارة أخرى.

لا يقال إن أنصار وأعوان "الدولة الإسلامية المزعومة" هم المسئولون عن جميع هذه الحوادث والانقلابات والتفجيرات والحملات الانتقامية، بل الواقع أن هناك أسباباً كثيرة لإحداث القلاقل والاضطرابات وإشعال نار الخلافات والعداوات فيما بين المسلمين وغيرهم، وإن أقل تدبر فيها وتفتيش عنها يكشف الحقائق التي تختفي وراء أهداف سياسية رخيصة وغالية، أو من خلال عواطف عدائية، ودوافع انتقامية تتبناها بعض الجهات السياسية ضد الجهات الآمنة المحايدة.

وقد جاء فيما نشرته جريدة (الشرق الأوسط) في عددها الصادر يوم ٢٥/ من شهر يوليو لعام ٢٠١٦م حول ما حدث في تركيا من انقلاب فاشل: وذلك بقلم: (سعيد عبد الرزاق) وذلك إن دل فإنما يشير ويدل على أن هناك عناصر معادية تعمل لصالح الثائرين على حكومة تركيا الموجودة، يقول:

"لا تزال تداعيات المحاولة الانقلابية الفاشلة الأخيرة في تركيا تتفاعل، حذرت مديرية الأمن العالم التركية من احتمال سعي منظمة

الداعية فتح الله غولن المتهم بالوقوف وراءها لنشر الفوضى في البلاد، عبر تحريض عناصر منظمة (حزب العمال الكردستاني) الانفصالية، واتهم وزير العدل (بكير بوزداغ) واشنطن، بأنها كانت على علم مسبق بإدارة غولن للمحاولة الانقلابية الأخيرة في تركيا".

كل هذه الاعتداءات والخروج عن حدود الطبيعة الإنسانية التي أودعها الله سبحانه في أفضل خلقه الإنسان، إنما هو نتيجة معلومة للخروج عن ذلك النطاق الذي وضعه الله سبحانه وحدده بواسطة الأنبياء والرسل الذين أرسلوا إلى العالم البشري لكي يعلموه الطاعة السماوية والخضوع أمام أوامره والوقوف عند حدوده ويقوموا بالتربية المطلوبة لتنفيذ تعاليمهم فيما يتعلق بهداية البشر إلى الصراط المستقيم الذي يتفق وطبيعة الإنسان في كل زمان ومكان وعلى اختلاف الأجناس والأوطان، وعلى تباين الديار والأمصار.

ترى أن الخروج عن طاعة الله تعالى، ومحاربة الطبيعة البشرية، واتباع النفس والهوى، أدى العالم البشري اليوم إلى نتائج وخيمة من قضايا معقدة ومشكلات مستعصية ومسائل عويصة دقيقة، كما قد بعث ذلك دوافع مضادة في المجتمعات البشرية وبعث الناس على نقض قوانين الطبيعة البشرية وإثارة القلاقل والاضطرابات، والعنف والإفساد في الأرض وسفك دماء الناس من غير ذنب أو جريمة، وقتل الأبرياء لتحقيق الأغراض الرخيصة من أهواء النفس، طلباً لأعراض الدنيا الرخيصة الخسيسة فحسب. يقول الله تعالى:

(فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ) (قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

واقع العالم البشري
بين تاريخه القديم والحديث!*

أودع الله سبحانه وتعالى في طبيعة كل إنسان أن يعيش في الدنيا حياة سعادة وهناء، فيبذل جهده على هذه النقطة بما ورثه من أبويه أو تلقاه من أستاذه أو تعلم من بيئته، ومن ثم تتعدد مجالات الجهد والعمل التي يسرها الله تعالى لبني آدم باختلاف البلدان والمناطق والأجواء والطقوس، وتعدد العادات والتقاليد، ولكنه نظمهم في سلك واحد من نظام الشريعة الذي يعم الإنسان مهما كان في أي زمان ومكان، وإن كان العالم البشري بأكمله لم يدرك هذا السر الإلهي، وأقبل على البحث عن السعادة وسلك في ذلك طرائق قدداً، تنحت به عن الشارع الرئيسي وحالت دون اتباعه صراطاً مستقيماً صنعه خالق البشر وفق طبيعته التي فطر عليها، وأكد عليه في قوله: (وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

بالرغم من هذه الحقيقة الناصعة ووجود هذا الصراط المستقيم مفتوحاً لكل إنسان، وجدت جماعة ممن يتعامون الحق ويسدلون عليه ستاراً غليظاً يصد عن رؤيته، ويؤدي الناس إلى أن يخبطوا خبط عشواء بحثاً عن الطريق، ولكن دون جدوى؛ ذاك أن الطريق الذي اختاروه لنشدان هذه الضالة لم يكن طريقاً طبيعياً، ولم يكن في ضوء المواصفات التي أنزلها الله سبحانه تلقائياً على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي، ولولا ثقتهم بالباطل وانحرافهم عن الحق لكان سيرهم على الخط الطبيعي ميسوراً، والوصول إلى الغاية المنشودة أكيداً، غير أنهم ساروا على طريق الهلاك والدمار وأصروا على ما فعلوه، مثل الأمم المتمردة التي حاربت رسالة الله للإنسان وشريعة السماء المنزلة لصلاح أهل الأرض على السابقين من الأنبياء والرسل، فهذا نوح عليه السلام نصح لقومه كثيراً وبسط إليهم ذراعيه لكي يأخذوا منه ما

* مجلة البعث الإسلامي، عدد نوفمبر ٢٠١٤م.

ينفعهم، وإنه لم يدخر وسعاً في إقناعهم بالخير الذي أراده الله لهم، حتى إذا استيأس وتأكد أنهم لا يؤمنون التجأ إلى الله تعالى وقال: (رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ).

ولا أدل على قدرة خلق الإنسان وحكمة الخالق جل وعلا فيه أنه ميزه بصنعة عجيبة في ظاهر صورته وبواطن تركيبته، وفي السر الذي أودعه فيه بجعله خليفة في الأرض دون غيره من الكائنات مهما كانت كبيرة الحجم، قوية البنية، مهيبة الشكل واللون والقامة، ثم سخرها كلها للإنسان، أليس ذلك لأنه أفضل الخلق كله، من جميع النواحي، بقلبه وروحه وعقله وتمييزه بين الطاعة والمعصية، والنفع والضرر، والبتّ في الأمور، واستعمال سلطته في الخيار، والحكم فيما يؤخذ وما يترك، فأرسل المصطفين من عباده ممن يدعون الناس إلى الخير ويدلونهم على ما يحبه الله تعالى من الأعمال وما يكرهه أو لا يرضاه منها، ولا ريب فيما إذا كان تاريخ الإنسان حافلاً بهذين الجانبين بين امتثال الأوامر والامتناع عنها والحكم فيها بعقله، والتفكير فيها والنزول على رغبات النفس بوحي من المصالح التي يرضاها العقل، فإما إلى الطاعة والامتثال وإما إلى المعصية والإنكار، وقد أشار الله سبحانه إلى هذا المعنى فقال: (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْمَرْحَمَةِ، أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ، وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) "سورة البلد/١٧/١٩". لقد أفاض الله سبحانه على هذا الإنسان من أنواع النعم ومعطيات الجسم والروح والعقل والقلب، ثم أنزل له شرائع وأحكاماً للعيش في عزة وسعادة في الدنيا، وجنات ونعيم في الآخرة، ومع كل ذلك وفر له منابع الرزق ومواضع العمل ومكامن الخير وطمأنينة القلب، ومفاتيح الفكر والعقل، وأتبعها توجيهات وتعاليم لكي لا ينزلق إلى مزالق النفس الأمارة بالسوء، وأتبعها يتناسى مكانته ودوره في الحياة، ويتنزل إلى منزلة سافلة لا تليق بالأنعام، فاقداً جميع تميزاته وشرفه، وذلك ما قد صرح الله سبحانه به في أقدس كتابه: (لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا، وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ، أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ).

فإذا وجد هناك ناس ممن يدعون بالإسلام، أو كانت هناك جماعة تعلن عن غيرتها الإيمانية وتجديد العمل بدين الله الأخير، وتنادي

بالعودة إلى تاريخ الإسلام وإحياء الخلافة الإسلامية ورفع رايتها في كل مكان، فذاك واقع يبعث على الأمل في النفوس، ويجدد الثقة بهذا الدين وخلوده وكماله، ويؤكد أن المستقبل له مهما كانت الظروف، ولكن هذا العمل الجاد يفتقر قبل كل شيئ إلى قوة إيمانية خالصة ونوايا مخلصة صادقة، وقدوة عملية نادرة، وقلما يتوافر هذا النموذج العملي المثالي في مجتمعات المسلمين اليوم حتى في المراكز الدينية، وذلك في الحقيقة ضالتنا اليوم، وإن علماء الدين ودعاة الإسلام، والمسئولين عن العمل الإسلامي يسعون للبحث عنها وإخراجها من حيز الخفاء إلى الظهور، ومن زوايا الخمول إلى مجالات العمل والتنفيذ، ولكن هذا السعي المخلص لا يسفر عن نتائجها الإيجابية إلا بالجد والعمل الدؤب وبالعلم والحكمة بل ولا يتيسر ذلك إلا بالإخلاص الكامل، بل وهو يترقب تضحيات جساماً من المال والنفس والامكانيات المادية والمستقبل ويطلب الاستغناء عن المنافع العاجلة والمناصب المرجوة في الدنيا، ذلك لأن الله تعالى اشترى من عباده المؤمنين كل شيئ من النفس والمال، إنه يقول: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ، وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة – ١١١).

يقول الأستاذ سيد قطب في "ظلال القرآن" في تفسير هذه الآية:

"والذين بايعوا هذه البيعة، وعقدوا هذه الصفقة، هم صفوة مختارة ذات صفات مميزة، منها ما يختص بذوات أنفسهم في تعاملها المباشر مع الله في الشعور والشعائر، ومنها ما يختص بتكاليف هذه البيعة في أعناقهم من العمل خارج ذواتهم، لتحقيق دين الله في الأرض، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام على حدود الله في أنفسهم وفي سواهم". (ظلال القرآن).

إذن ليس كل من هب ودب ممن باع نفسه وماله لله الذي هو المشتري، وثمن هذه السلعة الغالية أغلى من كل ما يتصوره المرء، وهو الجنة، فأين أولئك الناعقون بإعادة الخلافة الإسلامية وتوطيد دعائم الدولة الإسلامية في بعض الدول المسلمة في العالم الإسلامي، أين هم من المؤمنين الذين باعوا أنفسهم وأموالهم بيد الله تعالى وبإزاء الجنة، ولا ينجبهم التاريخ فجاءة من غير عمل سابق وبدون تربية مسبقة ذات

تكاليف باهظة تعتبر من أغلى المتاع، وما هو إلا النفس والمال، إن ذلك لا يتحقق بإقامة منارات من الجثث ولا من قطع الأعناق ورميها بالأقدام ككرة قدم، إن التأهيل للجهاد وليس أمراً هيناً، وإنما يتم ذلك بعد مران طويل على التضحية بالنفس والمال وإنفاق الرخيص والغالي في سبيل الله، يتدرب عليه المسلم المؤمن في ضوء المناهج التربوية التي وضعها الله تبارك وتعالى وطبقها على حياة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وربى عليها أصحابه رضي الله عنهم إلى أبعد المدى، وأنشأ جيلاً مثالياً قاد العالم وساد المجتمع، وأشرف على إعلاء كلمة الله في كل حين وآن، وطبق شريعة الله على كل إنسان وسجل بذلك تاريخاً لا مثيل له في العالم البشري اليوم.

أما أن يفاجئ العالم شخص، يزعم أنه قيض لتغيير المنكرات الفاشية في المجتمعات البشرية والسياسات العالمية، وأنه بعث لمحاربة الرذائل، قبل أن يكون له تاريخ مسبق في ساحة العمل الإنساني والدعوة الإسلامية، فلا يمكن أن يكون سديد الرأي في تقديراته، وأساليب عمله، دون أن ترافقه حكمة ربانية أو فقه أو موعظة قبل خططه التدميرية وإهلاكه الحرث والنسل.

تاريخ الإسلام في فجره حافل بالمحن والشدائد التي تحملها المسلمون السابقون بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مدة تستغرق ١٣/ عاماً في مكة المكرمة، ثم جاء الفتح والنصر، وقامت الدولة الإسلامية تبعتها الخلافة الراشدة، وقد أشار إلى هذا الواقع التاريخي الخالد الله سبحانه وتعالى في سورة النصر : (إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجاً. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابَا). جاء في تفسير سورة النصر لابن كثير: "روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم".

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني

غارات شعواء على الإسلام وحضارته البناءة

أولياء الطاغوت والإفساد في الأرض![*]

هناك أدواء كثيرة تُعاني منها المجتمعات البشرية اليوم، ومعظمها أمراض خلقية ونفسانية أنتجتها انحرافات في البحث عن المسار الصحيح للحياة، أو أخطاء في تعيين الهدف الإيجابي السليم الذي ينبغي أن يسعى المرء لتحقيقه بالعوامل الفردية والجماعية والترابط الإنساني الذي يقوم على أساس طبيعي وبنية صالحة بعيدة عن النفعية والأثرة وفقدان النصح الذي يعتبر قاعدة التواصل الحضاري الأصيل، ومعلوم أن الإنسان لا يستغني عن حياة اجتماعية يتبادل فيها الناس القدرات والكفاءات، ويستفيدون من تبادل التجارب في بناء المستقبل اللائق، وهي ضرورة أكيدة في جميع المجتمعات الإنسانية على اختلاف الديار والأمصار، وقد ادعت بذلك الفلسفات الحضارية القديمة كلها، وإن كانت الأغراض تختلف وتتصادم بعض الأحيان، ولكنها ألحت على إدراكها الصحيح واعتبرتها ركيزة الانطلاق نحو العيش الرغيد، فلم تقصر في توزيع الإنسان بين خلايا كثيرة من الطبقات العالية والسافلة ووضع قلادة العبودية في أعناق بعض الطبقات، ورفع البعض الآخر إلى آخر درجة من العزة والكرامة، كما شهد بذلك تاريخ الحضارات الإغريقية والحضارات الرومية واليونانية، حيث كان الإنسان يوزن بميزان مادي بحت.

إلا أن هذه الفلسفات الجائرة الزائفة لم تحدث تغييراً في المسار الذي كان متعارفاً لدى المجموعات البشرية، ولا أتت بثمار جنية للمدنية الصالحة التي توفر للناس ملجأ عز وسعادة وخير، ومركزاً للحب والأخوة والسلم والسلام، مما يجعله المرء منصة للدعوة إلى بناء الحياة والمجتمع على قاعدة التناصح والعمل الإيجابي الذي يكون فيه وقاية من كل النشاطات السلبية التي تعكر صفو الحياة وتصيب المجتمع بأضرار بالغة من الأمراض الخلقية التي توسع نطاق الخلافات والعداوات التي مرت بها المجتمعات البشرية أيام الحضارات البائدة والجاهليات التي عاشتها الأمة الجاهلية في الجزيرة العربية قبل بزوغ شمس الإسلام المشرقة.

أنتج ذلك الوضع المخيف من الصلف والغرور في مقاييس العزة والشرف، وانتهت القيم العالية التي تورث المثالية الاجتماعية وتبعث

[*] مجلة البعث الإسلامي، عدد فبراير ٢٠١٦م.

الشعور بالسعادة في النفوس وترفع مكانة أفراد النوع البشري في الكائنات بكاملها بإزاء أجناس أخرى من الخلق، وبذلك يسود الأمن والسلام والحب والوئام بين الناس من غير التميزات المزعومة والفوارق الجنسية والقومية التي تبنتها المجموعات البشرية، ومن غير وعي بالمساواة التي أكرم الله تعالى بها جميع بني آدم في هذا العالم رغم اختلاف الشعوب والقبائل التي جعلها الله سبحانه للتعارف فيما بينهم (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ). (الحجرات: ١٣)

ولما تناسى بنو آدم هذه الشهادة السماوية وأنشأوا مقاييس كاذبة من حب الذات، ومن العز والذل، والخير والشر، والكفر والإيمان، والعدل والظلم، ظهر في أرض الله تعالى ألوان من الفساد، وسعى الناس لكي يفسدوا فيها، ويتكابروا في تثبيت دعائم الشرف لأنفسهم ولأهليهم، وتأخذهم العزة بالإثم كما قد صرح بذلك الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة من كتابه فقال: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ). (البقرة: ٢٠٤ – ٢٠٦)

في عالمنا اليوم صراع شديد في التسابق بين عمليات الإفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل، فكلما تبين أثر من آثار الفساد في بقعة من الأرض تبعتها آثار أكبر وأشد من سابقها في عدد من بلدان العالم الإسلامي، وقامت مسرحيات ينسج على منوالها ما يكون أسفك منها للدم الإنساني الذي يهراق ويحرق بسخاء ومن غير رحمة وهوادة بل بغاية من القسوة والشناعة، تمطر القنابل السامة على العمران وتسحق الدبابات الأجسام البريئة وتطرد السكان من بيوتهم يتيهون على الطرقات والصحاري ولا يجدون ملجأ في أي مكان فيهاجرون إلى ديار الكفر وبلاد الأعداء ويعبرون الأنهار والبحار ويركبون السفن للانتقال من بلادٍ الفساد وسفك الماء إلى بلد آمن يتوقعون أن ينالوا فيه ملجأ ومسكناً ولكن هيهات، فإن معظم السفن تغرق بكثرة ركابها وأكثر البلدان تطردهم من الدخول والإقامة، وإن كان بعض الدول المسلمة توفر لهم ملجأ وتستقبلهم بدافع من الأخوة الإيمانية وتقبل منهم عدداً كبيراً كما كان في المملكة العربية السعودية حيث يعيش عدد كبير من المهاجرين من سوريا والعراق، يبلغون الملايين، وكما في تركيا الإسلامية جمع حاشد من المهاجرين السوريين والعراقيين.

إن مجرد هذا الوضع الشائن في عالمنا الإسلامي مبعث أسف وأسى بالغين، وليس هناك من يصد هذه المصائب ويواجهها بالشجاعة والجراءة الإيمانية سوى الحكام الغيور من بلدان المقدسات الإسلامية والبطولات الإيمانية التي تعتبر مأرز الإسلام والمسلمين، وهم الذين يقدرون على تغيير وجوه الفساد في الأرض، وإعادة الثقة بالدين الحنيف وتاريخ الإسلام المشرق الحقيقي إلى قلوب الناس من الشباب والفتيان وإلى رموز الاهتمامات بالدعوة إلى الله تعالى وشريعته الباقية الدائمة، ولكن هناك عدداً كبيراً ممن يتولون الإفساد في الأرض ولا يتلكأون شيئاً في الاعتداءات على الآمنين وانتهاك حرمات المؤمنين وسفك دماء الأبرياء المسالمين، ويبدو أن الدول الغربية قائمة على قدم وساق للقضاء على كل ما ينتمي إلى الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ولها عملاء ووكلاء مخلصون لتنفيذ التعليمات الإجرامية ضد المسلمين ومنشآتهم ومنظماتهم البناءة الإيجابية. وما يحدث اليوم في الشرق الأوسط وفي عدد من الدول المسلمة ضد المصالح الإنسانية من اعتداءات صارخة وخرق للقوانين الدولية لم يعد خافياً على العالم، وقد نشرت الجرائد ووكالة الأنباء العالمية أخبار إحراق السفارات ونهب الممتلكات والمحتويات من المقرات الدبلوماسية في بعض دول الشرق العربي والفارسي، مما يهدد القوانين الأممية التي وافقت عليها الأمم المتحدة، وهي كارثة تكفي لتوتير العلاقات بين البلدان والدول العالمية وكأنها دوس للكرامات وإهانة للمواصفات الأخلاقية، الأمر الذي يهدد النظام العالمي بخطر كبير وشر مستطير.

مثل هذه المواقف السلبية التي تقفها أي دولة كانت تتمتع بالثقة والاحترام من خلال إنجازاتها العامة، تُفقدها حق البقاء الصالح فضلاً عن قيادة أخواتها وصديقاتها، وتحرمها من توفير شهادة التعايش السلمي وأداء حقوق الجارات التي لها دور كبير في تعميم السلام العالمي ونشر مناخ الحب والأمن بين الأمم والشعوب، وبذلك يشهد تاريخ الدول التي عُرفت بالمحافظة على القيم الإنسانية في كل مجال من مجالات الحياة، ولم تتجاوز حدود التناصح والتصالح في أي فترة من تاريخها.

أما ما يحدث اليوم على الساحة العالمية من السباق الجريئ في التصنيع من كل نوع حتى في تصنيع الأسلحة الفتاكة وإنشاء مصانع القنابل والصواريخ ذات التأثير السريع، وفي شراء كميات هائلة من الأسلحة المدمرة وإدهاش مناطق آمنة مطمئنة وتخويفها بالهجمات المفاجئة، فلا ريب أنه عمل غير طبيعي وغير شرعي وليس له مبرر ما لم

يكن هناك ما يحتم من الإعداد الحربي دفاعاً عن الدين أو العرض أو الحرمات الإنسانية، ولكن الذي يجري اليوم في دول العالم الإسلامي من خلال الدول الكبرى العالمية، وبواسطة العملاء المأجورين من تدميرات وتشريدات، ومن انتهابات للأرواح والأموال، وإمطار القنابل والقذائف على الرجال والنساء، والشيوخ والشباب والأطفال، وتدمير البلاد وتخريب العمران، وفرض المهاجرة والفرار من أرض الوطن إلى أراض مجهولة ومناطق أجنبية لا تكاد تغطي عدداً محدوداً من الفارين واللاجئين إليها، فضلاً عن أعداد هائلة منهم، ومن لا يدري تفانيهم في الصحاري وغرقهم في البحار، وما إلى ذلك.

كل هذه الأحداث لا عبرة بها لدى الحيوانات والبهائم فضلاً عن الحيوان العاقل والإنسان الناطق، إنها جريمة لا غفران لها، وكبيرة متعمدة لا يرتكبها إلا من تلوثت فطرته بالأقذار، وتبدلت بالرذائل والخبائث التي لا يقرها من كان في قلبه ذرة من الإنسانية، وما يجري اليوم في فلسطين والمسجد الأقصى مع أهلها وسكانها من جرائم وحشية من الصهاينة والمجرمين الوحوش، وما يلاحقها من خرق الكرامات، وانتهاك الحرمات، وتدنيس الأقصى المبارك والمحاولات الجادة المستمرة لهدم القبلة الأولى، إنما تقشعر منها الجلود بمجرد تصورها، وكيف يقتل الآن الصبيان والشباب والنساء والرجال في هذه الأرض المقدسة، لا نكاد نقيس ذلك ونقدره من بعيد.

إنها مشكلة الفساد في الأرض، وهل يتولاها اليوم إلا أعداء الإسلام والمسلمين، من الغرب والشرق وهي من قضايا السياسة الرخيصة ومن نتاج النوايا الفاسدة، كما أنها أزمة إيمان وأخلاق ومن نماذج الابتعاد عن دين الله تعالى، وعدم الالتجاء إليه بصالح الأعمال، والاستغناء عن النصر السماوي والاعتماد على أتفه الأسباب، والفرار عن النور والتيه في الظلمات، ولنقرأ ما أعلنه رب السماوات والأرض في كتابه العظيم مدوياً مجلجلاً فقال:

(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (سورة البقرة، الآية: ٢٥٧).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المسلمون مستهدفون قديماً وحديثاً!*

لا تزال محاصرة المسلمين على المستوى العالمي تتضايق عبر السياسات المعادية التي يحتضنها الغرب منذ أمد بعيد قد يرجع تاريخه إلى عهد ازدهار المسيحية في القرون التي تلي بزوغ شمس الإسلام في الجزيرة العربية، وإشراقها في جهات العالم شرقاً وغرباً، ورغم اتساع نطاق العداء ضد الإسلام ومروره بأدوار مختلفة، وتنوع أساليبه ودعاته الأذكياء لم تتحقق أمنيتهم في إطفاء نور الإسلام، وإخراج هيبته ومكانته من قلوب الناس، فبدءاً من وجود الخوارج والفلسفة الباطنية، ثم الغارات الصليبية وغارة التتار على الإسلام ومراكزه في القرن السابع الهجري، إلى الجهود الاستشراقية وإثارة الشكوك والشبهات حول صلاحية الإسلام وشموليته، والتي امتدت في القرون التالية إلى المدنية الغربية والحضارات المادية التي عاشتها الأمم الغربية والشعوب الأمريكية ومن إليها، تسلسل تاريخي للقضاء على روح الإسلام من المجتمع وعلى اعتباره في ميزان الحياة وتأكيد الحضارات الإنسانية المادية وتقوية أواصرها بالإنسان، في الوقت الذي خانته فيه الحضارات القديمة وحتى الحضارة التي صنعها الإسلام ضعف تأثيرها، ولم تعد صالحة لبناء السيرة الإنسانية والمسايرة مع الزمان.

ومن ثم نالت الصورة المنافية للإسلام رواجاً في المجتمعات الغربية وسارت المدنية الغربية سيراً حثيثاً نحو معارضة الإسلام ودعوة المسلمين إلى المسيحية تارة والصهيونية تارة أخرى، وأخيراً لتخويف الرأي العام الأوربي والأمريكي من المسلمين اخترعوا مصطلح " الإسلاموفوبيا " الذي يهدد نتائج الحوار الحضاري الإسلامي بين الإسلام والغرب، ويؤكد خيبة الدين الإسلامي لاستجابة مقتضيات الإنسان المعاصر في دنيا اليوم.

وحسبنا أن ننتقل الآن إلى إنشاطات اليهودية الإجرامية ضد الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم وكتاب الله تعالى القرآن الكريم، فهذا الأسقف الأمريكي اليهودي (تيري جونس) قام بكل

* مجلة البعث الإسلامي، عدد يوليو ٢٠١٦م.

وقاحة لكي يعلن عن إحراق كتاب الله تعالى في يوليو عام ٢٠١٠م، من خلال تويتر أكاونت (Twitter Account) إلا أنه لم ينجح نتيجة ضغط المنع من الحكومة الأمريكية، ولكنه نجح في ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء بعد مدة قليلة في ٢١/ من مارس ٢٠١١م، ثم إنه لم يتوقف عن تحركاته الإجرامية ولم يكتف بما فعل مع كتاب الله تعالى من جريمة لا تغتفر بل الواقع أنه تشجع أن يخطو نحو الاستهانة بالإسلام وبخاتم النبيين عليه ألف ألف صلوات الله وسلامه، وارتكب جريمة أخرى تقشعر منه الجلود، ذاك أنه تعاون في صنع فيلم خبيث ضد شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بالاشتراك مع عدو الإسلام اللدود (سام باسيل) ولم يكن الفيلم إلا خطوة إجرامية وقحة تشتم الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحقير شأنه، قد عرّفه بعنوان (Innocence of Muslims)، وفور صناعته هذا الفيلم الخبيث أعلن (سام باسيل) أنه سوف يجمع آلافاً من نسخ القرآن الكريم ويحرقها في مكان شعبي ولكنه لم ينجح في تنفيذ هذه الوقاحة الملعونة حينما أمرت الحكومة الأمريكية بالقبض على (تيري جونس) الذي كان وراء هذه العملية النجسة ويساعد صديقه (باسيل) من وراء حجاب.

ومما لم يعد خافياً على الباحثين عن ردود فعل هذه الجرائم الملعونة أن الجنود الأماركة في سجن أبي غريب بالعراق إنما قاموا أمام السجناء المسلمين برمي كتاب الله تعالى إلى مستنجيات السجن شفاءاً للغيظ ضد الإسلام وكتاب الله والنبي صلى الله عليه وسلم، وهل يتناسى التاريخ العالمي الحاضر تلك المذابح التي يرتكبها الصهاينة في بلد الإسلام فلسطين، والمجازر الرهيبة التي تقام حيناً لآخر ضد المسلمين الفلسطينيين، والحصارات التي تُفرض عليهم لكيلا يمكن جلب الغذاء والدواء والماء من البلدان المجاورة، أما الغارات المتتابعة والحملات المدمرة لمدينة غزة فلم تعد مجهولة لدى العالم البشري في أي بقعة من العالم.

إن داعش، وما يدريك ما داعش، إنه دمية يهودية ووليد الغرب الذي والده إسرائيل، التي خلقته للخداع والتلبيس، وألبسته لباس الخلافة الإسلامية التي تمهد له الطريق نحو العالم الإسلامي، ويؤكد للمسلمين أنه سوف يحارب الدول المعادية ضد الإسلام، وسيقيم خلافة الله في

الأرض، ولكن النشاطات التي قام بها انحصرت قبل كل شيئ في دعوة المسلمين وشبابهم للانضمام إلى جيشه المزعوم، ثم في قطع أعناق الشباب المسلم وتدمير الآثار الإسلامية إتاحة الفرص للاحتلال ببلدان المسلمين وتسخير الشعب المسلم لخدمة اليهودية العالمية، وقد اغتر كثير من الشباب المسلم وزعماء المسلمين بادئ ذي بدء، ولكنهم تراجعوا إلى الوراء لما تكشفت عليهم الحقيقة، وعرفوا الغاية الخسيسة التي توختها اليهودية العالمية من خلال هذه الألعوبة الصبيانية، وقد نشرت الجرائد بموت أبي بكر البغدادي من جراء المقاصفات المزعومة التي تقوم بها أمريكا لتصفية وجود داعش من بلدان المسلمين، هذا وتجري في الولايات المتحدة نشاطات انتخابية لرئاسة أمريكا يزعمها بطلها المعروف (دونالد ترمب) مرشح حزب ري ببليكن لرئاسة الولايات المتحدة وقد أدلى كثيراً في الاجتماعات الشعبية من وجهات نظره نحو المسلمين في أمريكا بالذات، وعامة المسلمين في كل مكان، وهي تتلخص في تصفية وجود المسلمين من بلدان العالم وطردهم من الولايات المتحدة، الأمر الذي جعل مقابل (ترمب) هلاري كلنتن أن تتناوله بنقد لاذع حول مزعوماته ضد المسلمين سواء في أمريكا أو خارجها، فقد نشرت الأنباء سابقاً أن (ترمب) اتهم أوباما الرئيس الحاضر أنه يتميز بالعطف على الإرهابيين، ويحميهم كذلك، فردت على ذلك كلنتن قائلة: إن ما يقوله (ترمب) ليس من الواقع في شيئ، بل إنه مبعث شقاء، واستطردت إنه يتعرى من كل صفة خلقية من الصبر والأناة والحلم فكيف يمكنه أن يقود الشعب الأمريكي إلى غايته المنشودة، إنه لا يصلح بقيادة الولايات المتحدة، وقد رفضت جميع الاتهامات التي ألصقها ترمب بشخص أوباما، واستنكرت فعاليته التي يتظاهر بها في المراحل الانتخابية.

ولا ريب أن تزايد عدد المسلمين ونشاطهم الإنساني في جميع المجالات الخلقية والتعاملية والدعوية والشعب الدينية وتعاطفهم مع العالم البشري أثار نقمة ضدهم بصورة عامة لدى الشعوب الغربية والأمريكية اليهودية، وما ذلك الغيظ الخانق لهؤلاء التجار الرخصاء والزعماء المزعومين في الدول الغربية والحضارات المادية إلا لأنهم يصورون جميع المعاني الشريفة للحياة ويزكون المجتمعات البشرية من خلال وحشية

وعادات بهيمية، ويستنكرون المناكير والفحشاء، ثم إنهم يحولون دون الحفايات الإنسانية والجرائم الخلقية والتحررات الجنسية، ويحاولون رفع الحياة والمجتمع إلى قمة العز والشرف والإيمان بتجريدهما من كل ما يجعلهم في أسفل السافلين، ولقد كان عقد مؤتمر منظمة الرابطة الإسلامية الثالث عشر في إستانبول خلال يومين الرابع والخامس عشر من شهر أبريل بعنوان الاتحاد والوحدة الفكرية (Unity and Solidarity) بحثاً عن هذه الغاية المفقودة والمنشودة، وإن وجود مثل هذه المنظمات والمجاميع الإسلامية ستتكفل ببقاء الأمة الإسلامية على رسالتها ودعوتها الإنسانية والاجتماعية، وستضمن إفراز المواد الفاسدة من جسم العالم البشري، ما دامت النوايا مخلصة والمجهودات صادقة بعيدة عن كل نفعية أو انتهازية وكانت الدعوة إلى المعروف والنهي عن المنكر مستمرة بإذن الله تعالى، ولقد قال الله تبارك وتقدس: (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ. إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

هل نحن
على أبواب حرب عالمية ثالثة؟!*

يبدو أن أسواق التجارة العالمية تزدهر اليوم، أكثر من أي فترة تاريخية في مجال التصنيع الإبداعي، فقد تفننت المصانع الكبرى في إنتاج أسلحة وآليات لم يسبق لها نظير في الحربين العالميتين الكبيرتين اللتين شهدهما العالم البشري بين فترتين من القرن المنصرم (١٩١٨ – ١٩١٤ و ١٩٤٤ – ١٩٣٩م)، ولعل منظمي هذا المخطط السرّي – باسم التطور الحضاري – ينفذونه في مراحل مختلفة لبسط نفوذهم بالسيطرة الكاملة على بلدان العالم الإسلامي ذات التاريخ المشرق في العهد الإسلامي الزاهر، وخاصة على العراق وسوريا واليمن والجزيرة العربية التي فيها الحرمان الشريفان ومصر والسودان وليبيا والمغرب وتونس، إن هذا التخطيط يبلغ من الخطورة إلى ما ليس في تصور كثير من عقلاء العالم البارعين في مجالات السياسة العالمية.

وقد أفادت بعض وكالات الأنباء العالمية عن كشف تقرير سرّي مسرب من معلومات استخبارية سرّية كذلك، أن هناك تخطيطاً دولياً عميقاً ذا خطورة عظيمة ضد الدول العربية، ومؤامرة كبيرة على المملكة العربية السعودية خاصة بواسطة العمليات التهجيرية الجارية المستمرة في حلب وسوريا، ومعلوم أن تهجير نصف سكان سوريا تم في مدة ليست طويلة، ويُرجى أن النصف الباقي سيتم تهجيره وطرده من هذا الوطن الإسلامي خلال مدة قصيرة، ذاك أن زعماء الوطن الإسلامي لم تعد لهم سلطة إزاء الاتفاق السري الذي تحقق بين الدول الكبرى من أمريكا وروسيا ومعهما إيران وإسرائيل والدول الغربية الأخرى التي هي واقفة بالمرصاد للسيطرة الكاملة على أهم استراتجية المضايق والممرات المائية، ذلك كمضيق هرمز وباب المندب وقناة السويس مع التحكم بالملاحة البحرية في الخليج العربي وبحر العرب والبحر الأحمر، ولعل حلم الغرب يتحقق بذلك في إقامة دولة اليهود والصهيون في إسرائيل وتوسعة نطاقها

* مجلة البعث الإسلامي، عدد فبراير ٢٠١٧م.

إلى آخر ما يمكن من الفرات إلى النيل، وبضم أجزاء كبيرة من سوريا ولبنان إلى إسرائيل، ومع ذلك تصبح إسرائيل قوة كبرى لا تقهر – كما يزعمون –.

إن "عمالقة الغرب" هؤلاء يزعمون كذلك أن جزيرة العرب سوف توزع إلى دويلات صغيرة تابعة لإيران مقابل صفقات تم الاتفاق عليها، وما هي إلا صفة تقاسم ثروات النفط والغاز والمعادن التي تتوافر في الجزيرة العربية، بين روسيا وإسرائيل وبريطانيا وفرنسا، كل حسب تقسيمه المئوي، فمثلاً ٣٠٪ روسيا، و ٢٠٪ بريطانيا، و ٣٠٪ أمريكا و ٢٠٪ إسرائيل وإيران، وهكذا يمكنهم نهب ثروات العالم العربي والجزيرة العربية حتى يتحول أهلها فقراء، يمدوا أيديهم سائلين ما يرمونه إليهم من كسرات خبز – لا قدر الله تعالى –، وذلك بإثارة طبقة من سكان العالم العربي على حكامه ومتولي أموره، إذ من المعلوم أن عدداً ممن أعطوا سعة من المال والحصانة وأن لفيفاً من الأقرباء والأصدقاء يريدون الاستغناء عن قانون البلاد، أما التجار الكبار فهم يرتبطون قانوناً بالحكم ويوالونه، وكذلك الشعب والجماهير فهم في رعاية الحكومة موالين لها ومحبين لحكامها والحكومات كلها في الأراضي والدول العربية في غاية من الإخلاص ومشغولة بأداء واجبها، وقد شغلتها المجموعات الاتحادية الغربية بثورات ومعارك أوجدتها تارة ضد الحدود، وتارة أخرى بالاستيلاء على خيراتها، ووضع الحصار المزعوم على قدراتها واقتصادها.

وقد استهدف الغرب ومواليه من دول العالم المملكة العربية السعودية للاستيلاء على منابع ثرواتها من البترول والغاز والمعادن مع تجميد أموالها المودعة في بنوك العالم وهي تزمع الآن مصادرتها بما في ذلك أموال المؤسسات والشركات الخاصة والعامة، وأموال الملوك والأغنياء والتجار المسلمين، مبررين هذه المصادرات والتجميدات لكي يتمكنوا من سدّ جميع المنافذ التي يجد منها المتطرفون والإرهابيون سبيلاً لدعم (داعش)، ذاك أنهم إنما يؤكدون للعالم كله بأن الإرهاب يأتي من بلاد المسلمين، وتنظيم داعش ليس إلا جماعة من المسلمين، رغم أن هذا التنظيم المشئوم ليس إلا وليدة الدول المادية كلها، فاجأت العراق وسوريا واليمن وليبيا وحتى المملكة العربية السعودية، لمجرد قتل المسلمين

ومن على شاكلتهم، وتدمير طاقاتهم من كل نوع، وإلا فمن أين ملكت برامجها الخطيرة آباراً من البترول وأموالاً طائلة لا يأتي عليها الحصر، وكمية كبيرة من الأسلحة والصواريخ ذات الفاعلية السريعة، ثم من أين تيسر له عدد هائل من الجنود البارعين في السيطرة على المدن الكبرى وأراضي المسلمين، وكيف تملك هذا التنظيم مجموعة من الشُناق وقُطاع الأعناق المعاصرين، مما لا يخفى على من يتابع الأخبار الدولية التي تنشرها وكالات الأنباء العالمية.

وقد حاولت الدول الماكرة المنافقة في تهدئة أعصاب مسلمي العالم الذين يتصلون بالحرمين الشريفين إيمانياً وعاطفياً، وطمأنة قلوبهم، بالتظاهر – كذباً ورئاءً – بحبها العميق وبعلاقتها الوطيدة ببلاد الحرمين الشريفين، وإن أهلها يتحدثون عن ولائهم وإخلاصهم بهما مؤكدين أن المملكة العربية السعودية جديرة بالتقدير الكامل بوجه دائم لأنها ملجأ العالم الإسلامي بكامله، هذا في جانب، وفي جانب آخر تدعم دول الصواريخ البالستية والقنابل الذرية الخطيرة بعض الدول التي تعادي الحرمين الشريفين والقائمين على صيانتها والخادمين لقصادها حجيجاً ومعتمرين، فإن لديها أسلحة فتاكة متطورة بما فيها أنواع الصواريخ والطائرات الحربية والمدافع والمدرعات والأساطيل البحرية والبوارج الحربية، وما قصة اليمن ضد المملكة العزيزة بعزيزة ونادرة، بل إنها مستمرة في طريق العدوان، وهل يتناسى العالم إطلاق صاروخ من نوع البالستية نحو مكة المكرمة والكعبة المشرفة قبل مدة يسيرة، ولو لا تمكن الجيش من تدمير ذلك قبل وصوله إلى الهدف، لكان حدثاً عالمياً كبيراً اهتزت له الأرض.

هذا نموذج فقط للتصميمات والعمليات التي ترصد لتدمير العالم الإسلامي، بدءاً من العراق والشام واليمن، ولا تزال تمتد رقعتها بإعدادات ضخمة من توفير القوى والآليات المدمرة، ولكن لا، كحرب معلنة وقائمة ضد المقدسات الإسلامية والأمة المحمدية، بل بأسلوب سياسي متعمق، ومن وراء ستار العلاقات الدبلوماسية والمسالمات العقلية التي قلما يدرك كنهها الذين يقتنعون بظواهر الأمور، ويعترفون بكل رحب أن الغرب جدير بالتقليد في التطور العلمي والمادي، وقد يكزن هذا الاعتراف من باب التقدم الحضاري المادي مقبولاً إلى حد، ولكن الخطر الخطير الذي

يكمن وراء هذه الظاهرة ليس مما يُتغافل عنه أو يُعتبر أمراً عادياً، إنما هناك مؤامرات في غاية من السرية للاستيلاء على بلاد الإسلام والمسلمين والسيطرة على الثروات الهائلة التي أكرمها الله بها، مع هدم شعائرها وتفنيد شريعة الله التي هي الأساس الوحيد لصرح الإسلام، وإحباط أوامر الدين وتعاليم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والتي هي البنية التحتية لحضارة الإسلام الخالدة الباقية إلى يوم الدين من غير نقص أو زيادة "ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً".

للقضاء على هذا الدين واستئصاله من القلوب ومركزه الأصيل، تم نصب آلاف من القواعد والمنصات لإطلاق صواريخ بالستية حول العالم الإسلامي والجزيرة العربية، وقد تكون هي مستورة عن العيون ومنصوبة في أمكنة لا تخطر على البال، فهل هناك ما يبعث على الأمل بالنوايا الصافية التي تتظاهر بها المجموعات الغربية التي تواصل العمل الإرهابي ضد الدول الإسلامية بطريق تنظيم إرهابي عنيد، صنعته لتحقيق مآربها الحقيرة التافهة ضد الإسلام والمسلمين؟ وإن كانت الدول الكبرى الغربية قد أعلنت عبر مجلس الأمن والأمم المتحدة أن الجزيرة العربية ومنطقة بلاد الحرمين وجميع الأماكن المقدسة تحت خط أحمر لا تعبره أي قوة مهما كانت كبيرة، ولكن مثل هذا الإعلان ليس إلا تسلية للناس ورثاءً، كما هو الشأن في تسلية الأطفال الصغار بألوان من اللعب والحلاوي.

ألا فلنكن حذرين من أمثال هذه الألاعيب المزورة ولنرجع إلى ما طلب الله سبحانه منا، فقال:

"وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ".

وبهذه الميزة فقط يمكن التغلب على جميع الإعدادات الظاهرة والسرّية التي يتولاها المناوئون ضد الإسلام والمسلمين، وبها وحدها نستطيع أن ندفع أخطار حرب عالمية ثالثة تنذرنا بالهلاك والدمار الشاملين، ولكنه فضل الله علينا. "وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ" والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

إعدادات هائلة للقضاء على الأمة!*

مهما كان عدد المسلمين في الكرة الأرضية اليوم ألف وخمس مأة مليون، وهم يتمتعون بنظام طبيعي سماوي وتشريع إلهي خالد، إلا أن هذه الميزة العظيمة الفذة لا تنفعهم في أي شأن من شئونهم الفردية والجماعية، ولا تطاوعهم في إسعاد حياتهم ما لم يسيروا على الخط الذي قرره الله سبحانه بصفة مستقلة لا يقبل أي تغيير أو تحوير في زمن من الأزمان، ولذلك سماه الله سبحانه وتعالى بصيغة التأكيد صراطاً مستقيماً ليس فيه عوج ولا طرق فرعية ملتوية تتكفل بالوصول إلى الغاية، فكان لا بد من اتباع هذا الصراط المستقيم من غير تفكير في إدخال تحسينات من التوسعة والتبليط، أو وضع معالم جديدة فيه.

والأمة الإسلامية بكاملها ملتزمة بالسير على هذا الصراط المستقيم الذي يضمن لها السلامة والأمن، ويوفر لها كل ما تحتاج إليه من المواد اللازمة من غذاء روحي ومادي، ومن وسائل الأمن والنصح والخير، ذاك أن هذا الشارع الواسع (Highway) يجمع كل أفراد الأمة على هذا الصراط المستقيم لغرض واحد، وغاية واحدة عظيمة لا يختلف فيها اثنان، بل ويجتمع فيه كل فرد مع أخيه في السير على هذا الدرب من غير أي خلاف في الرؤى والوجهات والمطالب، كأن الله سبحانه جعله رمزاً لوحدة الأمة التي تسير في جميع نشاطاتها وأحوالها وظروفها وفي جميع مسئولياتها على طريق واحد، وما هو إلا ذلك الصراط المستقيم الواسع الذي يسع جميع أفراد الأمة ويجعلهم أمة واحدة تقوم بالبلاغ ودعوة الناس إلى رسالة الدين وتوحيد الله تعالى وعبادته والالتجاء إليه في جميع الأوضاع والظروف (إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ).

هذا الواقع الحقيقي الذي لا يدركه أولئك الناس الذين اخترعوا طرائق شتى للعيش في هذه الدنيا، وكان الحجر الأساسي لشوارعهم ومساراتهم أغراض نفسانية ومقاصد موقتة ينتهزونها لإرضاء الأهواء والشهوات بأسماء كثيرة جذابة، فتارة باسم الديموقراطية التي تفرق بين

* مجلة البعث الإسلامي، عدد يونيو ٢٠١٧م.

الشعوب والجماعات وباسم الفيدرالية وباسم السياسة الخارجية والعلاقات الدبلوماسية التي تُستخدم للخيارات المتعددة وللهجوم على الدول الصغيرة بتهديدات من تغيير النظام أو تخويف الدول الكبيرة وتدميرها، أو باسم مواجهة الإرهاب والقضاء عليه بكل حيلة، وباسم تعزيز العلاقات بين الدول الصديقة، وما إلى ذلك من أسماء ومصطلحات سياسية، وهكذا وزع أهل السياسة الجنس البشري في قطاعات متعددة، وركزوا جهودهم على ركيزة الأمة الإسلامية لإهمال شأنها الوحدوي والاستهزاء بعقيدة التوحيد، والاتهام بشريعة الإسلام، واعتبارها قصة مزعومة ليس لها وجود في العالم المعاصر البشري.

إن هؤلاء الجماعة المسكينة بذلت محاولات كثيرة لإضعاف الأمة المسلمة، وإفقاد منزلتها الإنسانية التي أكرمت بالمنزلة العالية التي لا تساويها منزلة، وهي أن الله تعالى سمّاها خير أمة أخرجت للناس، فهل يمكن أن تكون هناك جماعة أرفع من هذه الأمة منزلة ومسئولية، تكون قد أخرجت لوضع الناس في منازلهم الصحيحة، ولتعريفهم بما يعود عليهم من عمل الخير والنصح، إنها الدعوة إلى دين الله الأخير ورسالة خاتم النبيين حول العيش بالعزة والكرامة في هذه الدنيا وبالنجاح والسعادة في الآخرة، يقول الله سبحانه في التنزيل: (وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ).

إن المتأمل في الأوضاع والظروف الحاضرة التي تسود اليوم على بلدان المسلمين وعلى العالم الإسلامي وحتى في دول الأقليات المسلمة ليتوصل إلى نتيجة أن المخططات العدائية ضد الوحدة الدينية والتضامن الإسلامي وضد طبيعة الدعوة إلى الله التي خلقت لها هذه الأمة، والتي يتميز بها المسلم ويعتز بها، نرى أن مخططات الأعداء تكاد تنجح في تمزيق هذه الوحدة وتحطيم ذلك التضامن الذي هو العلامة المتميزة لأمة الإسلام، فإن الوسائل المادية القوية مستمرة في تشتيت شملها، وإغراء القوى المادية وإشعال العصبيات الجنسية والدينية والعرقية ضدها، وإن الدول المادية كلها مكبة على فرض الكراهية للإسلام، وتخويف الناس منه في بناء المستقبل والسعادة للأجيال القادمة، وهي تعتمد لتحقيق أغراضها السافلة على كل ما يتولى وصولها إلى غايتها المتوخاة، وهم يمكرون بكل حيلة ووسيلة ضد المسلمين ممن هم قائمون بصيانة دين

الله تعالى وترويجه إلى جميع جوانب الحياة وأنحاء المجتمع، فليس هذا الكون خالياً من عباد الله المخلصين الصادقين من العلماء والدعاة والقادة، وذوي الاهتمامات المخلصة لنشر كلمة الإسلام وتعاليمه، وتعضيد القوى العاملة بأي طريق، سواء بالتعليم والتربية أو بالإصلاح والتثقيف، وبدراسة كتاب الله وشرح مفاهيمه وبتقليد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق عملي وصورة واقعية.

وقد صور الله تعالى الفئة المعادية ممن يتآمرون على دين الله تعالى ويصنعون هالات كاذبة للصد عن سبيل الله تعالى، ويحيكون مؤامرات ودسائس ضد العاملين في هذا المجال، فقال تبارك وتعالى في محكم كتابه: (وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ).

إن هؤلاء الماكرين كانوا قد زعموا أن مكرهم الخفي والظاهر ليعوق الناس عن الدعوة إلى الله ويعوق الداخلين في دين الله تعالى، ولكن الله تعالى أبى إلا أن يزول مكرهم ويفنى أمام قدرة الله تعالى، مهما كانت تدابيرهم الخاطئة ومكرهم المضعّف بمثابة آلة صماء كبيرة تستطيع أن تؤثر على قلوب الناس وتزيحهم عن مكانتهم الطبيعية التي يتمكنون منها في الحياة، لقد كان المكر بالغاً من التصميم والجدية إلى قوة تساوي القوى التي تزيح الجبال عن مكانتها، ولعلها تعبير عن ضخامة مكرهم وإعدادات وسائل لازمة لإنجاح مكرهم وخديعتهم.

قال العلامة القرطبي في تفسير هذه الاية:

"قوله تعالى: (وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ) أي بالشرك بالله وتكذيب الرسل والمعاندة، عن ابن عباس وغيره. (وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ)" إن "بمعنى" ما "أي ما كان مكرهم لتزول منه الجبال لضعفه ووهنه" وإن "بمعنى "ما" في القران في مواضع خمسة: أحدها هذا. الثاني – (فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ) (يونس: ٩٤). الثالث – (لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لَّٱتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا) (الأنبياء: ١٧) أي ما كنا. الرابع – (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ) (الزخرف: ٨١). الخامس – (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ) (الأحقاف: ٢٦) وقرأ الجماعة " وإن كان " بالنون. وقرأ عمرو بن علي وابن مسعود وأبيّ "وإن كاد" بالدال. والعامة على كسر اللام في "لتزول" على أنها لام الجحود وفتح اللام الثانية نصباً. وقرأ ابن محيصن وابن جريج والكسائي "لَتَزُولُ" بفتح اللام الأولى على أنها لام الابتداء ورفع الثانية "وإن" مخففة من

النّقيلة، ومعنى هذه القراءة استعظام مكرهم أي ولقد عظم مكرهم حتى كادت الجبال تزول منه.

(وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ). قال القشيري: وهذا جائز بتقدير خلق الحياة في الجبال. وذكر الماوردي عن ابن عباس: أن النّمرود بن كنعان بَنَى الصّرح في قرية الرسّ من سواد الكوفة، وجعل طوله خمسة آلاف ذراع وخمسين ذراعاً، وعرضه ثلاثة آلاف ذراع وخمسة وعشرين ذراعاً، وصعد منه مع النّسور، فلما علم أنه لا سبيل له إلى السماء اتخذه حصناً، وجمع فيه أهله وولده ليتحصن فيه، فأتى الله بنيانه من القواعد، فتداعى الصّرح عليهم فهلكوا جميعاً، فهذا معنى "وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ" وفي الجبال التي عَنَى زوالها بمكرهم وجهان: أحدهما – جبال الأرض. الثاني – الإسلام والقرآن لأنه لثبوته ورسوخه كالجبال. وقال القشَيري: "وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ" أي هو عالم بذلك فيجازيهم، أو عند الله جزاء مكرهم فحذف المضاف. "وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ" بكسر اللام أي ما كان مكرهم مكراً يكون له أثر وخطر عند الله تعالى، فالجبال مَثَلَ لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل: "وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ" في تقديرهم "لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ" وتؤثر في إبطال الإسلام. وقرئ "لَتَزُولُ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ" بفتح اللام الأولى وضم الثانية أي كان مكراً عظيماً تزول منه الجبال، ولكن الله حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو كقوله تعالى: (وَمَكَرُواْ مَكْراً كُبَّاراً) (نوح: ٢٢) والجبال لا تزول ولكن العبارة عن تعظيم الشيء هكذا تكون".

كأن واقع أمس ينطبق تماماً على الواقع المأسوي الذي يُراد أن يطبق على أمة الإسلام، يشهد بذلك الوضع الذي يعيشه المسلمون اليوم (وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ).

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل).

تهديدات للعودة بالعالم الإسلامي إلى عصر الحجارة! وهدم الكعبة*

تدرجت النوايا المغرضة نحو تضييق أرض الله الواسعة على الدين الذي اختاره الله سبحانه للإنسانية جمعاء، وجعله ديناً خالداً باقياً إلى أن يأذن الله تعالى بقيام الساعة، ذلك ما قد أعلن عنه في كتابه بغاية من الوضوح والتأكيد فقال: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسلاَمُ) ويعلم الجميع أن هناك جماعات ودويلات ومراكز سياسات رخيصة كانت قد ماتت في مهدها، لأنها أرادت فرض نظراتها الخاطئة وسياستها الاستغلالية على العالم البشري، ثم إنها بوحي من شياطين الإنس والجن حاولت أن تعود إلى حياة من جديد، وتجرب مرة ثانية سرّ التوصل إلى هدف سيّئ توخته إزاء ما أنزله الله سبحانه من منهج كامل دائم للحياة الإنسانية حيث استظل الإنسان بظلاله الوارفة في كل زمان ومكان وفي كل عصر ومصر، وفي كل جيل وعنصر، فسادَ الأمن والسلام وعمّ العلم والخلق، والحب والأخوة، وذاقت الدنيا طعم حياة الإيمان ولذة الحب والإخلاص.

هناك في الشرق دولة خاسرة تعرف باسم روسيا التي تلعب اليوم دوراً خطيراً حينما تتدخل بإيعاز من بعض الدول المسلمة في قضية النظام السوري والمعارضة التي تحاول إجراء المفاوضات للتوصل إلى نتيجة إيجابية توقف خسائر الأرواح والأموال وتحول دون الحصار المفروض على الشعب السوري، وإطلاق حريتهم للعيش في بلادهم وأوطانهم بالأمن والسلام، ولولا أن روسيا المعاندة المتوترة الأعصاب حالت دون ذلك وأوجدت عوائق ضد المسالمة وإعادة الماء إلى مجاريها لكان الوضع في هذا البلد العريق في الدين وذي التاريخ الإسلامي المشرق من قديم، بلد العلماء والمؤرخين الإسلاميين، بلد المجاهدين المخلصين، بلد العظماء من الدعاة والمحدثين، غير ما عليه اليوم، وكادت تجد مشكلة النظام والمعارضة حلاً عملياً، وانتهت المآسي التي اضطرت عدداً هائلاً إلى المهاجرة وترك أراضيهم إلى جهة مجهولة وبلدان لا تكاد تتحمل عبء المهاجرين ولا توفر لهم بلغة العيش وذريعة المعاش.

* مجلة البعث الإسلامي، عدد مارس ٢٠١٦م.

ولكنها روسيا التي تنتهز الفرصة وتعرقل سير المفاوضات وتفشل قرار الأمم المتحدة لإيجاد السلام وإعادة الأمن السابق إلى سوريا وما إليها، وإفساح المجال لعودة المهاجرين وإنقاذهم من المعاناة والحرمان إلى حياة الإنسان وحقوق السكان، الأمر الذي كان يجب أن ينجزه بجدية زعماء هذا البلد الأجنبي الذي حارب الإسلام وأهله إلى مدة طويلة، ثم تبعثر وتمزق اتحاده وذهب أدراج الرياح، ولنا أن نتساءل: أين ذهب الاتحاد السوفياتي الذي روّجه زعماء الشيوعية وماذا كان مصيره، وابن لينن وخروشجوف، وأعوانهما ووزراؤهما، أين ذلك النظام الشيوعي الذي حارب الإسلام والمسلمين إلى مدة سبعين عاماً، ثم كتب له الانذياب ومات ميتة شنيعة لم يعد له عين ولا أثر.

إن الشيوعية المدفونة تريد أن تعود إلى ساحة الحياة بمساعدة من بعض الدول المسلمة أو بتأييد من بعض بقايا أنصارها الماضين، ولكن الله سبحانه أبى إلا أن تكون عالة على المسلمين، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أبى إلا أن تكون رهينة الإفلاس والنكبات، ومثيرة للفتن ومفسدة في أرض الله تعالى، وكانت قد طلعت آثارها من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان منذ أن أخبر الصادق المصدوق وتنبأ به بوحي من الله سبحانه فقال: فيما رواه سالم رضي الله عنه عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام إلى جنب المنبر فقال: الفتنة ها هنا، الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان (رواه البخاري في كتاب الفتن)، وفي رواية ابن عمر رضي الله عنهما قال: (هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان).

فهل هناك شك فيما إذا كانت هذه النبوءة قد ظهرت ولا تزال في المشرق الذي طلع منه المناوئون للإسلام، وتجمّع فيه الشياطين ضد دين الله تعالى، حيث اتفقوا على محاربته وأنشأوا اتحاداً لتحقيق هذا الغرض، وهدموا القيم الخلقية وأبطلوا الحجاب الطبيعي بين الرجل والمرأة، وفرضوا على المرأة أن تخرج لطلب المعاش لها ولأسرتها حيثما شاءت، وكانوا قد سمّوه "الاتحاد السوفياتي" الذي تهدمت أركانه وذهبت آثاره، في ظرف سبعين عاماً فقط ولم يعد له وجود بعد ذلك، وكان يعرف باتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية الذي كان يعتبر أكبر دول العالم مساحة، وحلت محله روسيا الاشتراكية وبدأت تستعيد قوتها من خلال حربها على العالم الإسلامي، وأخيراً نالت شبه صداقة مع رئيس سوريا ضد المسلمين من أهل السنة وعلمائهم ودعاتهم وأئمتهم،

فكان من نتاج هذه الصداقة الانتهازية أنها أصبحت بحكم السياسة الحاضرة الجناح الأيمن للرئيس.... وسرعان ما تحولت سوريا إلى ميدان قتال من جراء القذائف التي كانت تمطر على الأبرياء، زد إلى ذلك الحصار الذي تقيد فيه عدد كبير يبلغ إلى أكثر من مليون مسلم، حتى سد عليهم الطريق نحو الهجرة والخروج إلى مكان آمن، أما مصير المهاجرين والهاربين من البلاد إلى جهات معلومة ومجهولة فقد أصبح في ظهر الغيب، ودور روسيا في هذه العملية السيئة والوحشية واللاإنسانية معروف لدى العالم كله.

ومن ثم فقدت روسيا الاتزان العقلي ووقعت فريسة للقوة المزعومة وظنت أنها أكبر قوة في العالم اليوم، تستطيع أن تقهر جميع القوى العالمية، وبدأت تحلم بالقيادة على مستوى العالم بكامله، وهي الآن تملي إرادتها على سوريا وما جاورها من البلدان، وتأمر حكامها وتنهى، ولا تقصر في استغلال ثرواتها من كل نوع، وتعامل رئيس البلد السوري كالعبيد، وهو في متناول يدها مسجون، تصرفه حيثما أرادت، وأقفرت المناطق كلها إنساناً ومعيشة وغذاءً ولباساً، والناس يموتون جوعاً وفقراً، وسلطة الروس قائمة بيد من حديد، فإذا بها وجهت تهديداً بغاية من الإساءة والشناعة إلى المملكة العربية السعودية بما فيها من الحرمين الشريفين، وبلغت بها الوقاحة إلى أن وجهت إنذاراً مشدداً إلى حكومة المملكة العزيزة وشعبها المسلم، وقالت: سوف نمزق السعودية إرباً إرباً ونمحوها من أصلها حجراً حجراً، ونرجعها إلى عصر الحجارة الذي عاشه شعبها من قبل، ونرميها رمياً بالأحجار، وهي بهذا البذاء وأمثاله، أساءت إلى قدسية الأرض التي تحوي المقدسات الإسلامية والحرمين الشريفين بوجه خاص، والعياذ بالله.

وقد جاءت في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم إشارة إلى القوم الذين يتوخون هدم الكعبة المشرفة ونهب خيراتها، فقد جاء فيما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يغزو جيشٌ الكعبة فيخسف بهم).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كأني به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة).

ولعل هذا الجيش بدأ ينطلق نحو تحقيق مراميه بواسطة هذه

الحكومة الاشتراكية الشرقية المعادية للإسلام وبيت الله الحرام وفعلاً قرأ الناس وسمعوا تهديداتها ضد بلاد الحرمين ومقدساتها وشعبها وحكومتها.

وقد يوجد من يتساءل! إذا كان الله سبحانه قد صان بيته عن أبرهة الأشرم، الذي كان قد غزا مكة المكرمة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم وبعثته، مع جيش مكثف من أصحاب الفيل، متأكداً أنه يهدم الكعبة المشرفة التي يطوف بها العرب ويشرفونها تعظيماً لما اختار الله تعالى أرض مكة لبناء بيته فيها. وكان أبرهة نصرانياً يبغض بيت اليمن التي كان يحكمها، وأعلن في الجزيرة العربية بأن يطوف أهلها الكنيسة التي صنعها في اليمن ويتركوا الطواف بكعبة مكة، الواقع الذي أثار غيظ أهل مكة، وذهب رجل منهم إلى اليمن ودخل في كنيسته وقعد فيها (يعني: أحدث) بدلاً من أن يطوف بها، فزاد ذلك أبرهة غيظاً وحنقاً ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت لهدم الكعبة، وخيّبه الله تعالى وعذبه ولم يرجع منها إلا كفرخ الطائر، فما مات إلا وقد انصدع صدره عن قلبه.

إذا كان رب البيت قد حفظ بيته المكرم من ذلك الجيش المكثف وأصحاب الفيل من أبرهة العدو النصراني، فكيف يمكن أن يهدمه ويخربه ذو السويقتين من الحبشة؟؟

وأجيب على هذا السؤال بأن هدم الكعبة محمول على أنه يقع في آخر الزمان قرب قيام الساعة حتى لا يبقى في الأرض أحد يقول: الله، الله.

وقد جاءت في قصة أبرهة إشارة إلى أنه أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت..... لهدم الكعبة، وينطبق ذلك على الحديث الشريف الذي جاء فيه: يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، وليس هنا أي ريب مما إذا كان رجل أو رجال في آخر الزمان يخرجون من الحبشة لتحقيق هذا الغرض الخبيث، والله أعلم بذلك حقاً، وهو عالم الغيب والشهادة، كما قد أخبر بذلك في كتابه العظيم: (هُوَ اللَّهُ الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

سؤال يتطلب الجواب!*

المسلمون المعاصرون لفي أمس حاجة إلى اليقظة الدينية والعقدية في كل مكان، عددهم الإحصائي العام يربو ألف وخمس مأة مليون مسلم من كل جنس ولون، ولهم دول وحكومات، ولهم منظمات وجامعات، ولهم وزن في ميزان العدل والنصفة، ولهم صوت مسموع وعضوية في الأمم المتحدة، ولديهم وسائل وإمكانيات طبيعية ومساحات جغرافية، وعدد كبير منهم مثقفون، ويتميزون بالمعارف والعلوم، ويرون في القضايا الاجتماعية والدولية آراء قيمة وجديرة بالدراسة والتنفيذ، كما أن جماعة من علماء الدين يشرحون معنى الإسلام وعلاقته بالتربية الصالحة وصوغ حياة الإنسان في قالب عادل من العلم والحكمة، ويطالبون اجتماع المسلمين على مستوى الأمة الجامعة، التي تتميز بالوسطية، في جميع شئون الحياة والمجتمع، وتصلح لقيادة العالم البشري نحو ساحة الأمن والسلام، وبناء سد منيع ضد أولياء الشر والفساد (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً).

ولكن هذه الأمة وأفرادها ليسوا على مستوى واحد وليسوا على وصف موحد، بل الواقع أنهم موزعون بين أنواع وأصناف متعددة من قديم، إلا أن التصنيف الجديد سوف لا يكون مستكراً من الناس، ولا سيما بعد الأحداث الدامية والهجمات الظالمة التي تفترس المسلمين بأساليب منوعة في العالم كله، يبدو كأن هناك مشروعاً خاصاً ضد المسلمين، يريد أن يمزق وحدتهم ويجعلهم في آخر صف من المنبوذين المكروهين، حتى لا يرفعوا رأساً إلى أي فضيلة إنسانية، ويلاقوا مصيرهم بأي شكل من الإبادة الجماعية أو بإيجاد عوائق تحول دون انتمائهم إلى دين الإسلام والعمل بتعاليمه، سواءً تم ذلك بالتهديد والتخويف أو بمقاطعتهم اقتصادياً واجتماعياً، أفلا يمكن مع ذلك أن نضع المسلمين بين أنواع من الطبقات:

الأول من هذه الأنواع هم المسلمون الصادقون من العلماء والدعاة

* مجلة البعث الإسلامي، عدد نوفمبر ٢٠١٧م.

ورجال الإصلاح ودعوتهم الناس إلى الإسلام قولاً وعملاً وسيرةً وقدوةً، ذلك النموذج الأمثل الذي مثله السابقون الأولون ممن اتبعوا السلف الصالح من أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، واهتدوا بهديه، وساروا على دربه في كل صغير وكبير، وقليل وكثير، (تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ) حياتهم مرآة صادقة للإيمان والإخلاص والتوكل والتورع، والصبر والشكر، والعدل والحكمة والجود والسخاء والحلم والعفو والتواضع واليقين والإيثار والتضحية والأخوة والحب والزهد والقناعة، وأداء الحقوق من كل نوع، وحسن التعامل والتواصي بالخير، وحسن الظن والمساواة والمواساة والنصح والأمانة، كل هذه الصفات الإيمانية تتوافر في هذا النوع من المسلمين أهل العلم والدين، وهم ربانيون يعلمون الناس حياة الإيمان بالله والرسول صلى الله عليه وسلم، ولهم مراكز ومجالس عامرة بالمسلمين المتعلمين ممن يبايعونهم على العمل بالدين الكامل، وقد أحاطهم الله تعالى بالرعاية الكاملة في كل زمان ومكان.

أما الطبقة الثانية فهي لعلماء الدين الذين يهتمون بإبلاغ رسالة الله تعالى إلى الناس عن طريق التعليم والتربية، وهم يُعرفون بعلماء الدين ومعلمي الناس حقائق الحياة ومطالبها في هذه الدنيا، وجزاء الأعمال التي علمها الإسلام توخياً لمرضاة الله تعالى في كل من الدنيا والآخرة، والتي ينالها العبد المسلم فوق ما يتصور ما دامت النوايا صادقة والقلوب صالحة.

إن طبقة العلماء والمعلمين والعاملين في مجال التعليم والتربية ونشر الدعوة إلى الله ممن أحبهم الله تعالى وأحلهم محل ورثة الأنبياء كما قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"، ومن ثم كانت مراكز التعليم والتربية موضع اهتمام هذه الطبقة المباركة، فلم تأل جهداً في إنشاء دور التعليم ومدارس العلم والمعرفة والجامعات الإسلامية على مستوى أرفع، فهي بموادها التعليمية والتربوية تخرّج أجيالاً من أهل العلم والدين ممن يتميزون بالاعتدال وبالجامعية المغبرطة ويتحملون مسئولية التعليم والتربية ونشر التوازن بين الحياة والمجتمع في جميع الشئون والظروف وفي مناحي العلم والدين.

ورغم أن المعارضين للإسلام ومناوئي الأمة المسلمة لم يقصروا في

إحباط قوى طبقة العلماء والمربين، وكسر شوكتهم وهمتهم، وإضعاف وسائلهم وإمكانياتهم، ولم يرضوا إلا بتجريد الشباب المسلم عن جوهرة التعليم والتربية، ولكن الله سبحانه كتب لهم الفشل والإخفاق في كل ما أرادوه من شر، وما أثاروه من فتنة، ذلك لأنهم عرفوا بكل دراسة وثقة أن تجريد هذه الأمة هو السلاح الوحيد للقضاء على هيبة الإيمان وقوة التأثير التي يتميز بها المسلم المؤمن في كل مناسبة ويغير بها الاتجاهات المضادة للإسلام وتعاليمه، ومن ثم كان التركيز على اكتساب العلم والمعرفة من مهام المسلم، وكان التبشير بأن (الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما صنع) من جوائز السماء في الأرض للقائمين بعملية التعليم والتوجيه الديني.

ولا ريب أن هذه الطبقة الممتازة تمنح المجتمع المسلم ميزة لا يساويها ما يتبجح به أهل الحضارات الزائفة والمدنيات البائدة في شيئ، يقول الله تعالى: (يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)، وسوف لا تنجح جهودهم الفاشلة في وقف نشاط هذا النوع بين طبقة العلم والعلماء بمشيئة الله تعالى.

وهناك طبقة الجماهير من المسلمين ممن يعيشون في المجتمعات المسلمة والمجموعات البشرية، وهم في معظم الأحوال يكتفون من الإسلام بما يرون ويسمعون ولا توجد فيهم رغبة أكيدة لفهم الإسلام وتعاليمه، ولا يهتمون بالزيادة على ما حصل لهم من تعارف ديني، بمجرد رؤيتهم أساليب الحياة التي يعيشها الخاصة والعامة من المسلمين حولهم، وقد يوجد فيهم عدد ممن يتمتعون برغبة صادقة في زيادة عملهم بالدين وتعاليمه فيحترمون العلماء ويزورونهم بالمناسبات، ويتصلون بهم عن طريق التربية الدينية، ويحاولون أن يمثلوا إسلامهم في نطاق ما فهموه وقد ينحصر عملهم الديني في بعض الظواهر الشكلية، ولا يخطر ببالهم ما يعود عليهم من حقوق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وحقوق العباد والبلاد، ولا يقيمون وزناً للأعمال التطوعية وخدمة المشاريع الدينية، بل ويقتنعون بعيش رتيب ولا يرون فوق ذلك شيئاً.

أما طبقة الأميين من الجماهير والعائشين في بيئات ورث أهلها أشكالاً من الدين أو ورثوا لفظ الإسلام والمسلم من أفراد متجاورين فيما بينهم من غير شعور بما يعود عليهم من مسئولية دينية أو خلقية، لا يختلف

وضعهم عن أوضاع الطبقات المتحررة من جميع الصفات الإنسانية، وقد لا يكون فيهم شعور بمعنى الإنسان، فإذا بهذه الطبقة الكادحة المسكينة التي تعيش الإسلام لفظاً فحسب، ولا تبالي بما إذا صدرت منه أمور لا تمت إلى الإنسانية في شيئ، وهي لا تحفل بالمعاصي التي تؤدي إلى سخط الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويثير غضبهما إلى آخر درجة، إنما تواجه الواقع الذي يمهد الطريق إلى نزول عقابات عليها وبلايا من أهل الأرض الأقوياء، ويسد في وجهها كل طريق للنجاة والفرار منها، وهي تشمل المناطق التي تنتمي إلى المسلمين ولا تفرق فيها بين أصحاب المعاصي والصالحين منهم، ولا تفرز الصادقين من الكاذبين.

وإن لنا عبراً ودروساً في مثل هذه البيئات والمناطق التي يضم العصاة والدعاة وهم في محن ورزايا تستمر عليهم من غير توقف وانقطاع، نرى فيها صورة صادقة للمثل القائل: المعاصي تجر المآسي.

وإن عالمنا المعاصر اليوم يعيش هذه المآسي في أشكال شتى، وتشكيلات مختلفة، كما أن التاريخ القديم الذي لا يخلو من هذه المآسي يعيد نفسه، فكلما حاد الإنسان عن طريقه وولى وجهته نحو معصية دون معصية، واختار طرائق الخضوع أمام النفس، وفوض زمامه إلى شياطين الإنس والجن وقع هنالك من الفساد والدمار، ومن سفك الدماء وقتل الأبرياء، ما لم يكن في الحسبان.

أمامنا اليوم انتهاكات كبيرة لحرمة مسلمي بورما الروهينغا الذين يتعرضون للمجازر والمذابح والإبادة الجماعية التي أسفرت عن تقتيل وتحريق وإصابة آلاف مؤلفة من مسلمي الروهينغا، وقد عبر عن ذلك الأمين العام للأمم المتحدة (بالتطهير العرقي).

ويواجهنا الآن سؤال عن مثل هذه الأحداث الوحشية والتطهيرية التي يعيشها العالم البشري في بلد دون بلد وفي مكان دون مكان ضد المسلمين العزل، ما هو السبب في ذلك؟

أرجو أن يقرع هذا السؤال "المتواضع" آذان زعماء وعلماء الأمة والملة، وينال رداً عليه في ضوء كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وشهادات التاريخ الإسلامي. والله لا يضيع أجر المحسنين.

المسلمون بين الأمس واليوم!*

يتعرض المسلمون في بعض أجزاء العالم وبلدانه لأحداث مأساوية تجرح القلوب وتملؤها يأساً وتحسراً، يبدو كأن الانتماء إلى الإسلام أصبح جريمة لا تغتفر، فلا مناص من اقتلاع جذورها بأي طريق ممكن، فإذا كان بعض الشعوب المتعرية عن نعمة العقل الحضاري ومتسرعاً في محاولته للتصفية العرقية من غير رؤية عقلانية وبدون تفكير فيما يؤول إليه من نتائج سلبية على المستوى العالمي لجميع المجتمعات البشرية التي تعم فيها كراهية جنس الإنسان من غير استثناء، فلا ريب أن ذلك يؤدي إلى خسائر إنسانية فادحة لا ترتق فتقها بسهولة، وقد شهد هذا التاريخ نماذج من هذا النوع في أمسه القريب والبعيد، ولقد تحدث الله سبحانه خالق الأكوان والإنسان عن هذا النموذج العجيب فقال: (لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ).

وقد وجد هذا النوع من البشر في كل زمان، ذاك أن فئة من الناس لم توفق إلى استخدام الطبيعة المفطور عليها في كثير مما خلقه الله تعالى لتربية الأجيال وتعريف هذا الكون الهائل بجميع ما يحويه من ذخائر وثروات أرضية وسماوية وكنوز من الطاقات الظاهرة والباطنة، إن هذه الفئة من بني آدم ظلت تحوم حول الظواهر المادية ولم يسبق إليها علم بالغاية الأصيلة المتوخاة من خلق الإنسان والكون والحياة، فلم يخطر ببال أهلها وأعضائها العائشين معها أن يفكروا في الحقائق الكونية وظواهر الآيات المتجلية في الأرض والسماء، والبحور والجبال وما فيها من طاقات أودعها الله سبحانه لكي يستغلها الناس في صالح أغراض الحياة، وتأخذ منها الموجودات الكونية كلها حظها مما يغذيها ويمهد لها الطريق نحو بناء مستقبلها.

وكان وجود الإنسان في هذه الكائنات كأشرف خلق زوده الله تعالى بالعقل، بمثابة رابطة قوية لإيجاد الصلة بين الخلق والخالق، وإثارة العقل البشري للتفكير في تلك القوة الغالبة الباهرة الهائلة التي تولت خلق هذا الكون وما فيه من آثار ذات إعجاب وأعجاب تحير العقول وتدهش

* مجلة البعث الإسلامي، عدد ديسمبر ٢٠١٧م.

النفوس، وتحقيقاً لهذا الغرض الأصيل العميق بعث الله سبحانه جماعات من الأنبياء والمرسلين، كلاً في محيطه وقومه، فمن آدم إلى نوح عليهما الصلاة والسلام أجيال كثيرة تمردت على دعوة الأنبياء ورفضت تلك النصائح الغالية التي وُجّهت إليها لمعرفة الصلة الدائمة بين الخلق والخالق، وكمثال فقط (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ. قَالُوۤاْ: أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلأَرْذَلُونَ. قَالَ: وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ. إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ. وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ. إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. قَالُواْ: لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ. قَالَ: رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ. فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ).

هكذا شأن كل نبي وقومه، عدد قليل ممن اهتدوا إلى فطرتهم ولكن الأعم الأكثر لم يدركوا ما أريد لهم من خير كبير، فلم يرضوا بالخضوع أمام دعوة أنبيائهم، حتى انتهى أجل أولئك المتكابرين وغادروا إلى آخرتهم بأسوء حال، كما كان مع قوم لوط عليه السلام، لما دعاهم إلى التقى والطاعة (قَالُواْ: لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ)، فدمرهم الله تعالى وأهلكهم شر هلاك.

أما خاتم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد اختاره الله تعالى شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ولم يبال بما واجهه من قومه من محن شديدة وبلايا عظيمة بلغت من فوق طاقة البشر إلى النهاية، ولكن الله سبحانه وتعالى أكرمه بالصبر على الأذى مهما بلغ إلى آخر المدى، وأحاطه برعاية السماء وصيانة كلمة التوحيد، فرافقه التوفيق الرباني وقوة الإيمان بالله، فأعلن مدوياً مجلجلاً وقال ما أمره به ربه (قُلْ يٰأَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ. لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ. وَلاَ أَنَاْ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ. وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ).

ومنذ ذلك الإعلان الواضح الصريح، قام بالدعوة إلى الله تعالى بكل شجاعة ومن غير خوف ولا روعة، وذلك بالرغم مما وجه إليه أعضاء الكفر من تهديدات وتخويفات من كل نوع، وظل دين الله تعالى يتسع نطاقه ويتكاثر عدد المعتنقين بدين الله، والداخلين في كنف رحمة الله تعالى، حتى آذن الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى يثرب المدينة، وما هي إلا مدة قليلة إذ فتح الله سبحانه الطريق إلى نصره والفتح لدينه، وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً حتى انتشر المسلمون في

أنحاء العالم، وفتحت مدارس العلم والحكمة في عواصم الخلافة الإسلامية، تخرج منها أجيال للدعوة إلى الله تعالى، وتعلم في تلك المدارس والمراكز العلمية رجال أتقنوا أنواعاً كثيرة من العلوم والمعارف في ضوء كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقدموا نماذج عالية من علماء الإسلام وحكماء العلم وقادة حكمة الدعوة، فإذا بالتاريخ الإسلامي يتزين بالوسطية والعلم والعدل والاتزان مع تمثيل النموذج الأعلى من التعمق في حقيقة الحياة الإنسانية وأسرار الكون العلمية والحكمية، وفي آيات قدرة الله تعالى في الكائنات الواسعة، وما بين السماوات والأرض من آثار باهرة ظاهرة وخفية، أولئك هم الذين سماهم الله تعالى بـ "أولي الألباب" (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلاَفِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ. ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ).

وذلك هو الجيل المثالي من أولي الألباب ممن أبلغهم الله تعالى إلى بقاع من الأرض كانت تعيش في الغابات ولم تكن تتمتع بالعقل الساهر، ولا كانت قد رأت النور، فأيقظوها وأخرجوها إلى نور العلم والإيمان، ولقنوها دروساً من العقل والحكمة، بعد ما مرت عليها قرون من الوحشية ومن ظلام الجهل والبهيمية من بعد طلوع شمس الإسلام الساطعة، فلولا الإسلام وتعاليمه وعلومه وآدابه وتعاليمه الخلقية والإنسانية لما كان في العالم البشري النائم علم وحضارة ولما عرف الإنسان معنى الترابط الاجتماعي والتواصل الحضاري، وذلك هو الإسلام الذي صنع الإنسان الكامل من دينه الكامل وأتم نعمته عليه.

لكن سرعان ما تناسى أولئك الذين أدانهم الإسلام من نعمته، ونهضوا بالدعوة إلى الحضارة وقاموا بالادعاء بأنهم أثاروا دفائن العلم والمعرفة، وتناسوا ما أسدى إليهم المسلمون العلماء والحكماء بتراث الإنسانية والمعارف المدنية، وزعموا أنفسهم من المبتكرين لكل ما وجد في العالم البشري من تطورات حضارية وعلمية، وبذلك حاولوا إسدال الستار على الحقائق التاريخية الصارخة، واتهام المسلمين بأنهم ليسوا إلا عالة على الغرب في جميع العلوم والصناعات والتقنيات، وأن الإسلام لم يعد صالحاً في عصر الحضارات والتطورات الإنسانية، الواقع الذي خلف تأثيراً معادياً على الحضارة الإسلامية، وصرف حتى أنظار المسلمين من جامعة الحضارة والمدنية التي ليست إلا جائزة ممن خلق العالم البشري وزينه بكل ما يساعده على القيادة العالمية رغم تغيرات الأوضاع وحداثة

الآليات والمدنيات.

رغماً من كل ذلك والاعتراف بهذه الحقائق المعلومة تأثرت مجتمعات المسلمين بهذه الدعايات الكاذبة، وبدأ الانحطاط بكل مواصفاته ووسائله يطرأ على عقول أفراد المجتمع المسلم، وتوصل إلى ما دفعهم نحو مركب نقص نحو الإسلام وحضارته، وساد الظن في كثير من الأحيان على الأفكار الحية النشيطة بأن العالم المعاصر يملك من الوسائل والآلات ما يمنح المرء الجدارة بالعيش في كرامة وسعادة في كل زمان ومكان، وهكذا استطاعت روح التباعد عن الدين تتدخل في حياة المسلمين ومجتمعاتهم وبلغوا من الضعف والتبعية بل العبودية والرق إلى آخر المدى، حيث بدأ يتحكم عليهم عبيد الأهواء والشهوات الذين يرون شريعة الإسلام عائقاً كبيراً في طريق أنشطة غير شرعية وحريات غير إنسانية مما لا يمت إلى كرامة الإنسان بأي صلة.

وقد يدخل نوع من اليأس والجمود في صف هذه الأمة الواحدة وأفرادها الذين افترستهم الفرقة والانشقاق، الأمر الذي جعل صلتهم بدينهم ونظام شريعتهم ضعيفة، وحلت محل القيم الإيمانية والخلقية استهتارات وتفككات، وقلة المبالاة بالعمل بأوامر الدين وأحكام الشريعة، مما جعلهم مهانين أذلاء وضعفاء أشقياء على جميع المستويات، وما جرى ويجري في عدد من البلدان الإسلامية العريقة في تاريخ الإسلام من أوضاع شاذة وجرائم وحشية من خلال القائمين عليها وإتاحة الفرص منهم لذوي الأغراض الرخيصة لتدمير أهلها المسلمين وطرد أبنائها من ديارهم وأوطانهم، ومطاردة أهل العلم والتقى، كل ذلك مرّ ويمرّ بشيئ كثير من الوقاحة والحيوانية الشرسة التي قلما يوجد لها نظير في تاريخ الإنسان المعاصر، وهي جريمة لا يغتفرها التاريخ البشري المستقبلي، وإنما يحتضنها للأجيال القادمة بصفحاته السوداء، عبرة للعالم أجمع، وحسرة على الأمة جمعاء.

هذه الأحداث التي لم تنته مسلسلاتها ضد الأمة المسلمة تذير خطر كبير على بقائها في مسيرتها الدعوية، وهي تنبيه لحملة الدعوة إلى الله ومعلمي الدين ومتعلميه أن يأخذوا بأساليب الحكمة والتوجيه، وفق هذه الظروف الخطيرة التي قامت فيها الأحزاب المناوئة كلها ضد هذا الدين المختار الدائم من عند الله تعالى لصالح الكون والإنسان والحياة، فيُعدوا للعمل الإسلامي بطريق أفضل، ينسجم مع الطبائع المختلفة وذلك في ضوء قول الله سبحانه: (ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم

بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ).

ولا ريب فيما إذا كان الدعاة إلى الله ملتزمين بتمثيل النموذج العملي الإيجابي، وإثبات أن الإسلام هو الملجأ الأول والأخير للناس في كل زمان وللإنسانية بكاملها في كل مكان، لكانت هذه الحقائق الثابتة معروفة لدى الجماعات المعادية ومناوئي المسلمين، ولكن هولاء وأولئك رغماً من ذلك، يبذلون جميع ما عندهم من الإمكانيات والطاقات للقضاء البات على دين الإسلام وتشويه تاريخه كيفما أمكن، ولولا أن استكانة المسلمين اليوم كانت معروفة لديهم لما تجرأوا أن يتوصلوا إلى حد ما حدث ويحدث في بلد دون بلد وفي مدن وعواصم كبريات دول الإسلام العريقة، ومن بين هؤلاء من يتزيئ بزئ الإسلام ويشد عضد أعدائه مقابل دراهم معدودة أو مناصب مشئومة، إلا أن الواقع الذي لا يكاد ينكره من له أدنى إلمام بالمشاريع الخبيثة التي يمارسها الغرب والموالون له ضد حضارة الإسلام وأمة الإسلام المنبثة في جميع أنحاء العالم، والمحتلة المكانة الثانية في الاحصاء العالمي لسكان الكرة الأرضية، إنما يتزايد عدد المهتدين إلى الإسلام في الغرب بوجه خاص.

إنها حقائق تفرض علينا جميعاً أن ننتبه إلى هذه المخاطر المتحلقة على رؤوسنا، ونأخذ بالدفاع عنها ونعتمد على الدعوة إلى الله في كل حال وبحكمة مطلوبة وموعظة بليغة وبأسلوب الإقناع عملياً وبالتفاعل مع الخصوم حتى ننجح في المعركة الدائرة بيننا وبينهم بمشيئة الله تعالى.

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ).

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع، فأوصنا، قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة. (رواه أبو داود والترمذي).

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم.

أسواق السلاح العالمية ليست علاجاً!*

سباق في مجال متاجرة الأسلحة من كل نوع، لا مثيل له في التاريخ القريب الذي يتميز بالمجتمعات الإنسانية ذات العلوم والمعارف الحضارية وفي العهد الذي يُعرف بتشييد المراكز والجامعات التي تركز على بناء السلوكيات البشرية والحضارية الرفيعة على أساس العلم والمنطق، ولعل هذا السباق ليس إلا نتيجة للحرص الزايد على جمع مدخرات مادية والتفوق على الآخرين في الصناعات الإنسانية والتجارات المادية لمجرد إثبات أن القوة التي تملكها الدول الغربية مثلاً لا تحلم بها الدول الشرقية، أو بالعكس، بل الواقع أن جميع دول العالم اليوم وحكوماته قلقة للتميز بهذه الميزة، مهما كلفت من الثمن ما لا تقدر عليه، وقد اخترعت دول عديدة من أنواع السلاح النووي الذي يهدد بالدمار الشامل، وجرى في ذلك سباق خطير مما لا يخفى على المطلع الخبير، فلم يكن ذلك إلا لإدخال الرعب في القلوب، ثم كان مصير هذه الأسلحة النووية إغراقها في قاعات البحار التي التقمتها من غير خوف ولا بأس.

أما الآن فهناك قضايا ومشاكل ملونة منوعة تشرئب فيها الأعناق لدرك حلول لها وصناعة وحدة عالمية إنسانية يعيش فيها كل فرد في أمن وسلام، ووجود مثل هذه الوحدة البشرية الآمنة المطمئنة أمنية كل خلق فضلاً عن الإنسان، وذاك أمر طبيعي يعيش في داخل كل نفس، ولكنه قد لا يتجاوز حلماً لذيذاً يحلم به الناس في جميع المجتمعات بل قد يكون ذلك أساسهم الأصيل مما لا مناص منه، وقد تعاقدت الدول والحكومات على هذه النقطة المركزية، ووضعت مناهجها الدولية في مجال العلم والسياسة والاجتماع على هذه القاعدة، إلا أن هذه الجماعة من القادة والزعماء لم يفرضوها على بلدانهم وشعوبهم بل سرعان ما تناسوها إذا ما فاجأتهم أغراض خيالية. ولم يتأخروا في أخذ إعدادات لازمة من الأسلحة والوسائل لشن الحرب على الأخ والزميل، كلما أحسوا بالحاجة إلى ذلك من غير هوادة.

لقد شهد القرن المنصرم حربين عالميتين فلم يعد منهما بطائل

* مجلة البعث الإسلامي، عدد أبريل ٢٠١٨م.

رخيص أو غال، ولعل القرن الحاضر يترقب حرباً عالمية ثالثة من خلال تلك الأوضاع والأساليب الماكرة التي تسمى بالسياسة الناجحة، فهناك اتحادات وصداقات، وهناك عداوات وحزازات بإزاء منافع حقيرة وأغراض ذاتية، ومما يؤسف له أن الدول والبلدان المسلمة وقعت فريسة الخلافات والنزاعات السياسية التي تغلبت على جميع الوشايج القرابية والأخوة الإسلامية، وكأن القادة قد نسوا أو تناسوا نعمة الحب والوحدة والأخوة التي أعلن عنها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)، ذلك هو الدرس الذي تلقاه الناس في بوادي جزيرة العرب وصحاريها، ومثلوا في مدة قليلة قوة عظيمة وفتحوا العالم شرقاً وغرباً، وسخروا دولتي الروم والفرس وأخضعوهما للإسلام، وقد تحقق كل ذلك في أسرع وقت من الزمان.وبسرعة خارقة بفضل ذلك الإيمان الذي تعمرت به قلوبهم وتخمرت منه عقولهم وقواهم بكاملها، فاستطاعوا أن يوسعوا مساحة الإسلام من الجزيرة الصحراوية إلى قارات عديدة من الأرض، يقول (Fisher H. L.) مؤلف "تاريخ أوربا" في كتابه:

(لم يكن هناك في جزيرة العرب قبل الإسلام، أثر لحكومة عربية أو جيش منتظم أو لطموح سياسي عام، كان العرب شعراء خياليين، محاربين تجاراً، لم يكونوا سياسيين، إنهم لم يجدوا في دينهم قوة تثبتهم أو توحدهم، إنهم كانوا على نظام منحط من الشرك، بعد مأة سنة حمل هؤلاء المتوحشون الخاملون قوة عالمية عظيمة، إنهم فتحوا سوريا ومصر ودوخوا وقلبوا فارس، ملكوا تركستان الغربية وجزءاً من بنجاب، إنهم انتزعوا إفريقية من البزنطيين والبربر، وأسبانيا من القوط، هددوا فرنسا في الغرب والقسطنطينية في الشرق، مخرت أساطيلهم المصنوعة في الإسكندرية ومواني سوريا مياه البحر المتوسط واكتسحت الجزاير اليونانية وتحدت القوة البحرية للإمبراطورية البزنطية، لم يقاومهم إلا الفرس، وبربر جبال الأطلس، إنهم شقوا طريقهم بسهولة حتى صعب في بداية القرن الثامن المسيحي أن يقف (أحد) في وجههم ويعرقل سيرهم في الفتح والاستيلاء، لم يعد البحر المتوسط بحر الروم، بل أصبح حوضاً عثمانياً، لا سيطرة فيه لغير الترك، ووُجدت الدول النصرانية من أقصى أوربا إلى أقصاها منذرة مهددة بحضارة شرقية مبنية على دين شرقي) وهو الإسلام من غير شك، (مقتبس من كتاب "إلى الإسلام من

جديد" لسماحة العلامة الإمام أبي الحسن الندوي رحمه الله تعالى).

كان للإسلام جولة وصولة في النفوس وكان الناس قد انتشوا بروح الدين فكانوا قوة لا تصمد أمام سيلهم الإيماني الجارف تلك الحكومات التي كانت تحكم العالم، وتستعبد سكانها من غير حق وتفرض عليهم إرادتها وتعاملهم بأسوء ما يتصور، وقد سجل التاريخ بشيئ كثير من التفصيل كل ما صدر منها من سوءات وهنات بإزاء إنسان تلك العصور، وقد صوّرها المؤرخون الأمناء في مؤلفاتهم وكتبهم التي تتحدث عن الحياة التي عاشها الناس شرقاً وغرباً يوم ذاك وفي القرون التي سبقت الإسلام، فلما نزلت الرحمة من السماء للعالمين وظهر الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين حينما بعثه الله تعالى كخاتم النبيين وقال: (وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً) وعمت هذه الرحمة جميع العالمين، وشملتهم بالحب وقوة الإيمان بالله والرسول (صلى الله عليه وسلم) وحولتهم من أضعف أمة إلى أقوى أمة في العالم كله، واختفى أهل الديانات السابقة خوفاً من سيوف الإسلام وجيش المسلمين، وإن كانوا يتربصون بهم الدوائر ويتآمرون ضد ذلك الدين الكامل العظيم الذي جاء رحمة للعالمين إلى يوم الدين، فكانت قوة لا تساويها قوة ولا تصمد أمامها جيوش من الكفر والنفاق، وتكون الدنيا كلها وحدة كاملة لا يكاد يغلب عليها أي نوع من الديانات والحضارات والفلسفات المادية الماكرة المصطنعة.

هذه حقيقة تاريخية عالمية كبرى، شهد العالم البشري وعاشها إلى فترة طويلة من تاريخ الإنسان في القرون الإسلامية الأولى التي كانت أسعد القرون وأفضل الأزمنة، سادت فيها الفضائل، ونالت فيها كرائم الأخلاق والسلوكيات العادلة طريقها نحو الفرد والمجتمع، على حد سواء، ولكن أنصار الباطل وخَدَمة النفس الشيطانية لم يرق لهم أي انتماء إلى الإسلام، بل وزعموه عائقاً كبيراً يعرقل طريقهم نحو الشهوات وإفرازها في محاربة الفضائل، وقد قام بقيادتهم لمحاربة الحق، والوقوف في وجه العدل والرحمة والقيم الإنسانية والخلقية أفراد من طبقة المناوئين للإسلام والمشوهين لوجه الإنسانية اللامع النير الذي مثلته أمة الدين الإسلامي، ومنحته للإنسان البائس الشقي الذي حُرم هذه النعمة العظيمة ولم ير بأساً فيما إذا تلوثت حياته وقدراته كلها بتلوثات خلقية وسلوكيات غاشمة حالكة تفردت بها شعوب مغرضة ومعادية لخير أمة

أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله تعالى، فهي قائمة على جادة الحق من غير خوف ولا حزن، (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ).

هذه البشارة السماوية الدائمة الخالدة لم تعجب أولياء المكر والخديعة، وأثارت خفاياهم، ودوافع الانتقام من هذه الأمة القائدة إلى رحمة الله ونعمه في الدنيا والآخرة معاً، فاجتمعوا وشاوروا واتفقوا على استعمار البلاد واستعباد العباد، وباشروا هذا العمل المشئوم بأنواع من اللافتات والأسماء وبعنوان تصحيح مسارات السياسة والاقتصاد، حتى خضعت البلاد والعباد أمام الزحف الاستعماري، وأصبحت بلاد المسلمين ودولهم مستعمرات يحكمها أولياء الاستعمار الغربي، ومن والاهم من قادة الدول الشرقية العجزة، ممن تنازلوا عن منصب القيادات والحكومات وسلموا الزمام إلى المستعمرين ممن استغلوا خيرات البلاد ومعادنها وحاصلاتها التجارية والزراعية، وظلوا يفعلون ذلك حتى إذا تم عمل النهب وتجريد البلدان من كل ما كان عليه من ثروات ومعادن وأحسوا بأن عمليات الاستغلالات السرية لم تعد خافية على أهلها أعلنوا بأنهم ينقلون زمام الحكم إلى أيدي الشعب باسم الاستقلال، وتم هذا المكر بحكمة سياسية ودهاء استعماري في مدة غير طويلة المدى.

جاء الاستقلال واحتفلت الجماهير من الشعب بعيد الاستقلال في كل بلد تحرر من نير العبودية، ولكن الواقع أن وكلاء الاستعمار وتلاميذه هم الذين سيطروا على الحكم وساروا على درب الخلائف الذين لا يحيدون قيد شعرة عما خلفوه من آثار الاستغلال في تسيير دفة الحكم، وفعلا كان المستعمر هو الذي يملي إرادته على خلائفه الذين امتلكوا زمام البلاد في جميع أساليبه وطرائقه، كما هو المشاهد المعلوم.

ولا ريب فيما إذا كانت ألواح الأسماء والأقسام الحكومية قد تغيرت وحلت محل ألواح الحكم السابق بتغيير اللغات واللهجات، ولكن الروح الاستعمارية ظلت تعمل عملها في واقع الأمر وأصبحت الدول المستقلة تشعر بأمس حاجة إلى الوسائل التي لا مناص منها لتطوير البلاد وإشعار الناس بالرفاهية، كانت هناك حاجتان أساسيتان لكل بلد نال هوية الاستقلال، وذلك لتثبيت دعائم الحكومة وخدمة الشعب والدفاع عن البلاد، وما هما إلا وسائل التجارة للتنمية الاقتصادية كحاجة أساسية

أولى، والثانية ذخائر الأسلحة من كل نوع لصيانة الأرض والشعب من أي عدو سرّي أو ظاهر، محلياً كان أو أجنبياً.

وتحقيقاً لهاتين الغايتين اضطرت الدول المستقلة إلى الاستعانة من المستعمرين الراحلين وما هو إلا زمن قصير إذ أكب هؤلاء على وضع برامج تجارية اقتصادية وإنشاء مصانع الأسلحة والآلات الحربية بألوانها المعاصرة.

أما الحاجة الاقتصادية والتجارية فهي الأهم الأولى، لأن الحاجة لا تتحقق من غير وضع نظام اقتصادي متعمق الجذور، ألسنا نرى أن الدول الغربية الكبرى تجلب الأموال الخطيرة كقيمة للسلاح الذي تبيعه للدول الضعيفة اقتصادياً، في الشرق، وذلك مع إيجاد أوضاع متوترة بين دول العالم والحكومات الشعبية الجماهيرية، لمجرد أن تنال تجارة السلاح ازدهاراً واسعاً وتتمكن المصانع الحربية من عرض نماذج أسلحة سريعة التأثير ضد المتحاربين، أو لدى الهجمات الطارئة والصراعات المفاجئة، كما هو المشاهد في مناطق متعددة من الحكومات الشرقية اليوم، رغم أن الحرب ليست علاجاً لإزالة الجو المتوتر في أي مكان، ولا إنشاء مصانع حربية ولا إقامة أسواق ومعارض الأسلحة في بلد دون بلد.

أما إذا كانت هناك غزوات بين الكفر والإيمان ولا أمل للتصالح بين الفريقين، فلا بد للفريق الذي ينتصر للإيمان بالله ورسوله ولا يجد طريقاً غير استعمال القوة ضد الفريق الظالم وضد الإرهاب الذي يصطنعه، فليُعدَّ أسباب النصر ضد القوى المحاربة، ولعل الله سبحانه أشار إلى ذلك بقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ما أشبه الليلة بالبارحة!

بين الحوثية والأبرهية*

ليست الإجراءات العسكرية التي يقوم بها التحالف العربي إلا للدفاع عن شرعية الحكم في دولة اليمن والحفاظ على الأمن والاستقرار إلى جميع ربوعها، فإذا كانت المملكة العربية السعودية في مقدمة هذا التحالف العسكري بواسطة الدفاع عن الشرعية الدستورية في دولة اليمن، ومطالبة انسحاب الحوثيين من صنعاء، فلا ريب أن المملكة والحرمين الشريفين كان مستهدفاً أساسياً أمام هؤلاء الهدامين، والقصة في الواقع تبتدئ منذ أن أصدر برلمان ولاية كنساس في الولايات المتحدة الأمريكية قبل العام المنصرم قراراً ضد الشريعة الإسلامية واعتبارها قانوناً أجنبياً تمس سيادة القانون في أمريكا، ولتنفيذ المخططات المبيتة ضد الإسلام ومركز الحرمين الشريفين وإخراج هيبتهما من القلوب، جرت محاولات وإعدادات سرية بين الهدامين المجرمين فكان أيسر طريق أن يحدبوا على الجماعات المشبوهة في المجتمعات المسلمة ممن يضمرون العداء ضد العالم الإسلامي ويتمنون السيطرة الكاملة على بلاد الحرمين الشريفين لتحقيق أمنياتهم الفاشلة نحو الغارة عليها بالقنابل الذرية.

وقد كان لي حظ في الإشارة إلى بعض الفعاليات التي يعتزم عليها أهل الغرب وأنصارهم في مجال تدمير مشاعر الإسلام، فقد جاء في افتتاحية العدد الأول للمجلد الستين من المجلة:

"إن عداوة الإسلام قد رسخت في قلوب أهل الغرب على جميع المستويات والمحتويات، وحملتهم على أن يعلنوا إعلاناً صارخاً أن هدفهم الآن أن يستخدموا جميع الآليات والوسائل السريعة التأثير في الغارة على الحرمين الشريفين بالقنابل الذرية ونسفهما وتدميرهما بالكلية – لا قدر الله تعالى – حتى لا يبقى عين ولا أثر لهذين المشهدين العظيمين اللذين لهما قدسية كبيرة وجليلة (لدى الأمة المسلمة) إذ كانا ولا يزالان ينبوعين

* مجلة البعث الإسلامي، عدد مايو ٢٠١٥م.

ثرّين لتجديد الإيمان في القلوب، ومصدرين سماويين لتزويد الأمة الإسلامية بشاشة الإيمان ونشاط العمل الصالح، ولشحن بطاريتها بطاقة الإيمان والعقيدة والحب والأمن والسلام".

ومن خلال هذه الظاهرة الخطيرة نستطيع أن نرى بعين الاعتبار إلى الإجراءات العسكرية التي يقوم بها التحالف العربي للدفاع عن الشرعية في اليمن وإعادة الأمن والاستقرار في هذا البلد الإسلامي الذي تريد جماعة الحوثيين نشر الفساد فيه على أوسع نطاق، حتى تجد من خلال ذلك طريقاً إلى بلاد الحرمين الشريفين وتتمكن من تنفيذ خطة مبيتة تتجدد على مر الأيام والليالي، وهي تدمير الحرمين وقطع علاقة الحب والعقيدة والإيمان عن شخصية المسلم، نحو الحنين إلى بلاد الحرمين الشريفين، وهما لا شك مركزا الشحن الإيماني العقدي للدين الحنيف، وبهما ترتبط الأمة الإسلامية باستمرارية منقطعة النظير، وقد شهد التاريخ اليمني قبل الإسلام واقع أبرهة الأشرم حينما غزا هذا البلد المقدس مع جيش عظيم من الأفيال والجنود، فلقي ما لا ينساه التاريخ البشري أبداً وفي أي فترة من التاريخ، من عار وشنار وفرار ودمار، وقد خلد ذلك كتاب الله تعالى لكيلا يكذبه الكذابون والمزورون من المؤرخين والمتنبئين، ممن يتناسون في غمار العداوة كثيراً من الفضائح والنكسات التي لقوها بأمر من الله العزيز الحكيم.

ولعل هناك طائفة من أناس تضمر العداوة لدين الله تعالى الأخير، ولرسوله وللمؤمنين به وأتباعه، وهي تسعى جاهدة أن تدمر مراكز العلم والإيمان ومنابع العقيدة والعبودية التي تستنير منها القلوب نور الإسلام وإشراقة الإيمان واليقين، وتستقي منها الأمة المسلمة روح الاستقامة والسعادة وطاقة الحب والاستسلام لله تعالى، وتستلهم منها تعاليم الكتاب والسنة وأساليب القوة وأسباب الفتوة والقيادة العالمية للنوع البشري، فتكون منارة النور والهداية للعالم أجمع، وتعلم الإنسان طريق العز والكرامة والعيش بالهدوء والطمأنينة، وذلك بأداء أمانة العلم والدين إلى العالم بكامله.

ولعل الحوثيين من أبناء أبرهة الأشرم الحبشي اليمني، يريدون أن ينجزوا ما قد تقاصر عنه جدهم الأشرم وجنوده وأفياله قبل طلوع شمس

النور والهداية وقبل ولادة ذلك النبي الأخير خاتم الأنبياء والرسل بخمسين يوماً، الذي أرسله الله تعالى بالحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فقد أذن الله تعالى أن الجنود تنهزم وأن الأشرم سيلقى ما لم يكن يخطر ببال وأن كبرياءه المزورة وصلفه الكاذب يجرانه إلى أن يدسّه الله القدير العليم في التراب، ويصبح هو وجنوده وأفياله كلها كعصف مأكول، وعبرة للطواغيت والمجرمين، والأباطرة الظالمين على مدى التاريخ البشري في العالم، (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ).

هذه عاقبة كل من سعى وبغى وكل من جال وصال، وقام بإعدادات هائلة للنيل من بيت الله وحرميه الشريفين، والبلاد التي شرفها الله تعالى بالحرمين و وفق رجالها إلى صيانتهما وسدانة بيته العتيق، وقد ذهبت الكعبة المزورة التي كان قد بناها الأشرم ليصرف الناس من بيت الله تعالى إلى حج ما بناه وشيده كبراً ورياءً، ذهبت أدراج الرياح، ورفضتها أرض اليمن والعرب، ونسيها التاريخ والعالم، والناس أجمعون، يقول ابن كثير في تفسير سورة الفيل:

"هذه من النعم التي امتن الله تعالى بها على قريش، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله تعالى وأرغم أنوفهم وخيب سعيهم وأضل عملهم وردهم بشر خيبة، وكانوا قوماً نصارى، وكان دينهم أقرب حال مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، و (كأن) لسان حال القدر يقول: لم ننصركم – يا معشر قريش – على الحبشة لخبرتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد، صلوات الله وسلامه عليه، خاتم الأنبياء". (تفسير القرآن العظيم لابن كثير، سورة الفيل).

سارت الحوثية على آثار جدها، بعد مران طويل على تنفيذ الخطة، وتدريب عسكري من قبل أسيادها الغربيين للاقتحام في أرض

الحرمين الشريفين واستحقاق جوائزهم على ذلك، ولم يكن ذلك ارتجالاً وموقتاً، إنما كان إيماناً بعقيدة واقتناعاً بضلالتهم التي تلوثت بها حياتهم، وتحقيقاً لذلك النفاق العملي الذي يتميزون به في جميع أحوالهم، وكان ذلك امتثالاً لأوامر تلقوها من زعمائهم وأساتذتهم، فقاموا بغزو عسكري اعتماداً على الأسلحة الثقيلة والمدافع السريعة التي كانوا قد نالوها من أصدقائهم الشرقيين والغربيين، ولكن هيهات .....

وبالرغم من أن القوات الحوثية تلاقي الهزائم وتلتجئ بالفرار من الميدان، إلا أنها لا تكاد تنصرف عن امتثال أوامر "الأصدقاء" كأنها ملحة على تنفيذ خطتها المبيتة التي تماثل خطة الأشرم الشقي، وإن كانت نوعية تنفيذها مختلفة عن خطة الإعلان العام الذي صدر منه بغاية من الوقاحة والسفاهة والجنون، بل الواقع أنه كان تحدياً منه تحدى به الله سبحانه وتعالى، وقدرته.

فكان جزاء هذا الشقي أنه لما فر راجعاً إلى اليمن تساقط عضواً عضواً حتى مات ببلاد خثعم، وذكر ابن كثير قصته وجنوده فقال: "يتساقطون بكل طريق، ويهلكون على كل منهل، وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة، حتى قدموا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه".

والأنباء تفيدنا بأن الحوثية في طريقها إلى الانتحار والانهزامية – بمشيئة الله تعالى – وسوف لا تنجح في تنفيذ خطتها الجنونية، وعزائمها الفاشلة، وستطوق أصدقاءها وحلفاءها أطواق الهزائم التي تكون عاراً وشناراً لهم، وعبراً ودروساً لكل من طغى وبغى، من غير حق.

(فَأَمَّا مَن طَغَى. وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى. وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثالث

الإسلام هو الحل الوحيد للخروج من الأزمات

شجرة إيمانية

لا شرقية - ولا غربية!*

من المقرر المعلوم أن الله سبحانه وتعالى أودع في الإنسان كل نوع من الطاقات التي تميزه عن كل خلق آخر، وتمنحه ميزة التكريم والتصنيع، والوعي العلمي والعقلي، وهو بذلك حقيق للقيام بتنظيم الحياة والمجتمع على هذه الكرة الأرضية على اختلاف البقاع والتقاليد وافتراق الأجواء والعادات والشعوب والقبائل، ومن هنالك كانت المسئولية التي يتولاها من خلال الطبيعة البشرية إنما هي في غاية من الضخامة والدقة الفائقة، وبذاك هو مسئول عن أداء هذه الأمانة أمام ربه وضميره والكون والإنسان جميعاً، وكانت هذه الأمانة العظيمة قد عُرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها خشية أن يفشلن في أدائها، ولكن الإنسان الذي أكرمه الله تعالى بالعلم والعقل إنما حملها بتوفيق من ربه الكريم الذي رفع قدره وفضله على جميع الخلق وشرفه بالعلوم والأفكار وفق المقتضيات التي أرادها منه، جاء هذا المعنى في آخر سورة الأحزاب حيث قال تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً).

وأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى في حديثه الشريف المروي في جميع دواوين السنة فقال: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ مَالِ سَيِّدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).

كيف رفع الله سبحانه مكانة الإنسان في هذا العالم البشري الذي ليس إلا أثراً صغيراً من آثار لفظ " كن "، بل وليس إلا إشراقاً " من حرف الكاف " في هذا اللفظ، وهل يمكن عقول العالم كلها إذا اجتمعت في مكان واحد وتركزت في مركز واحد ثم حاولت إدراك قدرة

* مجلة البعث الإسلامي، عدد أغسطس - سبتمبر ٢٠١٧م.

الله تعالى الواسعة الهائلة، لَما توصلت إلى ذرة منها، ولم تتمكن من أقل معرفة لما يملكه الله تعالى من القدرة الكبيرة على كل شيئ ظاهر أو خفي صغير أو كبير، من غير تقيد بزمان أو مكان فردي أو جماعي، وقد وصف الله تعالى نفسه فقال: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ).

فما من شيئ في الأرض أو في السماء أو في جزء من الكائنات إلا وهو خاضع أمام قدرة الله الواسعة التي لا حد لها ولا نهاية، وفي كل ذلك آية تؤشر إلى عظيم قدرته، وتوفر دلائل على علمه وكبريائه ووحدانيته، لأولئك الذين يتمتعون بالعقل السليم والقلب المنير، وسماهم الله سبحانه بأولي الألباب "ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ".

كأن الله سبحانه قد عيّن لنا مقياساً للتوصل إلى معرفته والشعور بعظمته وجلاله، وصرح بنفسه فقال: "تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" وقال: "هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ. هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلاَمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ".

وإن مجرد تفكير في ذات الله تعالى وصفاته يفتح لنا الطريق نحو معرفة حقائق الكون والإنسان قدر المستطاع، ويمهد الطريق إلى أن يدرس الإنسان سرّ وجوده في هذه الكائنات ويعرف دوره في الإسهام في بناء العالم البشري على تلك القاعدة الصلبة التي عبّر عنها لسان النبوة بالتوحيد والرسالة وأركانها الأربعة في الحديث النبوي الشريف الذي يقوم عليه صرح هذا الدين الأخير، وذلك ما جاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بوحي من ربه: "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ".

على هذه القاعدة يقوم الدين الذي اختاره الله سبحانه، وهي تتفق وطبيعة الإنسان من غير تغيير وبصورة مستقلة دائمة، ولقد عاش الرعيل الأول من المسلمين مع طبيعة الدين فخططوا طريق الحياة في هذه الدنيا مع جميع المخلوقات والكائنات، وحلوا محل الأستاذية للعالم كله، وقد بينوا الحق من الباطل، وميزوا بين الطاعة والمعصية بتمثيل النماذج العملية

وتوثيق صلاتهم بالله تعالى وبالعمل بما أمر الله به والامتناع عما نهى الله عنه، فخلع الله سبحانه عليهم لقب خير أمة لم يسبق لها نظير في أي أمة أو ديانة، أو مدنية، أو فلسفة اجتماعية، وثبت على جبين هذه الأمة لوحة خير أمة أخرجت للناس جميعاً إلى يوم الدين فقال: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ)، وقد شرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "والذي نفسي بيده لتأمُرنّ بالمعروف ولتنهوُنّ عن المنكر أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"، كأن النبي صلى الله عليه وسلم قام بتأكيد هذه الأمة أنها إذا ضعفت في أداء وظيفها أو أصيبت بخور أو يأس فإنها تفقد مكانتها التي أكرمها الله تعالى بها، مكانة خير الأمة، وقد تكون أمة لا قيمة لها، وتقع فريسة العطل والاستكانة.

واقع الأمة اليوم ليس عن خرص أو قياس، إنما فقدت تميزاتها وابتعدت عن خصائصها الأصيلة التي طبعت عليها منذ أول يومها، فبينما كانت تفسر كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحياتها العملية وأعمالها النموذجية، وكانت موضع غبطة واحترام لدى الناس جميعاً، أصبحت اليوم فريسة الزيغ والانحرافية وذات تقليد للآخرين الذين يعبث بهم العابثون من الناس فيتأثرون بانحرافاتهم وأضاليلهم، بل الواقع أنهم يعجبون بهم في كثير من أعمالهم ونشاطاتهم التي تبعدهم عن الدين، وتجرفهم في تيار الذلة والضلال (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ).

ألم يروا أن الله تعالى أنزل لعباده المسلمين وغيرهم وللإنسانية جمعاء إلى آخر يوم الدين دستوراً محكماً وخالداً وباقياً، وفيه كل ما يحتاج إليه الإنسان من علاقاته بعالم الأرض والسماء، وهو يشرح إيجابيات الحياة وسلبياتها وما يحبه الله تعالى من عباده وما يبغضه منهم، بغاية من التفصيل والوضوح، وذلك في ضمن بيان للأمم البائدة والأنبياء السابقين وأقوامهم، فكانت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مثالاً عملياً لهذه الأمة باختلاف الأزمنة والأمكنة والشعوب والقبائل، ومع اختلاف البلدان والبقاع والأوطان، فلم يكن هناك عذر لأي فرد أو جماعة من الناس فيما لم يتيسر لهم العمل بأوامر الله تعالى، ذاك أن

طبيعة الدين متناسقة مع الطبيعة البشرية من غير اختلاف أو تمييز، بل الواقع أن الطبائع تتغير، والتصورات والأفكار تختلف وتتعارض، فيحدث بذلك فساد في كثير من أساليب الحياة السليمة، وقد يؤدي ذلك إلى نزاع أو صدام في بعض الأحيان.

إن نظرة واحدة على ما حدث من مخالفات ومنازعات في تاريخ الإنسان القديم والحديث إنما هي نتيجة الصراع بين الإيجابيات والسلبيات في الحياة والمجتمع، ولم تكن حروب الأمم والأقوام المنصرمة في التاريخ إلا من نتاج الفكر السلبي وعاقبة الكبر والغرور، وما يوم حليمة بسرًا وقد شهد العالم البشري في القرون المنصرمة حروباً دامية سببت خراب العالم والبشرية، وكانت نتيجة الفكر السلبي والغرور والخداع والصلف.

أما الإسلام فإنه يحارب الكفر والشرك، بعد ما يدعو الناس إلى الدين الحنيف ويذكر دور الإنسان في بناء العالم، فإن رفضوا وأصروا على محاربة طبيعة الإيمان وإنكار حقيقة الدين وألحوا على الزيغ والفساد في الأرض، فإنه – لكي يردهم إلى منصبهم الحقيقي ومركزهم الطبيعي – يحاربهم ويعيدهم إلى الحقائق الإيجابية وإلى بقائهم على طريق الإنسانية السليمة، وتنفرهم عن جميع السلبيات والأمراض الخلقية والرذائل النفسية والسيئات، ويعلن الله سبحانه مدوياً مجلجلاً لعباده المؤمنين: (نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ. نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ).

إننا أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأمس حاجة إلى تثمين الإيجابيات التي لا تحلو الحياة بدونها ولا تثمر شجرة الإيمان بثمار يانعة بغير ذلك، ولا شك أن نفي الباطل وإثبات الحق من أساس الدين، وبذلك يتوضح الحق المبين الذي لا يستغني عنه الناس في اي زمان ومكان، ولا سيما إذا كان للباطل غلبة وازدهار في الحضارات المادية التي أوغلت في إفساد الحياة في الدول والحكومات، وظل الإنسان المؤمن والجماعات الداعية إلى دين الحق في تهميش وتجنيب، والناس يلتفون حول لمعان الحضارات الزائلة والفلسفات الزائفة، ومن خلال هذه الانحرافات التي يتعمدها زعماء الإرهاب والنطرفات البشعة في العالم اليوم، لقد حدثت

أمس يوم الجمعة ٢٨/ رمضان ١٤٣٨هـ محاولة إرهابية استهدفت الحرم المكي الشريف والكعبة المشرفة من مكان قريب من الحرم الشريف، ولكن الله سبحانه أحبط عملية المتآمرين التي أرادوا بها خرق حرمة البيت العتيق والإصابة بالمعتمرين والاستيلاء على الأمن والاستقرار بالحرم المكي الشريف وفي أمكنة متعددة من بلد الله الحرام.

وقد أعربت دول العالم الإسلامي وغيره عن إدانتها واستنكارها الشديدين لهذه المحاولة الإجرامية التي فشلت بأمر من الله تعالى ورحمة منه، (ويمكن أن نطلع على بعض التفاصيل في الصفحات الأخيرة لهذا العدد).

فما أحوجنا اليوم إلى عرض الذهب الخالص اللماع من حقيقة الدين، إلى هذا العالم المادي الذي لا يكاد يميز بين الإبريز الخالص والحديد المزخرف بماء لماع تقليدي زائف، وليس إزاء ذلك إلا الأسف البالغ والحزن الشديد.

فإلى إيجابيات الإيمان والعقيدة وإلى نور الكتاب والسنة، لا إلى سلبيات اللمعانات الكاذبة والزخارف الخادعة، والأعمال الإجرامية.

(ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ).

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل).

أبشروا بنعمة الكمال والخلود!*

لم يكن الإعلان السماوي الأخير عن كمال هذا الدين وتمام نعمته على الناس إلا رحمة للإنسانية جمعاء إلى آخر لحظة من حياة هذا الكون والإنسان، فقد كان الكائن البشري منذ آدم عليه السلام يعيش حياة طفولة ونمو تحت إشراف خالق الأكوان بكاملها، وقد قيض الله سبحانه أن ينال الإنسان تربية الحياة رويداً في ظل تربية النبوات والرسالات التي بُعثت بها الأنبياء والرسل على مدى الأعمار والقرون، حتى جاء عصر النبي عيسى المسيح عليه السلام الذي أدرك عصر المراهقة ومبدء الشباب للجنس البشري، وتيسرت له التربية الإنسانية في ضوء تعاليمه التي بُعث بها إلى أمته، وإن كانت فترة العمل الواقعي والعيش في ضوء تعاليمها الأصيلة قصيرة، وتغيرت صورتها الحقيقية بأشكال متعددة في ظرف مدة قليلة لم تكن تمت إلى دين المسيح عليه السلام بأي صلة، وظلت المسيحية الزائفة عائشة في المجتمعات الإنسانية إلى ستة قرون، وهنالك ظهر أمر الله تعالى وقضى بمبعث خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم في بداية القرن السابع الميلادي، حينما كانت الإنسانية قد تدلت إلى آخر المدى وكانت قد تم شبابها وشُغلت باقتراف جرائم الشباب الخلقية على جميع المستويات الفردية والقبلية، ومثلت الضلال بأتم معانيه وأشكاله، يقول الله تعالى: "هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ".

فكانت البعثة الأخيرة ثورة عظيمة أساسية واجهها العالم البشري وعرف من عرف قيمة هذا الانقلاب الذي جاء لتغيير المسارات الخاطئة التي كان الإنسان قد اختارها لنفسه يوم ذاك، إشباعاً للشهوات التي كان يعيشها من غير رادع أو حاجز، وانسياقاً نحو الموجات العاتية من الجرائم الخلقية والإنسانية، وقد كانت راسخة الجذور في صميم حياة الناس الفردية والاجتماعية ولم يكن من السهل أن يفارقوها أو ينعزلوا عن كلها أو قلّها.

* مجلة البعث الإسلامي، عدد مايو ٢٠١٩م.

فكان ذلك هو السبب الأساسي في محاربة النظام الإنساني الجديد الذي أتى به خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وقد كان مبعوثاً من الله سبحانه ومؤيداً منه في إعلان الحق ضد الباطل الذي انغمس فيه الناس في هذه الفترة التي امتدت إلى ستة قرون، نشأت خلال ذلك أمم وشعوب وقبائل وحكومات ودول قائمة على أساس النفعية والانتهازيات المنوعة، وقد شهد العالم بكامله فشل كل نظام أو قانون وُضع لصيانة الإنسانية ونشر الأمن ومحاربة الفوضى والأنانية، إلا أن جميع المحاولات فشلت في إعادة الأمن وصيانة حقوق الناس وأعراضهم، وذهبت أدراج الرياح.

ورغم أن النبي صلى الله عليه وسلم بذل لأهل الجزيرة العربية أولاً كل النصح والخير ودعاهم إلى معرفة ذلك الصانع العظيم الذي صنع السماوات والأرض وخلق الإنسان وميّزه عن كل خلق آخر وفضّله على الأنعام، وأكرمه بقيادة الكون والانتفاع من نعمه الكثيرة التي خلقت للعالم البشري وحده، ولكنهم كانوا منهمكين في عبادة الأصنام والأوثان ومعتقدين أنها هي التي تملك كل قدرة على استجابة دعائهم وتوفير كل حاجاتهم، وأن الله تعالى فوّض إليها عمل الرزق والحياة بالعيش في ظل الوثنية، وقد ركز النبي صلى الله عليه وسلم بأمر من الله تعالى وبطريق جميع طاقاته الإيمانية وأساليب حياته على أسلوب العودة بهذه الأمة الجاهلية إلى أمة التوحيد والإيمان الحقيقي بقدرة الله تعالى ووحدانيته دون أن يكون له حد أو نهاية.

ومع اختلاف الأيام والأزمان تغير الوضع الحقيقي الأصيل بأوضاع مضادة وأصبحت المجتمعات المسلمة اسماً بلا رسم، وكذلك المسلمون عاشوا بالاعتماد على تاريخهم القديم، وباقتفاء آثار السلف من أب وجد وذوي القربى، وتناسوا ما قد بناه علماؤهم القدامى من قصور المجد والفخار العالية في مجالات العلوم والتقنية والحضارة الإنسانية الإيجابية، وكانوا قد استغلوا جميع طاقاتهم العلمية والإيمانية والعقلية في الإبداع والابتكار، سواء في المجالات الصناعية والفلسفات التمدنية أو في استخدام الخزائن الطبيعية في صالح الحياة والإنسان والكائنات، الواقع الذي كان قد فتح لهم طريق الحياة كجنس متميز بشري للعالم الذي كان يعيش أضل من الأنعام في ظلال الخوف وساحة الحزن والجوع،

ولكن الله سبحانه أخرجه من تلك الظلمات والمتاهات إلى ضوء العلم ونور الإيمان بفضل علماء الإسلام ودعاته المخلصين ممن بذلوا مجهودات بالغة في عملية الإخراج من أوضاع غير طبيعية إلى الوضع البشري الشفاف، ومن حياة البهيمية إلى العيش الإنساني الذي غيّر مجرى الحياة وعاد بالنوع البشري إلى مكانته السامية ومكانة "الأفضلية" والقيادة العالمية.

ومما يؤسف له اليوم أن إسلامنا المعاصر أصبح إرثاً ورثناه أباً عن جد في الأشكال الظاهرة والأشكال المروجة، إلا أن جوهرة الإيمان والثقة ودوافع التضحية والفداء غابت من غير إعلان، وبلغ عددنا إلى أكثر من ألف وخمس مأة مليون بل العدد الواقعي أكثر في الإحصاء العالمي الحقيقي أكثر بكثير من العدد المعلن عنه من المؤسسات الإحصائية العالمية، وهو في تزايد مستمر في العالم كله، الواقع الذي ملأ القلوب القاسية والأفكار المتمردة غيظاً وغضباً لا يمكن أن تقدر مساحة هذه القسوة والتمرد بأتم معانيها، ولا تزال هذه الثائرة ضد المسلمين المعاصرين تتسع على مر اللحظات واللمحات، ولكن نطاق المهتدين إلى دين الإسلام في اتساع مستمر ولكن سلسلة الملتجئين إلى ظل الإيمان وبرد اليقين في انتشار سريع ليس له توقف ولا تكاسل، كما هو المعلوم في ضوء الحقائق في عدد من دول الغرب والشرق، وليس هذا الواقع الملموس في مجتمع الأميين أو المتخلفين عقلياً واقتصادياً، بل الواقع أن ذلك مشهود في المجتمعات الثقافية العالية وأهلها العقلاء الراسخين.

وقد فوجئت أثناء كتابتي هذه السطور بخبر مدهش للغاية، ذاك أن جمعاً كبيراً من المصلين في صلاة الجمعة في أحد أكبر مساجد مدينة كرائست جرج Christchurch في دولة نيوزي لاندا، وفي مسجد آخر في نفس البلد وفي نفس الموعد (أثناء صلاة الجمعة) هاجم فيهما بعض الأشقياء الحاملين أسلحة من البندقيات التلقائية على المصلين واستمر في إطلاقها حتى استشهد منهم خمسون مصلياً، وكان عدد الجرحى أكثر مما يقاس، ووقع من هرج ومرج وفرار وسقوط على الأرض، وقامت قيامة أثارت العالم كله ضد الهمجية وبعثت في النفوس من المخاوف والاندهاشات ما لا يقاس، فكان من الطبيعي أن يقوم حاكم البلاد بالتفتيش عما جرى أثناء أداء صلاة الجمعة في المسجدين، والبحث عن أسباب الحادث الشنيع المفاجئ الذي تتجلى من خلاله عداوة شديدة

وشحناء خبيثة ضد الإسلام والمسلمين.

ولا غرو فإن رئيسة وزراء الدولة السيدة "جاسيندا آردرن" أسرعت في التفتيش عن الواقع المفاجئ المدبر والاهتمام باللقاء مع أقارب الشهداء وأزواجهم، وعيادة المرضى في مختلف المستشفيات، وتوفير المساعدات لورثة الشهداء والجرحى، ونشرت بياناً حول ذم المجرمين وعقابهم، وإعداد ظروف جدية ووسائل قوية للحد على مثل هذه الجرائم الإنسانية الخبيثة.

هذا الحادث البغيض الشنيع أثار الغيرة الإنسانية وتحدى فئة المجرمين الظالمين، ودعا أهل الحكم إلى نقمة سريعة ضد المجرمين بالسجن والقتل، واقتلاع جذور مثل هذه الجرائم الوحشية التي قلما يوجد لها مثيل في تاريخ العالم البشري. وقد طالبت رئيسة الوزراء المسئولين عن البرلمان الذي بدأته رئيسة الوزراء بالسلام عليكم وبتلاوة آيات من القرآن الكريم، بالتفتيش الجدي عما جرى من الوحشية التي تندّى بها جبين الإنسانية في العالم كله.

ومن ثم فإنني اعتقد أن هذا الحادث الوحشي سوف يثير رد فعل في محاكم العدل والصدق ويفتح الطريق بمشيئة الله تعالى نحو العودة إلى الفطرة الإلهية السليمة "فِطْرَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ".

والحادث مهما كان سيئاً ومشئوماً إلى آخر المدى ومهما كان نموذجاً للنسيج من المؤامرات والعداوات التي ينسجها الأنعام الوحوش متشكلين بأشكال من الإنسان، ولكنه في الواقع تبشير من الله سبحانه بدخول الناس في دين الله تعالى أفواجاً، ولقد صدم آذان هؤلاء المجرمين دخول أفواج من الناس في دين الله تعالى عقب وقوع هذه الجريمة من غير تأخير، كما أفادت الأنباء بذلك، ولا يزال عمل الاهتداء إلى هذا الدين مستمراً بغاية من الجدية والإخلاص، وستؤتى أرواح شهداء هذه الوحشية الإجرامية ثماراً يانعة جنية بإذن الله تعالى، "وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ ٱللَّهِ، يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ".

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الإسلام

فطرة الله التي فطر الناس عليها!*

لم تكن الديانات التي سبقت الإسلام ذات انسجام كامل مع طبيعة الإنسان الذي ظهر على ساحة الوجود في نهاية القرن السادس الميلادي، ذاك أن العالم البشري كان يجتاز فترة الطفولة التي بدأت منذ آدم عليه السلام وظلت تتربى في عهود الأنبياء السابقين في ظل الرسالات السماوية على أيدي الأنبياء والمرسلين الذين قاموا بتعليم آداب الحياة لأتباعهم في ضوء الوحي السماوي من أول درس أساسي حول الإيمان بقدرة الله الذي خلق السماوات والأرض والشمس والقمر لتيسير حياة الإنسان في هذا الكون، ومن خلال هذا الدرس الأول الأساسي تدرج الأنبياء، كل في عهده، إلى دروس باقية مما كان له صلة بالتربية والتوجيه الخلقي بقدر ما كان يستسيغ الإنسان في عهود النبوات السابقة مع قضاء عمره من الطفولة البدائية إلى عهود الشباب، وقد تم شبابه وشعوره العقلي ووعيه الفكري لجميع آداب الحياة وحاجاتها ومتطلباتها، تخلل ذلك تلك الفترة الطويلة التي كانت فرصة للتوعية الكاملة والبلوغ إلى النضج العقلي، والتمييز العلمي والمعرفي حتى ظهر في أحسن تقويم بعد ما اكتمل عهد الشباب، ولكنه كان يعيش مغروراً بربه الكريم الذي خلقه فسواه فعدله، وذلك ما ينادي به الرب تعالى وهو يهدد الإنسان: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ. ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ)، كأنه يسأله: يا ابن آدم ما غرك بربك وبماذا أجبت المرسلين؟ وقد خاطب الإنسان بجميع ألوانه وأجناسه وشعوبه وقبائله وهو يسائله قائلاً: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ)، ولا ريب أن هذا الخطاب كان بعد ما بلغ الإنسان مرحلة التعقل وإدراك الحقائق الكونية، بعد بعثة خاتم النبيين وإكمال الدين عن طريقه الذي سماه الإسلام.

ومع بدء جنس الإنسان مرحلة البلوغ العقلي في إدراك حقائق

* مجلة البعث الإسلامي، عدد فبراير ٢٠١٩م.

الحياة والكون، أكرمه الله سبحانه وأنعم الله عليه بالدين الكامل الذي أتم نعمته على يد خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبذلك كان هذا الدين بتعاليمه وأحكامه وشرائعه أعظم قوة استوعبت العالم البشري كله، وقامت بدور مثالي في دحر الدولتين العالميتين الرومية غرباً والفارسية شرقاً، ولم يكن هناك من يستطيع أن يحلم بانهزام أي واحدة منهما، حكما باستيلائهما الكامل على مصير الإنسان يوم ذاك، فكان الإسلام منذ أن جاء به خاتم النبيين قوة هائلة كبيرة لا تقوم أمامها أي قائمة من الحكم والمال والمنصب والسلطان، وهي من الحقائق التاريخية الملموسة التي تؤكد أن الإسلام سيطر على العالم في مدة قليلة وأصبحت له غلبة على القلوب وهيمنة على النفوس، وذلك بحكم الطبيعة الإيمانية التي أودعها الله سبحانه في الإسلام وأتباعه، ودعاته وقادته، ممن أدركوا هذا السر المودع فيه، ورأوا أن يفشوا هذا السر العظيم بين العالمين بالثقة واليقين، وفي صورة عملية حية، فمثلوا هذه الصورة الحية في واقع الحياة والمجتمع، ورخصوا كل متاع الدنيا، فشهد العالم البشري أمثلة نادرة من عجائب التاريخ الإنساني التي حدثت في فجر تاريخ الإسلام وظهره وعصره، وحتى في صباحه ومسائه، وهي مسجلة في صفحات هذا التاريخ، ويطلع عليها الناس ولا يزالون، وقد جمع الله تعالى في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم جميع الصفات العالية والنماذج الفذة من الحب والإخلاص والطاعة، والخضوع الكامل لأوامر الله تعالى ونواهيه، وسارت على ذاك الدرب جماعة الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من المسلمين المثاليين الذين مهدوا الطريق بصفة دائمة في كل عصر وزمان بالدعوة إلى الله، لكل من أراد أن يدخل في دين الله ويتبع الرسول صلى الله عليه وسلم.

ألم يكن العهد الجاهلي شقياً من خلال العادات والتقاليد التي كانت تضاد طبيعة الإنسان وتعاكس الفطرة (فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ) في كل حال مهما كانت الظروف، ولكن معاكسة الفطرة بذرت في نفوس الناس في ذلك العهد بذور الفرقة والشقاق والمعاداة والخلافات، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالتحابب والتآخي، والاعتصام بحبل الله جميعاً كما تحدث بذلك كتاب الله تعالى بصيغة الأمر وقال: (وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ

أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)، يقول القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: (أمر الله تعالى بتذكر نعمه وأعظمها الإسلام، واتباع نبيه محمد عليه السلام فإن به زالت العداوة والفرقة، وكانت المحبة والألفة)، ولولا نعمة الإسلام العظيمة لما تلاشت العداوة التي كانت راسخة الجذور بين القبائل العربية ولم تعد متحابة متناصحة حيث يحب الرجل لأخيه ما يحب لنفسه، ولكنها هي نعمة الله التي خص بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد تحدث عن كمالها وبقائها، مع استغناء العالم البشري عن كل ديانة أو نظام أو حكم: سماحة العالم الكبير الإمام العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) يقول: (إنه دين حي ورسالة خالدة، إنه حي كالحياة نفسها، وخالد كخلود الحقائق الطبيعية ونواميس الحياة، إنه تقدير العزيز العليم، صنع الله الذي أتقن كل شيئ وقد ظهر في شكله النهائي وطوره الكامل وأعلن يوم عرفة "ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلاَمَ دِيناً" فهو يجمع بين الكمال الذي لا انتظار بعده لدين آخر، ولا حاجة معه إلى رسالة جديدة، وبين الحيوية التي لا نفاد لها والنشاط الذي لا آخر له، ولذلك استطاع أن يساير الحياة ويراقبها في وقت واحد، ويتابعها في مايع كثير من الفلسفات النظرية، وذلك مثل الدين الكامل، ومثل الدين الحي للإنسان الحي، الذي يشعر بشعوره أو يعترف بحاجاته، ويرشده في مشاكله ويعارضه في اتجاهاته الفاسدة).

ومن هنا كان الإسلام مستوعباً لجميع النشاطات الإنسانية والحاجات المادية والمعنوية بصفة دائمة مستمرة، وما أنزله الله سبحانه كدين محدود أو نظام محصور في ركن أو بقعة من الأرض، إنما يقود الإنسان والكون والحياة إلى هدف واحد، وهو الجمع بين سعادتي الدين والدنيا بغاية من التوازن والانسجام الكامل وبالجمع المتزن السوي بين حسنة الدين وحسنة الدنيا، وبذلك كان هذا الدين القيم حاجة الإنسان في كل جانب عملي وفي كل حاجة إنسانية، فبذلك هو النسيج الوحيد لجميع المنطلقات الحيوية والنشاطات الفردية والجماعية، يصل العبد بربه تعالى ويصل العباد بالعباد، فكل شخص مسئول عن أعماله وعلاقاته

المخلصة، والكل راع ومسئول، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع وهو مسئول عن رعيته في بيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم راع وهو مسئول عن مال سيده.

وبذلك نستطيع أن نقدر شمولية الدين الأخير على جميع أجزاء الحياة وآدابها ومتطلباتها بصفته الدين الأخير الكامل الباقي إلى بقاء العالم البشري، ودوام الإشراف السماوي عليه مهما تطورت الظروف العالمية، وذلك على جميع المستويات من غير نقص أو زيادة في أي جزء منه، ومعلوم أن مثل هذا النظام السماوي الذي ليس إلا من صنع الله العليم الخبير، يتكفل بجميع احتياجات الإنسان ومطالبه، فلا يفتقر بعد ذلك إلى أي مسمى حضاري فلسفي، ولا إلى أي نظرية مادية أو ديانة بائدة أو مزعومة، إنما هو فطرة الله التي أعلن الله سبحانه عنها مدوياً مجلجلاً (فِطْرَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ).

إذن فإن نعمة الدين الكامل الخالد الباقي إلى بقاء الإنسان وإلى نهاية هذا العالم البشري، نعمة مستمرة خلقها الله سبحانه لسعادة الحياة الإنسانية، فليس لها تبديل ولا تغيير.

وقد يتوافر عدد كبير من الناس ممن لا يعرفون قيمة هذه النعمة المستقلة الدائمة على صورتها الأصيلة دون نقص وزيادة، إن الإيمان الراسخ بهذه الحقيقة الربانية ومعرفة حرمتها العظيمة لمن مهمات الحياة والإنسان والكائنات بكاملها، وعليها يرتفع صرح الحياة الإنسانية، وبها تتحقق غاية الاتصال بالخالق العظيم، والعيش في أكناف رحمته التي تعمل بدورها في إرضاء الضمير وتوفير الهدوء والطمأنينة للنفس والاستمتاع من نعم الحياة ومعطيات الدين، والعمل بأحكام الشريعة السماوية السمحاء.

يقول الله تعالى وهو يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الدين الكامل

نعمة لا تساويها نعمة!*

إذا تساءلنا عن أعظم نعمة رُزق بها الإنسان في هذا العالم البشري، ما هي؟! لكان الجواب من غير تلعثم إنما هي نعمة الإسلام التي أكرم الله سبحانه بها الإنسان، وجعلها مفخرةً لا تعادلها عزة ولا كرامة، ولا تضاهيها كنوز من ثروات العلوم والمعارف ولا الدراهم والدنانير، لقد أعلن الله تعالى أن كمال الدين وإتمام نعمة الإسلام لبني آدم منة عظيمة ليست بعدها منة ولا نعمة من نعم هذه المعمورة في أي زمن أو فترة من التاريخ، فإذا بدا من أفراد هذه الأمة استخفاف بهذه النعمة أو إهمال لها فإن الله سبحانه يستبدلها بشقاء أو نقمة من غير تأخير، أو بإمهال يترقب خلال ذلك بالعودة إلى سابق حالهم، وقد سجل التاريخ أمثلة لكل طبقة من الناس تجرأت بكفران نعمة الله تعالى، أو وضعها في غير محلها.

إن كفران نعمة الله تعالى وعدم الاهتمام بها في أي زمان ومكان أدى إلى أسوء النتائج على جميع المستويات سواءً على مستوى الأفراد، ومستوى الشعوب، ومستوى الدول والحكومات، كما أن كثيراً من الأفراد والجماعات والشعوب والقبائل التي كانت تعيش في حرمان من هذه النعمة لما أدركت حقيقتها وتبنتها بالتعظيم والتقدير رفع الله سبحانه شأنها، وأكرمها بالسيادة والقيادة، وأعطاها زمام الحكم ومنصب الإمامة والهداية، إنها سنة الله في الأرض منذ أن خلقها وبث فيها ذوي العقول من الخلق، فهذا الملك الجبار العنيد حينما كفر نعمة الله ورفض أمره تعالى بالسجود لآدم طرده من السماء وسمّاه الشيطان الرجيم، وغفر الله سبحانه لآدم عليه السلام ولكنه أنزله إلى الأرض لحكمة كبيرة كانت مقدرة، فجعله أول نبي في الأرض يدعو إلى الله وينشر دينه بين الناس، وبذلك أرسى قواعد الدعوة إلى الله تعالى عن طريقه وعلمه

* مجلة البعث الإسلامي، عدد مايو ٢٠١٨م.

الأسماء كلها ثم عرضها على الملائكة وقال أنبئوني بها فاعتذروا وأبدوا عدم علمهم وقالوا "لاَ عِلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ".

ومن ثم فإن تقدير نعمة الله تعالى والعمل بمقتضاها طبيعة الشكر والعرفان، وقد عمت هذه النعمة الكبرى في جميع طبقات الناس، في طبقة الملوك والحكام وأصحاب القوى والطاقات والوسائل الكبيرة، ولكنها لما طغت وبغت وتناست النعمة هلكت وبادت ولم يبق لها شيئ إلا ما أبقاه تعالى كعبرة للتاريخ البشري، وكم من جماعات وشعوب ذات كرامات ووجاهات، وغلبة ورهبة، حينما استخفت نعمة الله تعالى عاقبها بالفناء والدمار بكامل ذكراها وتاريخها، وأفناها بالذل والعار.

كما أن هناك أمماً ضعيفةً وأسراً خفية، وجماعات وقبائل لا شأن لها ولا قيمة، عاشت في خشوع وخضوع أمام كبرياء ربها والتجأت إليه في كل لحظة من الحزن والسرور وامتزج حبه في لحمها ودمها، فإن الله تعالى رفع شأنها رغم صغرها وضعفها، وقلة مالها ووسائلها، وأعوانها وأنصارها، وربما هي قامت بحل مشكلات اجتماعية عجز عن حلها أرباب القوة والجاه، وأحياناً لعبت دوراً كبيراً في مجال الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله، إنها جماعة الضعفاء ولكنها تعيش في طاعة الله ورسوله وخشية الله تعالى وتقواه فيرافقها النجاح والفلاح في كل حين وآن، ولدى كل حاجة وفي كل ساعة (مَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ).

إن التاريخ البشري العام حافل من نماذج الشاكرين والغافلين من أول يومه، وهو مستمر ما دام العالم الإنساني متجهاً نحو الغاية الأخيرة التي قررها الله سبحانه للكون، ولا يسعى أي شخص أن يغطي الأمثال والأحداث كلها مما يتعلق بالشكر والخضوع والعبودية لله تعالى، وبالكفر والكبر والتيه والغفلة والاستكبار، وعواقب كل منها ونتائجها معلومة مشهودة.

أما ما نشاهده اليوم من بعض هذه النماذج في العالم كله وسيما في بلاد ودول المسلمين ومع المسلمين فهي ذات عبر ودروس، وفيها شهادة على أن الغفلة إذا امتدت وبلغت إلى الاستغناء عن نعمة الإسلام أو إلى

إهمال شأنها فإنها تأتي بنتائج وخيمة من تسول الأهواء وتسلط الأعداء على جميع وسائل العيش وتضايق جوانب البلاد وخيانة المرافق وتخاذل اسباب الحياة وأخيراً مفاجآت من القتل والفتك وشمول الفساد في جميع الأنحاء والمجتمعات، وتدمير النفوس والبيوت والمعابد والمقدسات، ومن الحصار ومنع جميع وسائل الحياة عن الوصول إلى أيدي الناس حتى يكونوا عالة يتكففون، وفقراء يتسولون أو يموتون جوعاً وعطشاً في شقاء وبؤس، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد.

إن التبشير بكمال الدين تعبير عن تمام النعمة على الإنسان والكون وذلك بواسطة القانون السماوي الذي أنزله الله تعالى عن طريق خاتم الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم للناس جميعاً، فليس هو موقتاً ولا متغيراً ولا قابلاً للنقص والزيادة وفق متطلبات الظروف والأهواء ومقتضيات المصالح والحاجات، ولقد عاش المسلمون بتمام هذه النعمة وقاموا بأداء حقها بكل دقة وأمانة فأقاموا حكم السماء في الأرض، ومثلوا خلافة دين الله تعالى في المجتمع، وهزموا القوى الكبرى الحكومات المادية القوية بالخلافة الإسلامية وزحزحوا عروش الجبابرة الظالمين وأنشأوا دولة الإسلام التي ارتفعت فيها كلمة الله، ونفذت فيها شريعة الله بجميع أحكامها وشرائعها، وأصبح فيها الخليفة مثل العامة يُواخذ إذا انحرف عن الطريق أو فاته نوع من العدل، فإذا بفرد واحد من عامة الناس يذكّره بذلك، وينبه فيه حكمة العدل والقضاء، وهناك يقبل الحاكم والخليفة إذا ما صدر منه خطأ ويشكر الرجل على ما أحسن إليه، ويعيش طوال مدته في الحكم في خوف وخشية من الله تعالى، ويعتبر نفسه خادماً فحسب، ولم يخطر بباله إنه حاكم أو خليفة وهو أفضل من غيره، بل كان هؤلاء الخلفاء يشعرون بمسئوليتهم كامل الشعور، ويعتقدون أنهم في قاعة امتحان من الله تعالى، ويتمنون النجاح بالرد الصحيح على كل سؤال يُوجه إليهم، فهم في سعادة دائمة من غير شك.

عالمنا اليوم غني بعدد سكانه، وفيه عدد لا بأس به من الدول المسلمة التي تنتمي إلى المسلمين ممن يدينون بدين الإسلام ويمارسون في

حياتهم شرائع الإسلام ويلتزمون بالواجبات والفرائض ويمثلون حياة اجتماعية وفق تعاليم الدين، إلا أن طبقة من المسلمين فيها تعيش إسلاماً وراثياً وقلما يمثل الدين الكامل ويعتز بنعمة الإسلام، وهذا ما يتوافر في كل بلد ومجتمع، وبذلك يكون ذا صلة بالدين ويستحق من الناس جميعاً أن ينال حقوق الحب والاحترام، ويتمتع من أهل الحكم بمراعاة دينية لدى كل حاجة، ولكن الواقع الذي يُشاهد أن عدداً كبيراً من شبابنا وأفراد مجتمعنا لا يتصلون بالدين اتصالاً كاملاً عملياً ولا يرون بأساً فيما إذا فاتتهم عبادات أو أعمال مرضية عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولعل هذا النوع من أفراد الأمة يتكاثر في مجال الحياة والمجتمع اليوم، ومعلوم أن الله سبحانه لا يرضى بذلك إلا أنه يوفر فرصاً للعودة إلى الحياة الإسلامية المرضية عنده، ويتيح لأمثال هذا النوع من الناس مناسبات للعمل المطلوب في شريعته، وصبغ الحياة بالصبغة الإيمانية الثابتة.

فلما طال علينا الانحراف عن الدين الكامل، ولم نتمكن من تقدير نعمة الله تعالى والاستعانة بها والاستفادة منها في ضوء تعاليم الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح، عُوقبنا بطرق شتى، وأخيراً بعقاب شامل يشمل كلاً من المخلصين الصالحين والمذنبين الظالمين والعصاة المجرمين، وسُلط عليهم أقوام لا خلاق لهم، وهم يذيقون الناس مرارة العقاب وشدة العذاب في عالمهم المادي بأشد أنواع النقمة والذلة التي تقشعر منها الجلود (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

وقد أعلن الله تعالى أنه أكمل الدين وأتم نعمته على الناس بكمال هذا الدين الذي ارتضاه، وسمّاه الإسلام، فلما تناسى الناس قيمة هذا الدين الكامل ونعمته التي أنزلها إليهم بواسطة تعاليم شريعة الإسلام، وطووها في طوايا النسيان والإهمال، أخذهم الله بأنواع مختلفة من السخط والغضب خلفت لنا عبرة وانطلقت ألسنتنا بالالتجاء والتضرع إلى الله تعالى: (رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ).

ولقد كانت نعمة ديننا الكامل نعمة كبرى خالدة ودائمة اغتبط

بها أحبار اليهود والنصارى، فقد جاء فيما رواه طارق بن شهاب (رضي الله عنه) قال: لما نزلت آية (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً) جاء رجل من اليهود إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: إنكم يا أمير المؤمنين تقرأون في كتابكم آية لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأي آية؟ قال: (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً)، فقال أمير المؤمنين: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم والساعة التي نزلت فيها: عشية عرفة يوم جمعة.

ومن ثم نستطيع أن نتعرف أهمية هذه النعمة التي هي نعمة الدين الكامل الذي ارتضاه الله سبحانه للإنسان جميعاً والعالم البشري بكامله بصفة دائمة باقية إلى يوم الدين، فماذا يكون مصيرنا بإهمال هذه النعمة العظيمة، والغفلة عن الشريعة الإنسانية التي أودعها الله سبحانه في دينه الكامل! وقد أكد فقال: (إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَامُ).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

دور العلم والإيمان الوحيد في وجه الطغيان العنيد*

إن المسلمين يشكلون اليوم نحو ربع سكان العالم، وعندهم إعدادات من العلم والثقافة واسعة، وهم يملكون حضارة إنسانية عالية، وصناعات وتقنيات لا نظير لها في أي عصر من العصور السابقة، ولديهم إمكانيات ضخمة من الوسائل والطاقات الكونية، وهم يملكون مدارس وجامعات ومؤسسات علمية واسعة النطاق قد لا يأتي عليها الحصر، وعندهم مراكز للعلوم والمعارف وكثرة العاملين في كل مجال من مجالات العلم والدين والآداب والثقافات والمعارف، ولهم اطلاع واسع على التاريخ العالمي من جميع النواحي، ولكنهم مستهينون من خلال المجتمعات والدول العالمية الكبرى، وفاقدون وزنهم في ميزان القوى المادية والقيادية.

فما هو السبب في هذا الضعف والوهن؟

ولعل الحديث الذي رواه أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه يلقي ضوءاً كاملاً على الإجابة على هذا السؤال: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ، قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل يا رسول الله: وما الوهن، قال: حب الدنيا وكراهية الموت) (أبو داود، كتاب الملاحم، رقم ٤٢٩٧، ومسند أحمد، ص/ ٢٧٨).

أفليست الأمم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً تتداعى على بلاد المسلمين ودولهم، في كل مكان، وتنهب ثرواتهم وتذبّح أولادهم ونساءهم، وتدمر مساجدهم ومنازلهم ومدنهم، وهل حدث ذلك ولا يزال يحدث من غير سبب؟ لا بل إن عدد المسلمين كثير، وثرواتهم غزيرة ووسائلهم قوية وكبيرة، ولكن مهابتكم الإيمانية قد زالت، وأصبحوا كالأيتام على مائدة اللئام، لأنهم أصيبوا بداء عضال، ومرض الكسل والوهن، أصيبوا بحب الدنيا وكراهية الموت.

لقد تحققت هذه النبوة اليوم بكاملها وعمت في المجتمعات التي تسمى إسلامية، وأنى لها الانتماء إلى الإسلام، وأي ميزة تميزها عن المجتمعات المادية الغارقة في بحر من المعاصي والسيئات والمنكرات، وقد آن لها أن تتذكر أن الغرب قد انتقل الآن من الغزو الفكري والاجتماعي إلى غزو عسكري شامل بغاية من الشدة وبوسائل ضخمة وآليات منوعة لا يحصرها العد والحد، وما يجري اليوم في أراضي وبلاد المسلمين من تهجير وطرد وإخراج أدل دليل على أن النوايا تنتقل من سيئ إلى أسوأ في هدم أسس الدين، وتقويض دعائم الإيمان واليقين الراسخة في النفوس.

إن أعداء الإسلام استولوا على المراكز السياسية والاجتماعية وعلى ما يسمونه: الأمم المتحدة، ومن خلال ذلك يفرضون حصاراً اقتصادياً يشمل العالم الإسلامي وبلدان الأقليات المسلمة ويقومون – تحقيقاً لأحلامهم المزعجة – بتدريب ملايين من الغزاة والمقاتلين من جنسيات مختلفة ضد الأمة المسلمة التي هي أمة واحدة، وتصفية وجودها من كل مكان أو تغييرها بأمة لا شأن لها بالغاية التي بعثت من أجلها إلى العالم البشري، يفعلون ذلك لمجرد تخلية الجو وانتهازه لتنفيذ المخططات الهدامة في كل بلد يوجد فيه انتماء إلى الإسلام.

لو لا أن هؤلاء المساكين يعرفون أن طبيعة هذا الدين تتفق وطبيعة الإنسان في كل زمان ومكان بدون أي استثناء لما تظاهروا بهذه الطبيعة الحاقدة، ولم يقوموا بوضع طاقاتهم من كل نوع فيما لا ينفعهم، ذاك أن النقمة بغير سبب لا مبرر لها في أي شريعة حتى في شريعة الغابات والجهل والأنانيات، ولكنهم ملحون على تنفيذ مخططاتهم ضد هذه الأمة المسالمة، والداعية إلى احترام الإنسانية وإنقاذها من كل مهلكة وإتاحة الفرص لها لقيادة العالم.

وهنا تكمن نقطة الخلاف في القيادة العالمية التي نالتها خير أمة أخرجت للناس، وحُرمتها الأمم البائدة، ذلك لأنها حق واضح استحقته أمة الإسلام وأخذت زمام هذه القيادة بيدها، وذاك لأنها سلكت الطريق المبين والمعين لها من خلال تعاليم الإسلام وتربية النبي عليه الصلاة والسلام، وقد أطلق الله سبحانه نداءً إلى الناس جميعاً فقال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ

أَتْقَاكُمْ، إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)، فكانت التقوى هي المقياس الأصيل لمن يصلح لقيادة العالم البشري بكامله، ومعلوم أن الذين لم يبلغوا هذه المكانة العالية إنما يريدون أن يعرقلوا مسار أهل القيادة ويكيدون ليشغلوهم بمشكلات الحياة ومصايب الدهر وأمراض القلوب، مما يجعلهم يفقدون منصب القيادة، ويصابون بالضعف والوهن.

وقد تحدث الله سبحانه وتعالى في كتابه عن عبده الخاضع الأواب، داود عليه السلام الذي أعطاه ملكاً واسعاً، جزاء ذكره المستمر لله تعالى والخضوع لأوامره، فكان ملكاً خاضعاً خاشعاً أوّاباً لله تعالى ذا قوة في العلم والعمل، فرضيه الله تعالى وسخر له الجبال والطير محشورة كل له أواب، وشدد ملكه وآتاه الحكمة وفصل الخطاب، يقول سبحانه: (ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ. وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ. وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ) (سورة ص: ١٦ – ٢٠).

إن قليلاً من التدبر والتأمل في الآيات يعطينا صورة لعبد من عباد الله الذي اتصل بربه ووثق بوعده وشغل نفسه بذكره، فأكرمه الله تعالى بالقوة العظيمة في العلم والعمل، وسخر له الجبال التي تعتبر أقوى قوة على سطح الأرض، فكانت تسبح لله تعالى معه ليل نهار صباح مساء، جاء فيما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين أنه قال: (أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقى، وإنه كان أواباً).

إن عبد الله الأواب ما فاز بهذه المكانة العالية من الجمع بين قوة الحكم وجائزة التسخير وعظمة الحكمة وفصل الخطاب إلا لأنه اتصل بربه تعالى اتصالاً مباشراً وعاش عبداً ذاكراً أواباً، واستمر في إيثار حب الله تعالى والخضوع أمامه على حب الدنيا وحب الأهل والمال وقوة الملك، إنه جمع بكل توازن بين هذه المعطيات كلها ولم يقصر في استخدام قوته العلمية والعملية واستعمال حكمته وفصل خطابه مما له علاقة بداخل المرء بقلبه وعقله وعلمه وذكائه وأدب لسانه وبلاغة كلامه، وكلما عاش الإنسان مثل هذه العيشة المرضية عند الله تعالى، استقبلته العزة

والقوة والسعادة والعلم في كل مكان، ومثله يتحلى بتقوى الله ونصر الله، والتوفيق الكامل من الله تعالى لكل عمل وفي كل مناسبة، فلا يخشى إلا من الله، ولا يلين إلا لله، ولا يعيش إلا لله، ولا يخاف أي قوة مادية مهما بلغت من القوة آخر مبلغ، ولا يبالي بأي ملك أو سلطان، إنما همه الله وحده، ورضاه وحده، ونصره وحده.

وبالمناسبة نتذكر قصة للجراءة الإيمانية والشجاعة الدينية بالرجعة قليلاً إلى الوراء إلى فجر التاريخ الإسلامي حيث نشاهد للمحة واحدة واقع الاستقامة والصمود في وجه جلال الباطل الزائف وعظمة السلطة الكاذبة، والملوكية الزائلة.

ذلك أن سعد بن وقاص رضي الله عنه أرسل ربعي بن عامر عبر فتح المدائن إلى رستم قائد قوات الفرس وأميرهم المرهوب الجانب، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابي والحرير وأظهر اليواقيت واللآلي الثمينة العظيمة وكان لابساً تاجه الثمين ومتحلياً بأمتعة ثمينة أخرى، وكان جالساً على سرير من ذهب.

فدخل عليه بثيابه الصفيقة وترسه وفرسه القصيرة، وما زال راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت، فقال رستم: ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم، فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

بمثل هذه الشجاعة العظيمة كان المسلمون يواجهون الحكومات الكبرى والقوات المادية، وبمثل هذه النظرة الإيمانية كانوا ينظرون إلى الدنيا وزخارفها، وبمثل هذا التوكل والثقة بوعد الله تعالى كانوا يواجهون الملوك والعظماء، وكانوا مؤمنين، متمتعين بوحدة الأمة الواحدة، وكانت علاقتهم بربهم قوية وطيدة فكانوا واثقين بربهم وبنصره ووعده، (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم

مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ).

أرأيتم – أيها القراء الكرام – هذه الضآلة في الجسم والثياب والفرس، ثم تلكم الشجاعة النادرة والثقة بالله تعالى بالنصر الذي رافقه طوال هذه اللحظات الحرجة، والموقف الدقيق الذي وقفه من الجهر بكلمة الله وإعلان كبريائه بأسلوبه المتحدي أمام رجل كبير كان قد بلغ في الغطرسة والاستكبار مبلغاً أخيراً، فما هو الذي فعل هذا السفير الإسلامي الذي كان مبعوثاً إليه، والذي كان يتفجر إيماناً وعقيدة وثقة وقوة من عند الله سبحانه، وماذا كان من ذلك الرجل الفارسي الأمير ذي الهيبة الكبيرة والحاكم الطاغية؟ إنه لم يلبث إلا أن يغادر بلاده إلى مهجر، ويترك للفاتح المؤمن بلاده وعباده لكي يجري حكم الله وأوامر الله وشريعة الله تعالى في هذه البلاد ويتمثل فيها حكم الإسلام بواقعه العملي ليس غير.

فإذا اجتمعت قوة الإيمان الصادقة الراسخة وقوة الحكم والحكمة وفصل الخطاب وقوة اللسان والبيان في فرد أو جماعة فإن ذلك يأتي بالعجائب والغرائب التي تساعد في إحداث الثورات على مخادع الكفر والنفاق، ويكفي لتغيير النفوس وتوجيهها من الرذائل إلى الفضائل، ومن متاهات الجهل والضلال إلى مساحات العلم والرشاد، وهنالك تتوطد الصلة بين الله والعباد، ويحدث انقلاب في الطبائع والمجتمعات والحكومات.

(وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

دور اللفظ والمعنى
في مجال التعليم والتربية!*

إذا درسنا مفاهيم اللفظ والمعنى الذي يُعتبر البنية الأساسية لحياة الإنسان، وتعمقنا إلى جذورهما التي لها دور كبير في تأسيس المجتمعات الإنسانية على اختلاف بقاعها وبلدانها لَتيسر لنا الوصول إلى أن المعاني إنما هي غاية الإنسان في كل مجتمع، وما الألفاظ إلا أوعية بأشكالها وصورها وألوانها وشكلياتها للتعبير عن المقاصد والمعاني التي تقوم بإنجازها عملية النطق والبيان، سواء في حالة الرضا والغضب أو في أحوال الحب والمودة وألوان السخط والغيظ.

هذه هي نفسية اللفظ والمعنى باختلاف الأجناس والمناخ، ورغم توافر القبائل والقوميات وتغير الفصول والأجواء أو تغاير المصالح والاتجاهات، فالإنسان محصور بين اللفظ والمعنى في كل زمان ومكان، حتى إنه يفتقر إلى ترجمان ينقل معنى اللغة التي لا يعرفها الفريق الآخر، سواء باختلاف البلدان والأجناس أو من جهل أو من أمية أو ما أشبه ذلك من ظروف، إلا أنها حاجة أكيدة لا ينكرها أحد، وضرورة فردية وجماعية من جميع النواحي، يواجهها بل يعيشها كل إنسان مهما كان، وقد تحدث علماء البلاغة عن الحاجة إلى اللفظ والمعنى بتفصيل للغاية، وفي مقدمتهم العلامة عبد القاهر الجرجاني في كتابه: "دلائل الإعجاز" بوجه خاص من خلال فلسفته البلاغية التي انفرد بها بين علماء هذا الفن العظيم، وأكد أن البلاغة للمعاني لا للألفاظ.

ولذلك فإن تبادل العلم والثقافة والتعاون على توسعة هذا المجال من أهم واجبات الحياة الإنسانية، وبذلك يقدر كل إنسان أن يعرف غاية خلقه ويدرك حقيقة خالقه العظيم الذي خلقه فسواه فعدله، ويتوصل إلى نتيجة واحدة فقط، وهي أن الله سبحانه لم يخلقه إلا لكي يعرف ربه، ويعلم ما يعود عليه من حق عظيم نحو عبادته وطلب مرضاته بصفة

* مجلة البعث الإسلامي، عدد أغسطس ٢٠١٩م.

مستمرة في جميع الأوقات والحاجات والأنشطة، وفي كل الأعمال التي لا مناص له منها، سواء كانت ذات علاقة بذاته أو بعائلته أو أعضاء أسرته ومجتمعه أو بمن تقيد بقيود زائدة لا علاقة لها بالآداب الإنسانية المعلومة.

ومن هنا نال العلم بجميع مراحل التعليم والتعلم، وتبعته الثقافة بألوانها وأنواعها، كل عناية وتركيز على جميع المستويات الإنسانية والعالمية، وأقبل الناس على توسعة نطاق العلم وتوزيعه بين أنواع ودرجات كثيرة، وإن كان في أول أمره نوعاً واحداً أشار إليه الله سبحانه في أول سورة أنزلها على النبي صلى الله عليه وسلم: (ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ. خَلَقَ ٱلإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ. ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ. عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)، إلا أن قوله تعالى: (عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) يشير إلى أن هناك علوماً لا نهاية لها وقد علمه منها ما قدر عليه أو أراده الله تعالى، لكي يأخذ منها ما قدّر له. وفي الحديث الذي رواه أبو الدرداء رضي الله عنه في بيان فضل العلم وأهميته، نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحث الناس على طلب العلم بشيئ كثير من العناية والاهتمام، وبيان فوائده في كل من الدنيا والآخرة، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّه لَه طَرِيقًا إِلَى الجنةِ، وَإِنَّ الملائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطالب الْعِلْمِ رِضًا بِما صَنَعَ، وَإِنَّ الْعالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ في السَّماواتِ والأَرْضِ حتَّى الحِيتانُ في الماءِ، وفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعابِدِ كَفَضْلِ الْقَمرِ عَلى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وإِنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ، وإِنَّ الأَنْبِياءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وإِنَّما وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحظٍّ وَافِرٍ".

ولكن العلم العام لا يختص بالمسلم فقط بل المسلم مسئول عن الحصول على العلم الأساسي الذي هو منبع كل علم ومعرفة، ولا يصلح لذلك إلا الشخص الذي يجمع بين أنواع العلوم والمعارف فيما يتعلق بشئون الدنيا والدين، لذلك كانت حياة المسلم مرآة لكل ما هو بحاجة إلى إصلاح جسمه وتزكية قلبه، ومن ثم أقبل المسلمون في كل بلد بإقامة المدارس العلمية والجامعات، وخاصة أمة العرب توجهت عنايتها إلى بناء المدارس وتأسيس الجامعات العلمية والتقنية، وقد شهد المؤرخ المشهور "بنيامين الطليطلي (م ١١٧٧م)، أنه رأى عشرين مدرسة من مثل هذه المدارس في مدينة الإسكندرية فقط، وعدا مدارس التعليم البسيطة، فإن

المدن الكبرى مثل بغداد، القاهرة، وطليطلة، وقرطبة كان فيها جامعات علمية مجهزة بجميع أدوات المراصد والمكتبات الفنية، ومجهزة بكل المواد الضرورية للبحوث العلمية (محاضرات في فن التدريس: ص/٢٢)".

فلو لا المدارس التعليمية والمراكز التربوية الموجودة في المجتمعات الإنسانية منذ فجر التاريخ الإسلامي وقبل ذلك في القرون الميلادية السابقة، لم يكن هناك أساس قويم متمكن لبناء الحضارات الإنسانية في عالم البشر، فإذا كان ذلك النشاط التعليمي قبل الإسلام مؤسساً على أرض من الغايات الرخيصة والمطالب المادية فقط، فأصبح مع بدء التاريخ الإسلامي قائماً على أسس راسخة متينة وقواعد ذات غايات بعيدة، قام عليها بناء الحياة ثم المجتمع والحضارة، حتى تركزت باجتماع هذه الأركان طاقات العاملين في تمثيل حضارة إنسانية شاملة عُرفت فيما بعد بحضارة الإسلام التي قامت على الواقعية والطبيعة البشرية السليمة التي اتفقت مع طبيعة الإنسان التي فطر الله عليها الإنسان من أول يومه، فكان أشرف خلق الله تعالى في الكائنات الأرضية والسماوية كلتيهما.

وقد تحدث "غوستاف لوبون" أحد فلاسفة الغرب في القرن الماضي (٧ مايو ١٨٤١م - ١٣/١٢/١٩٣١م)، وكان قد درس حضارة الإسلام بعمق وجدية أثنى عليها وعلى الأمة العربية التي عُرفت بالشغف الزايد بالعلم، يقول في كتابه " حضارة العرب): "لقد بلغ شغف العرب بالتعلم مبلغاً عظيماً جداً، حتى إن خلفاء بغداد كانوا يستعملون كل الوسائل لجذب العلماء وأشهر الفنانين في العالم إلى قصورهم، وإن أحد هؤلاء الخلفاء بلغ الأمر منه إلى حد إعلان الحرب على قيصر القسطنطينية، وذلك ليجبره على السماح لأحد الرياضيين المشهورين بالمجيئ إلى بغداد والتعليم فيها، ولقد ازدحم في هذه المدينة الكبرى الفنانون والعلماء والأدباء من كل الأديان، وكل البلاد، من فرس ويونان، وأقباط وكلدان، وجعلوا من بغداد المركز العلمي الحقيقي في العالم، ولقد كان الخليفة المأمون بن الرشيد ينظر إلى العلماء كما قال أبو الفرج: كأنهم مخلوقات اختارهم الله لإكمال العقل، فهم مشاعل العلم، وهداة الجنس البشري، وبدونهم تعود الأرض إلى البربرية الأولية.

وتقدم لوبون خطوة أخرى فقال: إن العرب لم يقتصروا فقط على

ترقية العلوم باكتشافاتهم، بل عملوا على نشرها بواسطة جامعاتهم ومؤلفاتهم، وإن التأثير الذي أحدثوه في أوربا من هذه الناحية الأخيرة قد كان عظيماً جداً".

أما معلم الإنسانية خاتم الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم، فقد أشار في حديثه الصحيح إلى أن المعلم الخبير يحظى برضا الله تعالى، والخلق كلهم يصلون عليه ويدعون له، ويحبونه إعجاباً بما يقوم به من تعليم الناس وتربيتهم، ومثّل رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل مكانة العالم بفضل مكانته على أدنى الصحابة رضي الله عنهم فقال: "فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ"، ثم قال: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرَ" (رواه الترمذي، وقال حديث حسن).

ولا يتم معنى التعليم بمجرد تعلم العلم، أو تحلية النفس بالفضائل ومكارم الأخلاق ما لم يقم المرء بتعليم غيره معاني الكتاب والسنة وتحلية من هم بحاجة إليها بالأخلاق الكريمة وتزكية النفس، وتصحيح العقيدة، فإن ذلك من أعظم المعاني التي يتوخاها العالم بعلمه، وبذلك يتميز العالم عن غير العالم، فلا يستويان في أي حال، يقول الله سبحانه مخاطباً نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ) [الزمر: ٩]، ويرفع الله العالم المؤمن درجات عالية، حيث لا يستطيع أحد أن يُقدّر مدى هذا الارتفاع والعلو، انظر إلى قوله تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [المجادلة: ١١].

والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

ألم يأن للغرب أن يقتنع بالإسلام؟!*

لم يك للإسلام من أول يومه إلى الآن أن يتأثر بالمتغيرات العلمية أو الصناعية التي تحيط بالعالم المتغير اليوم وتتولى التأثير في الاتجاهات والأفكار ووجهات الأنظار لدى الناس على اختلاف الأقطار وتباين الديار والأمصار، ذاك أن الإسلام ليس شأنه كالديانات التي سبقته ولا كالنظرات والفلسفات التي تخضع لنواميس الكون ومقاييس النفع والضرر، إنه ليس مما يقبل التلونات المقبولة في المتاجر العالمية والأسواق السياسية الدولية، إنما هو دين ليس غير، دين سماوي كامل خالد، لونه واحد ثابت، ونظامه شريعة متكاملة منزلة من الله خالق الأكوان للإنسان المخلوق الذي يفتقر إليها في سبيل تأدية الحقوق الإنسانية بوجه مكتمل وفي إنجاز مشروع ذلك الدستور الشامل الذي يتفق وطبيعة العالم البشري في كل زمان ومكان، ويساعد الناس جميعاً في أداء المسئولية التي تعود إليهم بصورة دائمة نحو نشر الإنسانية التي تغطي معاني الخير والنصح لجميع ما في هذا العالم من حياة ونشاط، وتحتوي على جميع مقتضيات الطبايع الخلقية والبشرية، وتلك هي حقيقة الحقائق التي أقضت مضاجع المتاجرين بالديانات والعابثين بكرامة الإنسان والإنسانية.

دخل المسلمون قارة أوربا الغربية في شبه الجزيرة الأيبيرية بقيادة طارق بن زياد الذي ضمها إلى الخلافة الأموية، وذلك في عام ٧١١ الميلادي، وكانت تعيش نومة هادئة في خضم الجهل والغفلة، لم تكن تعرف للإنسانية معنىً ولا للإنسان قدراً، فضلاً عن مفهوم العلم والحضارة، وعن الفرق بين الإنسان والأنعام، واستمر وجود المسلمين حتى سقوط مملكة غرناطة عام ١٤٩٢م، فكان وجود الفتح الإسلامي في الأندلس بدءاً من ٧١١ – إلى ٧٣٢م، وظلت الدولة الأموية في الأندلس بين (٧٥٦ – ١٠٣١م) ووجود حكم المسلمين فيها من ٧١١م إلى ١٤٩٢م أكثر من ثمانية قرون ميلادية.

وفي خلال هذه المدة حقق المسلمون تقدماً واسعاً في جميع المجالات

* مجلة البعث الإسلامي، عدد مارس ٢٠١٨م.

الحيوية من العلم والدين والثقافة والحضارة، وأخرجوا الأمم من الوحشية والجهل والأمية، ومن حياة الغابة الصحراوية إلى رحاب الحضارة الإسلامية بجميع أنواعها، فكانوا أساتذة الغرب ممن أحسنوا إلى أهله في جميع جوانب الحياة العلمية والتربوية والإنسانية، ولم يدخروا وسعاً في توفير العلم والمعرفة وتحلية الحياة باغلى ما يمكن في ذلك العهد الذي لم يحلم بالحضارة ولم يحظ بالمدنية ووسائلها من المعارف والتقنية والتطور المعرفي في شيئ، فكان وصول الرجال الفاتحين الإسلاميين في هذا الجزء من العالم الغربي إلهاماً من الله تعالى في مجال العلم والدين والسياسة.

هكذا كان العهد الإسلامي رحمةً على العالم البشري كله، وحكم المسلمون هذه المعمورة بغاية من العدل والإحسان، وقاموا بدعوة الناس إلى الدين الإسلامي الأخير الذي تضمن للإنسان العيش في هذه الدنيا في سعادة وهناء وأمن وسلام، الواقع الذي سجله التاريخ العالمي بمداد من نور، وفتح للناس أبواب الدخول في دين الله على مصاريعها، وقد أشار إليه كتاب الله تعالى في سورة النصر فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجاً﴾، وقد تحققت هذه النبوءة وإن كان فيها نوع من علامات أجل النبي صلى الله عليه وسلم الذي أرسى قواعد الدين بجميع ما تفتقر إليه حياة الإنسان الذي عاش في ظل الدين الإسلامي، وخلف وراءه جماعة من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فخلَفوه في نشر هذا الدين وتولوا القيام بالدعوة إليها في جميع المجتمعات الشرقية والغربية التي كانت تعيش بين حضارتي الروم والفرس، وقد أكمل الله سبحانه وتعالى دين الإسلام وبشر بذلك في حجة الوداع يوم جمعة في عرفة قبل مغادرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى آخرة ربه بمدة قليلة، فكان الدين شريعة كاملة تغطي حياة الإنسان في كل زمان ومكان وفي جميع الأحوال والظروف بشرائعها السماوية الخالدة الدائمة إلى يوم الدين.

وقد أدرك هذا السر العميق العظيم من درس دين الإسلام بروح من الموضوعية وتأمل في مفهومه الشمولي في طبيعة الإنسانية التي تمثل دور البناء الذي استمر منذ العهد الذي أشرقت فيه شمس الإسلام وبددت

جميع ظلمات الحياة والكون، وذلك مع طلوع شمس النبوة في يثرب، ذلك الدين الكامل الذي أنزله الله سبحانه وتعالى وأكمله على يد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، الذي طبقه على جميع ما في هذا الكون من حياة وإنسان، وحقق تمام نعمة هذا الدين بالعمل والتطبيق، وفي ضوء الوحي السماوي بالرواية والدراية مما جعله حاجة الكائنات بكاملها إلى يوم الدين. وقد قامت الخلافة الإسلامية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كنموذج للعالم البشري بأجمعه، وتولى منصب الخلافة بعده خلفاؤه الراشدون، ممن تحملوا هذه الأمانة المقدسة في ضوء تعاليم النبوة والتربية العملية التي تلقوها في مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم، والتي أثمرت ثمارها اليانعة في جميع المجتمعات الإنسانية، وخضعت أمامها جميع الشعوب والقبائل وحضارتا الروم والفرس اللتان كانت لهما جولة وصولة في أنحاء العالم كله يوم ذاك، كنتاج لما قام به المسلمون مع نبيهم صلى الله عليه وسلم من غزوات إيمانية لدحض الباطل من الشرك والوثنيات ومن توزيع الإنسان بين فرق وأجناس وطوائف بأسماء فارغة من اللون والجنس والوطن والقبيلة واللغة وعنصرية الحسب والنسب، الأمر الذي كان مبعث الشقاء وتأثيره في جميع أجزاء المجتمعات العائشة هناك، وقد سجله التاريخ الجاهلي بوضوح وتفصيل كما هو معلوم لدى العلماء والمؤرخين، وذلك ما أشار إليه رسول المسلمين حينما وصلوا إلى بلاد الفرس ودخلوا بلاط (يزدجر) فقام ربعي بن عامر وخاطبه رداً على سؤاله الذي وجهه إليه وقال: ما الذي جاء بكم؟! فأجابه بجراءة إيمانية: "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام".

هذا هو المبدء الفياض الذي تعلمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أساسه قام نظام الأمن والعدل والحكم والسياسة، وانتشر الإسلام في مدة قصيرة في جميع أنحاء العالم شرقاً وغرباً، وكان يمثل النموذج الأعلى للقيادة والزعامة ممن تخرجوا في مدرسة النبوة وتميزوا بأسمى صفات الإنسانية وأرفعها من الاتزان في القول والعمل، والنصح والإخلاص، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجمع العادل بين العلم والإيمان، وبين عبادة الله ووظائف المعاش وبين الجسم والروح،

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً).

عرف الأمم والشعوب كلها هذا السر العظيم الذي أودعه الله سبحانه في دينه الأخير، فكانت كفة الوسطية راجحة في الميزان، ومنذ أن تغافل المسلم أن يتفهم حقيقة الدين الكامل وما أودع الله تعالى فيه من عز وغلبة وانتصار الحق على الباطل، منذ ذلك الوقت تخلف المسلمون في كل منحى من مناحي الحياة والمجتمع وأصبحوا عالة على الأمم المادية التي جرت وراء المطامع والشهوات العاجلة، وحُرمت كرامة الحياة الإنسانية وسعادتها التي أضفى الله تعالى نعمتها على أتباع الدين الإسلامي وأصحاب الإيمان واليقين أمة محمد صلى الله عليه وسلم التي تولت مكانة القيادة للعالم البشري كله وسميت بخير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

فليعلم الغرب المادي وكل من على شاكلته أن ذخائر الأموال في المصارف العالمية وأكداس الأسلحة في جنودها المجندة، وتجارب العلوم والمعارف الصناعية في المسابقات العالمية، أي ذلك لا يغني عنه شيئاً، وقد فشلت الحضارات الانتهازية والسياسات الثقافية في كل مجال من العلم والتقنية، فليقبل الآن على تجربة الإسلام ونظامه الطبيعي في إسعاد الحياة والمجتمع وإنقاذ الثروات الإنسانية والسلوكية من ذلك الدمار الشامل العام الذي تتراءى آثاره في الساحات وتتجلى تباشيره في الآفاق.

يقول الله تعالى: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلاَ يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ألم يأن للغرب المريض أن يدرك معنى "حرية الرأي"؟!*

"شارلي هيبدو" (Charlie Hebdo) مجلة فرنسية لم تأل جهداً في الاستهزاء بالإسلام وبشخصية نبينا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم، ولم تقصر أبداً في استفزاز مشاعر المسلمين في العالم كله، ونشرت باستمرار كاريكاتوريات (Cartoon) ساخرة، ضد الدين الإسلامي، ولم ينس المسلمون أنها أثارت قبل مدة قصيرة حفيظة مأة وخمس مليون مسلم في وقت واحد وأوقفت العالم الإسلامي كله شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً محتجاً على ما نشرت من كاريكاتوري يتفجر سخرية من شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم والإساءة إليها، بما لم يتحمل المسلمون و وقفوا صفاً واحداً ضد ذلك، ولكن الحكومة الفرنسية قامت بتبرير هذه العملية الخبيثة بعنوان: "إبداء حرية الرأي" ثم لما رأت شدة الاستنكار والاحتجاج وخافت وخامة عاقبة " حرية الرأي " وضعت حداً على إصدار عدد خاص بالسخرية والإساءة البالغتين، إلا أن مدير المجلة (شارب/ Charb) لم يخضع أمام ذلك، وفعل ما أراد من غير خوف، ومن غير مبالاة بالعواقب، وقال في حديث استهزائي: (إذا كان المسلمون لا يرضون ولا يضحكون على إبداعاتي في صناعة الكاركاتوري فلا ألومهم، ذاك لأنني أعيش تحت حراسة القانون الفرنسي، ولا أعيش تحت القانون القرآني) ومعلوم أن الله سبحانه قضى على من سبقه في مثل هذه الأعمال الخبيثة فمات شر ميتة، تعفنت جثته، وفر الناس من الاقتراب إليها.

يقال: إن الغرب بلغ من العداوة ضد الإسلام ورسوله عليه الصلاة والسلام، ومن السخافة إلى حد المغلوبية الشديدة، إذ أنه جرب كل أسلوب وكل سلاح لقتل الإسلام ودفن شريعته، إنه لم يدع أي حيلة ظاهرة وباطنة إلا وقد استخدمها لتحقيق هذا الغرض الخسيس، ولكنه لم ينجح فيما أراده من الاستيلاء على العالم الإسلامي والسيطرة على خيراته ومعادنه الغالية الكثيرة التي لا يأتي عليها الإحصاء، والواقع الذي

* مجلة البعث الإسلامي، عدد مارس ٢٠١٥م.

لا يخفى على أصحاب العلم والفكر السليم أن الغرب لا يكره الإسلام لمجرد أنه دين نسخ جميع الديانات السابقة وقضى على جميع الفلسفات الحضارية ولم تغن عنه صناعته وتقنياته التي يعتبرها من ابتكاره العلمي وإبداعاته الصناعية، ولكنه يتناسى أن علماء المسلمين الكبار وعباقرة التاريخ العلمي الإنساني هم الذين زودوا الغرب بكل ما يعتز به اليوم، في الأندلس وما جاورها من مدن غربية حيث أقاموا صروح العلوم والمعارف عالية من كل نوع، وعلموا الغرب الذي كان يعيش في جهل وأمية حتى القرن العاشر الميلادي، علموه آداب الحياة بعد ما استخرجوه من الغابات التي كانت مستراحاً نام فيه الغرب واستراح قروناً طوالاً.

ومن ثم رأى الغرب الناعس المنعزل عن الحياة نور العلم والثقافة، وتعرف على العلم ، وتلمذ على علماء الإسلام وأساتذة العلوم والمعارف الإنسانية، وبفضل تربيتهم تدرج في مجالات العلوم والحضارات والثقافات المنوعة، وسنحت له فرصة التطور في الصناعات وبالتالي التقنية العلمية التي وصل فيها الغرب اليوم إلى قمة عالية، ظناً منه أن هذا الجانب الصناعي والتطور العلمي لا دخل فيه للإسلام والمسلمين وإنما هو كله من اختراع الذهن الغربي وحده، كأن الغرب قد رفض أن يكون للإسلام وأتباعه أي علاقة بهذا الواقع المعاش الذي اخترعه علماء المسلمين ومهدوا له الطريق إلى إبداعات وتطورات فيه، أما بالنسبة إلى فلسفة "حرية الرأي" التي يبرر الغرب من خلالها الإساءة إلى عظماء التاريخ، وعمالقة العالم البشري، والإستهزاء بالإسلام والمسلمين ورموز العلم والدين، فليس ذلك إلا مصطلحاً معسولاً لا يستند إلى أساس من الدين والعقيدة والخلق النبيل، ولا ينبع من نظرة علمية أو فلسفة فكرية، إنما اخترعه الغرب كسلاح للتضليل والمغالطة، والتشكيك في العقائد الإيمانية، والتعاليم السماوية، وبالأصح لإثارة الشكوك في الشريعة الإسلامية، وقد لقن الغرب رواده الوافدين إليه في سبيل العلم والثقافة، من الشباب المسلم، من خلال الأفكار الحضارية الجديدة، والعلوم الحديثة التي يتلقاها الشباب في الجامعات، والمراكز الثقافية، والمحاضن التربوية في مختلف المدن من الدول الغربية، أن ميزة الإنسان الواعي العاقل الذكي ليس إلا في حرية الرأي.

ويعني الغرب بـ "حرية الرأي" أن يكون المرء له رأيه في القضايا، وفي جميع الشئون الفردية والاجتماعية، يصرح به في المناسبات، وغير المناسبات، ويؤكد للناس مكانته الفكرية العالية، وعقله الواعي الحصيف، وذكاءه النادر الذي قلما يتمتع به غيره، ومن هنا يكون المرء المسلم العائش في الأوساط المادية، والمجتمعات الغربية ذا رأي متفرد في كثير من المبادئ العقدية، والقضايا الشرعية، فيأتي بالأعاجيب من هبوط الفكر، وسخافة العقل، وبلادة الذهن.

لقد جربنا أمثال هؤلاء "العقلاء" من جماعة المسلمين المثقفين من تلاميذ الغرب، ممن يشيرون على قادة الفكر الإسلامي، وزعماء الحضارة الإسلامية، أن يقبلوا اقتراح التعديل في قضايا إسلامية، وتطوير الفقه الإسلامي في ضوء المستجدات الحضارية، والإبداعات العلمية التي تتطلب المسايرة مع الأوضاع، وتتكفل بالرقي والازدهار في جميع الشئون الحيوية، وإلا فإن التخلف الحضاري يكون زميلهم، والعجز الاقتصادي يكون طابعهم الذي يلازمهم على طول الخط.

وقد جاء بعض أنصاف العلم والعقل، وأذناب الغرب، فأعلنوا حرباً على كثير من الثوابت الخلقية والإيمانية، والقضايا الشرعية، واستهدفوا قبل كل شيئ المرأة المسلمة، والحجاب الإسلامي، بل واللباس الإسلامي، ووجهوا إليها دعوة سافرة للخلاعة، والاندماج مع الرجال في كل الرذائل، والفواحش، واستهزؤا باللباس الساتر، والحجاب الإسلامي، واتهموا علماء الشريعة بالرجعية والإصولية، وظنوا ذلك سبباً كبيراً لتخلف المسلمين، الواقع أن أمثال هؤلاء الناس يرون إلى الإسلام من خلال زاوية شخصية محدودة، ويزعمون أنه لم يعد صالحاً للبقاء في عصر انزوى فيه العالم، فأصبح يشكل مدينة واحدة، أو قرية واحدة، وذابت فيه الفواصل، وتلاشت الأبعاد، فكيف يستطيع الإسلام أن يقود الإنسان فيه، ويجبره على التقليد الأعمى للشريعة التي مر عليها أكثر من ١٤/ قرناً.

هذا ما يقوله المأجورون الذين لا همَّ لهم إلا أن يعيشوا بين سراويلهم ونعالهم، بعيدين عن مواجهة الحقائق التي تتحداهم، وإدراك القوارع التي تقرعهم وتهوي بهم نحو الهاوية.

وذلك ما يسمى: بـ "حرية الرأي" ويطالب في جميع المجتمعات التي يعيش فيها المسلمون بأن لا يفوتهم هذا المبدء في أي حال، وقد يصرح أصحاب هذه الحرية بأن الإسلام دين الحرية، وليس دين القيود والأغلال، وهم بذلك يحاولون أن يغالطوا المسلمين، ويراوغوهم بما لا علاقة له بدين الإسلام، ثم يؤكدوا لسادتهم الغربيين ولاءهم، ويقدموا إليهم ضريبة العبودية والعمالة ويبعثوهم على الاستهزاء بالدين الإسلامي.

إن "حرية الرأي" ليس لها معنى سوى الخضوع أمام الغرب المادي، والخنوع أمام فئة ضالة مناوئة للإسلام، وقد ختم الله على قلوب أهلها، وضرب عليهم الذلة والمسكنة، فباؤوا بغضب من الله.

إننا نرفض كل حرية تقود إلى الضلال، وتسوق نحو الذل والعار، وتستهدف دين الله الأخير ورسوله العظيم صلى الله عليه وسلم، وشريعته الكاملة بالهزء والاستنكار، والرمي إليهما بسهام مسمومة وأساليب مرذولة، يقول الله تعالى: (وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

فلسفة الغرب المادية تُعلن إخفاقها![*]

حضارة الغرب المادية بمناحيها المتعددة أوشكت على نهايتها الأخيرة، ومالت شمسها نحو الغروب، وهي لم تجن مع ذلك إلا شقاءً وتعاسة، ولم تتمكن من معالجة القلوب المريضة، ولا وفرت لأهلها راحة نفسية ولا طمأنينة قلبية، بل الواقع المعلوم أن العائشين في هذه الحضارة تزايدوا ياساً وقلقاً من جميع النواحي، ولم يتمكنوا من العيش في أمن ودعة وحب ووئام، رغم توافر كل الوسائل المتضافرة من العلم والمال، ومن الوسائل الحضارية بألوانها والتيسيرات التقنية إلى آخر مداها.

إن الرجل الغربي الذي بظاهره جميل للغاية، ولكن باطنه مظلم لا يجد إلى النور والإشراق سبيلاً، يعيش في مصانع الآلات والمخترعات الحضارية، وفي المتاجر وأسواق الأدوات والحاجيات الإنسانية، لا يتطلع إلى مستقبل يوفر له الراحة من عناء المسئوليات الوظيفية، والاستمرارية من الإنجازات التجارية التي يتطلبها السباق في الإبداع في مجالات الصناعة والاختراع، وبناء المعارض الفنية التي تلفت أنظار الدول التي تتطلع إلى التقليد من غيروعي أو شعور بالحقيقة.

وقد تأكد هذا الواقع المعلوم من خلال الاضطرابات النفسية وقلق الأوضاع السياسية التي تمر بها الدول المادية الكبرى في الغرب المادي، وتواجه شعوباً وجماهير معارضة بشدة ضد الإجراءات التي تنفذها بقوة وإجبار، ومن ثم نستطيع أن نعرف نهاية القيادة العالمية للسياسة العالمية التي تولتها تانك الدول الكبرى، والتي فرضت قيادتها المنحرفة على المستوى العالمي، وقد شاهد العالم كله شرقاً وغرباً فشل هذه القيادة وانحيازها إلى ركن ضيق، والالتجاء إلى أسلوب اعتذاري مشين.

إن الإبداعات التواصلية التي اخترعتها الدول الكبرى العالمية لجمع العالم كله في حي واحد، واتصال البعض القريب مع الآخر البعيد، بأقل من ثواني ولمحات، ومنها موقع التواصل المعروف (WhatsApp) الذي كان يُعتبر وسيلة التواصل الاجتماعي الأصيل

* مجلة البعث الإسلامي، عدد أغسطس ٢٠١٨م.

والسريع، لم يُغن عنها شيئاً إيجابياً، ولكنه أصبح اليوم ذريعةً لارتكاب الجرائم الوحشية، والمآسي الإنسانية والغوغاء الهجومي، وقد كان يُعتبر من أوثق وأزكى مواقع التواصل الاجتماعي، ونستطيع أن نقيس على هذا جميع الأعمال والإنجازات التي تجعلها ضمن خدمة الجماهير العالمية والدول التابعة لها.

ومن لا يعلم أن تنظيم داعش من مواليد السياسة العالمية الحاضرة، وهو دائماً يتربص نقاط الضعف في صفوف المسلمين والسياسيين، ويُعلن إقامة الخلافة الإسلامية، ولكنه فشل في جميع أهدافه وبدأ الآن يركز على التغلغل التكنولوجي في الدول الغربية المعادية له اليوم، وجاء في جريدة الشرق الأوسط: "اتفق عدد من الخبراء الأمريكيين الذين عملوا أو يعملون في مجال الحرب ضد الإرهاب على أن خطر تنظيم داعش لن ينتهي بنهاية دولة ما يسمى الخلافة التي كان الداعشيون قد أقاموها في أجزاء من سوريا والعراق، وأشار هؤلاء الخبراء: إلى أن موجات مؤامرات وتفجيرات وعنف صارت تعم العالم تقريباً". أما ما تقوم قناة الجزيرة القطرية من نشر أنباء بشأن قرصنة (بي أوت كيو) بأنها تتخذ من المملكة السعودية مقراً لها فإن ذلك ما لا صحة له وإن المملكة تنفي المزاعم والادعاءات الكاذبة بشأن هذه القرصنة وكون المملكة مقراً لها، ولا يخفى أن مثل هذه الأنباء والادعاءات الكاذبة لا تتولاها المملكة في أي حال، بل ليس ذلك إلا تشويه سمعة المملكة التي تتزعم النزاهة في جميع شئونها الدولية والسياسية، ولا علاقة لها بمثل هذه المزاعم الفاسدة في أي حال، والواقع أن تبادل الاتهامات بين الدول الشقيقة يؤدي إلى زعزعة ثقة الشعب بالزعماء السياسيين، ولكن الأوضاع الدولية التي تعيشها الدول العالمية الكبرى تجعلها على هامش السياسة العالمية وتكون موضع الكراهية وعدم الثقة بها على جميع المستويات (وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَانُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا).

ومن لا يدري بواسطة وسائل الإعلام ومواقع التواصل التقنية الحاضرة ما قد حدث من تبادل الإدعات والشتائم بين الولايات المتحدة ودولة كوريا الشمالية من خلال رئيسيهما منذ مدة قليلة فقط، وقد تبادلت كلتاهما تحديات للقضاء على كل واحدة منهما، وقد أحست

الجهات العالمية بالخطر وحاولت إيجاد مصالحة بين الدولتين على عدم استخدام الوسائل النووية، وبذلك انتهى التوتر السياسي الذي أصيب به زعماء الدول في العالم كله، وقد اضطر الرئيس الأمريكي إلى مد يد الصداقة إلى رئيس كوريا الشمالية والاتفاق بينهما على اللقاء في العاصمة الكورية وزيارة الرئيس الأمريكي لها والجلوس مع زميله الرئيس الكوري، وإن كانت خطوة الرئيس الأمريكي مبعث خير لإزالة التوتر بين العلاقات، ولكن إيجابية النتائج ظلت مغمورة، رغم اتفاقية موقعة من الجهتين كلتيهما على عدم استعمال الطاقات النووية بينهما.

كما كانت هناك اتفاقية بين الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية على عرض مناورة عسكرية مشتركة بين الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية ولكنها ألغيت من أجل تكلفتها الباهظة التي تتولاها الولايات المتحدة، وكذلك توقفت عملية تدريب (فريدم غارديان) العسكري، وكانت لدعم قمة سنغافورة بين ترمب والزعيم الكوري الشمالي "كيم جونغ أون"، وذلك توفيراً للنفقات التي سيكلفها هذا التدريب العسكري، بهذا نستطيع أن نقدر الأوضاع المخيفة لهذه الدولة العالمية الكبرى التي كانت أقوى وأغنى دول العالم كلها، وكان لها احتواء على جميع المشكلات والقضايا السياسية والصناعية والحضارية، ولكنها مع الأسف في تدهور مستمر مع النظام الحالي الذي بلغ بها إلى العجز المالي، والانحطاط الاقتصادي وإلى حالة من الفقر ووجود طائفة كبيرة من الفقراء من الأمريكيين البائسين الذين يعانون من الجوع والعري ما يثير العجب، وذلك مع ما تنال البنوك الأمريكية من أوامر لتوفير الديون المالية بأرقام هائلة للحكومة إنجازاً للمشاريع وتغطية للمصاريف الحكومية التي تتزايد على مر الأيام، ومقاومة المنظمات العدائية ورد حملات الإرهاب والقضاء على خلايا الجرائم الإرهابية التي تكمن في مكان دون مكان، أليس كل ذلك نتيجة للفلسفة المادية الاستغلالية التي تبناها الغرب وزعماء أمريكا والدول التابعة لها، فقد نرى أن الإنسان المعاصر في كل مكان شرقاً كان أو غرباً يعاني اليوم من مشكلات الحياة ما يضيق عليه الخناق وطالما يؤديه إلى الانتحار للخلاص من معاناة الحياة ومصائبها من الفقر والأمراض النفسية واليأس

من المستقبل، وقد توصل إلى هذه الحقيقة كثير من علماء الغرب وأهله المثقفين ممن درسوا فلسفة الحياة والمجتمع لجميع الديانات والنظرات والأيدلوجيات التي تحتوي عليها، وتحقق لهم أن الحضارة التي يقدمها الإسلام للحياة البشرية ومناحيها المختلفة إنما تتفق طبيعتها الحضارية مع طبيعة الإنسان، فإذا بها تفتح له الطريق نحو السعادة والسلام في العالم المادي وتمهد له نحو النجاح والقبول في الآخرة، (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً).

ومن هنا نستطيع أن ندرك السرّ في إخفاق فلسفة الغرب المادية التي روّجها علماء الغرب بإزاء فلسفة الإسلام الحضارية الكاملة، الشاملة حياة الإنسان الفردية والجماعية في جميع ربوع العالم وإلى يومه الأخير المقدور من خالقه العظيم الجليل.

وما هذا القلق الذي يعيشه العالم بجميع ألوانه وأجزائه، وما هذا الاضطراب في الأقوال والأعمال الذي نشاهده في المجتمعات الإنسانية دولاً وشعوباً، وفي العقول والأفكار، ليس كل ذلك إلا نتاج تلك الفلسفة المادية التي تبناها الغرب، وحاول أن يهزم فلسفة الإسلام للحياة والعالم البشري في كل جزء من الأرض، وقد ركز على تحقيق هذا الهدف المشئوم جميع وسائله وآلياته بألوانها المختلفة، ولكنه لا يزال يواجه الإخفاق في كل ما يستخدمه من طاقات مادية أو علمية، يقول الله تعالى: (يَٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

يا لفشل الغرب في سد موجة الإسلام!*

إن كتاب الله تعالى القرآن الكريم إنما يحتوي على قصص وأنباء المجتمعات البشرية الماضية التي تحمل دروساً وعبراً للتاريخ الإنساني على طول مداه، ومن بينها قصة "حمالة الحطب" التي كانت نتيجة تلك العداوة الشديدة البغيضة والشحناء التي ملأت نفس أبي لهب ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يجهل التاريخ ما حدث إبان الدعوة الإسلامية بعد ما نزلت آية تخاطب الرسول عليه الصلاة والسلام وتأمره بالصدع بالأمر السماوي وبإنذار عشيرته الأقربين وهي كما جاءت في سورة الشعراء: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) وفي سورة الحجر: (فَاصدَعْ بِمَا تُؤمَرُ وَأَعرِضْ عَنِ المشرِكِينَ) وامتثالاً لهذا الأمر السماوي صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جبل مكة "الصفا" ونادى: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقال: أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟ قالوا: نعم، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تباً لك، وفي رواية: فقام ينفض يديه وهو يقول: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ (صحيح البخاري).

أما حمالة الحطب، فهي امرأة أبي لهب واسمها أروى بنت حرب ابن أمية، وهي أخت أبي سفيان، وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم، وحمالة الحطب نصبها على الذم بحذف فعل: أذم حمالة الحطب، وقد أصبحت مثالاً لكل امرأة تعلن الكفر وتبغض الإسلام وتعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل جهر وإعلان، ولعل تاريخ الإنسان شهد مثل هذه المرأة في كل فترة من التاريخ الإسلامي إلى اليوم ممن أعلنت حرباً على الإسلام ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام سواء بالافتراءات والاتهامات، بالقول أو القلم أو بمجاهرة الفحشاء والرذائل الخلقية، من غير خوف أو حشمة وبكل وقاحة، ولنا في المرأة البنغالية اللاجئة اليوم في الهند برعاية حكومية خاصة في مكان مجهول، لكي لا يصيبها مكروه أو استكار من المسلمين، واسمها "تسليمه نسرين" التي تجاوزت كل الأرقام من الشتم والبغض والعداوة لشخصية رسولنا العظيم محمد

* مجلة البعث الإسلامي، عدد يونيو ٢٠١٥م.

صلى الله عليه وسلم، وانتهاك حرمته بكتاباتها وكتبها ضد الإسلام ونبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم.

وإذا فتشنا اليوم عن أمثالها من جنس الأنثى، ممن تعادي رسول الرحمة الهادي صلى الله عليه وسلم، وتبذل طاقاتها في نشر مواد سامّة خبيثة وتأليف كتب حاقدة على الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام الذين وصفهم الله تعالى في كتابه بأحسن ما يوصف به احد من الناس، (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ)، لو فتشنا لوجدنا أمثال هذا الجنس يفوق العد والإحصاء، نتيجة لمدارس نسوية يهودية خاصة بتعليم عنصر الظلم والاضطهاد الذي يتهم به اليهود الإسلام ويقولون إن الإسلام يأمر أتباعه بأن يأخذوا المرأة عبدة ذليلة خاسرة بعيدة عن كل ما يتميز به الرجل، ويملأ قلبها بالنفور والكراهية والعداء والبغض، من خلال الاتهامات الكاذبة التي تباح لهذا الجنس من طريق التفريق الذي يقوم به الإسلام بين الجنسين، وحرمانه المرأة من جميع ما يسويها مع الرجل، وبحط مكانتها إلى أرذل من الحيوان ..... بمثل هذه الأكاذيب والأباطيل تبرر المرأة المعادية استخدام كل طاقة من القلم والقلب، والبيان والدعاية في تعزيز كل ما ينال من شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام، وبفتح الطريق نحو معاكسة منهج الإسلام للحياة ومحاربة الأسوة الحسنة التي تميزت بها حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

نشرت الجرائد العالمية والمحلية نبأ إقامة معرض في تكساس في اليوم الثالث من شهر مايو الجاري لعام ٢٠١٥م، وذلك لعقد مسابقة مرذولة بين الكاريكاتوريين الأمريكيين لصناعة كاريكاتورات مهينة خاسرة ذليلة لخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، والعياذ بالله، وقد أعلن عن الجائزة الأولى للمبرز الأول في المسابقة عشرة آلاف دولار أمريكي.

وهل تعرفون أيها القراء الكرام من هو الذي تولى الاهتمام بهذه المسابقة الخسيسة، إنما هي امرأة فاحشة ذات خبث وعناد للإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم تُدعى باسم "باميلا غالر" وليست هي المرة الأولى التي قامت فيها هذه المرأة الخبيثة بعقد مثل هذه المسابقة ولكنها قامت في شهر سبتمبر لعام ٢٠١٢م بعقد مؤتمر بعنوان: (أوقفوا الإسلامية في أمريكا) فهي معروفة في شدة عداوتها للإسلام في جميع أنحاء أمريكا،

ولها نشاط زائد في معاداة الإسلام وأهله في كل مكان، وهي التي أنشأت مجموعة من أعداء الإسلام باسم (الدفاع الأساسي عن الحرية الأمريكية) – American Freedom Defense Initiative وكانت هذه المجموعة في غاية من النشاط ضد الإسلام، فنصبت لوحات كبيرة ذات نفور وكراهية ضد الإسلام في مدن متعددة في امريكا بإيعاز من "باميلا غالر" ويتلخص بعض عناوين هذه اللوحات واللافتات كما يلي: "إذا كانت مقاومة بين المثقفين والإرهابيين فانتصروا للمثقفين"، "أحبوا إسرائيل وأكرموها بالولاء لها"، "واهزموا الجهاديين"، وما أشبه ذلك.

وهم (الأماركة) يستترون وراء لافتة حرية إبداء الرأي، في كل ما له علاقة بهدم الإسلام وتشويه التاريخ الإسلامي واتهام المسلمين بالإرهاب، وإذا كانت صورة مصغرة للدعوة إلى الإسلام أو تفضيله على جميع الديانات والفلسفات الحضارية المادية يعتبرون ذلك العمل من أشد الجرائم ويستحق أهل ذلك العمل أن ينفوا من البلاد أو يعاقبوا بأشد عقاب، كمثل الذي يمدح أدولف هتلر السياسي الألماني النازي، ويكذب محرقة "هولوكاست" المزعوم الذي أقامه النازيون لتعذيب اليهود، فإنه يعاقب بأشد ما يمكن، أما إذا كان هناك من يشتم رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ويتهمه بما شاء من افتراءات ساقطة، ويكذب كتاب الله تعالى الذي أنزل عليه صلى الله عليه وسلم قرآناً عربياً ويتناوله بالتحريق، لم يسترع ذلك أي انتباه من أي جهة أو شخص.

والسبب معلوم لدى كل عارف ومطلع على التاريخ العالمي ان اليهود – رغم قلة عددهم الإحصائي – هم الواقفون وراء كل معاداة ضد الإسلام، ومساندة كل تركيز على عقد مسابقات لصناعة الرسوم الكاريكاتورية الساخرة للرسول صلى الله عليه وسلم، وما حدث أخيراً في تكساس في اليوم الثالث من شهر مايو ٢٠١٥م لم يعد مجهولاً في معرض أقيم لهذا الغرض، وذلك لعقد مسابقة مرذولة ذليلة تولتها "باميلا غالر" (حمالة الحطب، للتاريخ الإنساني الحديث) وذلك لإشفاء غليل العداء والنفور ضد شخصية رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم، وليس لهذه الجريمة البشعة السافلة عقوبة إلا نازلة تنزل من السماء أو أشد عقاب من القضاء الإسلامي، وقد ألفت كتب ورسائل في هذا الموضوع ألفها علماء الإسلام، ومن اعظم وأهم ما ألف في الموضوع كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (الصارم المسلول على شاتم الرسول) يقول في

باب: (من سعى في دين الله بالإفساد استحق القتل).

"أما انتهاك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه مناف لدين الله بالكلية، فإن العرض متى انتهك سقط الاحترام والتعظيم، فسقط ما جاء به من الرسالة، فبطل الدين، فقيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله، وإذا كان كذلك وجب علينا أن ننتصر له ممن انتهك عرضه، والانتصار له بالقتل، لأن انتهاك عرضه انتهاك لدين الله".

ولكن الغرب بكامله ملح غاية الإلحاح على انتهاك حرمة الدين ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو يعاني من القلق الشديد والاضطراب النفسي اللذين يعيشهما من خلال موجة الأسلمة وتزايد عدد المسلمين في الغرب نفسه، إن هذا الغرب يريد أن يبني على موجة الاهتداء إلى الإسلام سداً منيعاً، ويمسك سيل الإسلام بسيل انتهاك حرمة الإسلام وحرمة نبيه العظيم محمد صلى الله عليه وسلم، وسوف لا ينجح الغرب في هدفه المشئوم، ويبوء بالفشل الذريع، كما هو المشاهد اليوم على جميع المستويات، يقول الله تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابَا).

ولا يركز الغرب المعاصر اليوم على نقطة الحرية في إبداء الرأي إلا لكي يتخذها ذريعة للهجوم على شريعة الله تعالى والنيل من شخصية الرسول عليه ألف ألف تحية وسلام، وهو بذلك يفتح الباب على مصراعيه للسب والشتم وإعلان أن الإسلام لم يعد دين الإنسان، وأصبح بائداً لا يغني عن الحياة والإنسان والكون شيئاً في العالم المعاصر الحديث، الذي يتميز بقفزات واسعة في جميع مجالات العلم والتحقيق والتقنية، ويبدع أسساً حديثة للعالم البشري الذي يتطلع إلى المسايرة مع الزمان، وإلا فليس له إلا الخسران.

وكتاب الله تعالى يفند هذه النظرة الخاطئة ويعطي لكل إنسان قاعدة ثابتة للحرية والسعادة التي تشمل الحياة من جميع النواحي مهما اختلف الزمان والمكان:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ما هي العوائق عن تمثيل الإسلام الصحيح؟*

نحن المسلمين ورثنا الإسلام أباً عن جد، وعشنا في بيئة تنتمي إلى الإسلام، وتُسجل في الملفات الرسمية "أسرة إسلامية أو بيئة مسلمة"، ويكفينا ذلك انتماءاً إلى دين الإسلام دون الأديان كلها، وبذلك نزيد في الإحصاءات التي تُنشر من دواوين الحكومة وتؤكد وجود المسلمين في البلدان العالمية بالنسبة المئوية، فإذا كان عدد الأصحاب الذين يزعمون أنهم مسلمون بأغلب عدد في بلد إزاء الديانات الأخرى يُسمى ذلك بلداً مسلماً.

ولعل هذه النسبة العددية تنمو في معظم الدول التي تُدعى دولاً مسلمة، وتكون ذات اعتبار في المجالات السياسية والاجتماعية والإحصاءات الرسمية، وذلك مثلاً دول العالم الإسلامي، أو دول الجمهوريات العالمية والشعوب المختلفة المختلطة، كالهند وما جاورها من البلدان، وكدول الغرب والشرق غيرها بحيث يتوافر فيها عدد المسلمين وإن كانوا في أقلية أو شبه أقلية.

هذه التقسيمات وإن كان لها اعتبار واقعي، يخلو من غش أو مبالغات، ولكن الواقع الإسلامي الصحيح العادل يتقرر في ميزان الكتاب والسنة وفي ضوء الشريعة الإسلامية، وبذلك يتوضح الاعتبار الحقيقي للحياة الإسلامية الحقيقية التي عاشها السلف الصالح من أمة الإسلام، وقد مثلوا دوراً لائقاً في جميع النواحي الإنسانية في التوجيهات المذكورة في الشريعة الإسلامية، وخلفوا وراءهم نموذجاً صالحاً للأجيال المسلمة القادمة، يقول الله تعالى في كتابه: (يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ).

أما العصر الحديث الذي يُعرف بالعصر المتطور والمتبلور في يومنا الذي نعيش فيه اليوم فلا شك أنه متطور للغاية، فقد ابتكر فيه الإنسان عجائب من خلق الله، مما يملأ الأرض والسماء والأجواء والبحار والجبال والقفار، وفي المجالات الفردية والجماعية، والسياسية والاقتصادية، واستخرج من داخل الأرض الدرر والجواهر وكنوز الذهب والفضة والحديد والنار، وبلغ في كل الجوانب الإنسانية إلى ذروة العلم والمعارف والاكتشافات النادرة، حتى أصبحت الحياة غنية من جميع النواحي المادية

* مجلة البعث الإسلامي: عدد نوفمبر ٢٠١٩م.

وعاش العالم البشري في جو واسع من التسهيلات التي لم تكن في الحسبان، وبلغ في كل شيئ إلى حقيقة ثابتة لم يحلم بها الأجيال الماضية في أي حال، هذا الإنسان الجديد الذي يدعي بعلو مكانته ويعتز بحضارته التي يعيشها، والذي يتهم سلفه بتضايق أفقه العقلي واقتناعه بالحاضر الموجود دون تطلع إلى مستقبل لامع جميل، إنما يعيش اليوم رغم حضارته المتطورة وآفاق العلم الشامخة الذرى، يعيش في شقاء ليس بعده شقاءٌ، يعيش الجرائم الخلقية على جميع المستويات، ويوجه نسبة كل تطورٍ حضاري وعلمي وعقلي وصناعي إلى نفسه، ويتناسى أنه كان ماءً قذراً ومنتناً في صلب أبيه وانتقلت إلى رحم أمه واستقر في ذلك المكان الضيق إلى مدة ثم أخرجه الله إلى عالم الوجود، وظل هكذا يمر بمراحل كثيرة وبعد مدة طويلة مشى على الأرض ورأى دنيا صغيرة وشب بعد مدة وخرج إلى سعة قليلة تطور فيها رويداً، ولما ترعرع وأصبح رجلاً واعياً وزعم أنه وصل إلى هذه المرحلة بنفسه وعلمه وحكمته، فهنالك يستكبر ويتعلى متمثلاً في صورة الضواري من السباع.

هيهات ذلك، يا من لم يكن شيئاً ثم آذن الله تعالى بأن يكون شيئاً، فطغى وبغى وجال وصال وادعى بالربوبية وامتلاك خزائن الأرض وحارب خالقه وكفر بنعمته وقال: إنني أنا ربكم الأعلى، وكذب وعصى، ولعل الله تعالى يشير إلى مثل هذه الثورة الخبيثة بعد ما ذكر حقيقة هذا الكائن البشري الضعيف: (هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً. إِنَّا خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً. إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً. إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاَسِلَ وَأَغْلاَلاً وَسَعِيراً. إِنَّ ٱلأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً)، وقال في آية أخرى: (يَأَيُّهَا ٱلإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ. ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِيٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ. كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ. وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَاماً كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أتدرون من المفلس؟) قالوا: المفلسُ فينا مَن لا درهمَ له ولا متاعَ، فقال: (إن المفلسَ من أمتي مَن يأتي يومَ القيامةِ بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتَم هذا، وقذف هذا وأكل مالَ هذا، وسفك دمَ هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناتِه، وهذا من حسناتِه، فإنْ فنِيَتْ حسناتُه قبلَ أنْ يقضي ما عليه، أُخِذ من خطاياهم فطُرِحت عليه، ثمَّ طُرِح في النَّارِ). رواه مسلم.

ولكن المؤمن طالما يواجه في طريقه عقبات كأداء، ويتعرض لعوائق وعراقيل تسد في وجهه الآمال وتحول دون وصوله إلى الغاية

المنشودة المطلوبة، ولكنه لا يجزع ولا ييأس، ولا يسمح نفسه بالانتكاس والانسحاب عن جادة الامتحان، ولا يرضى بأي حال بالعودة إلى الوراء، وقد تحدث من الفواجع المفاجئة ما يكفي لتثبيط الهمم والقعود عن العمل، والتنازل عن الحقوق الشرعية، ولكن المؤمن الغيور لا يفعل ذلك، ولا ينهزم أمام الظروف المضادة، ولا يبالي بالعواقب مهما كانت وخيمة، لأن الأمر يتعلق بشريعة الله تعالى ويتصل بالعقيدة وبالغيرة الإيمانية، فيصدع بالحق، ويعرض عن المشركين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون. هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ.

إنكم لتعرفون حقاً أنه لا خيار لإنسان – مهما كان عظيماً – لا خيار له فيما شرعه الله تعالى من دين، وما أنزله من شريعة. وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا. فلا تنازل عن شريعة الله تعالى ولو بقيد شعرة، فضلا عن مساومة أو مسالمة أو مراعاة.

إن حياتنا التي تتمثل اليوم في مجتمعات المسلمين حتى المثقفين وذوي العلم والمعارف وحتى لدى العلماء والفضلاء منا لا تتفق وتعاليم الإسلام الخالصة في معظم الأحوال، ولا ينطبق عليها معنى حياة حرة من غير احترام لأحكام الشريعة وآداب الحياة، والتفريق بين ما فيه رضا الله سبحانه وامتثال لأوامره وما فيه خضوع للنفس والأهواء، إنما هو الانطلاق الكامل نحو ما ينفع والفرار المشين من كل ما ليس فيه منفعة مادية، وإن كان من فرائض الإسلام وواجباته وتفريقه بين الحلال والحرام، إذ أن الغرض إنما هو اتباع النفسية المادية والأساليب الماكرة، ولكن رغم ذلك ليس خالياً عن الاتباع الكامل للشريعة واتباع الأحكام السماوية، فهل يعتبر هذا النوع من العمل "الإسلام الكامل" ويكون تفسيراً لما قاله الرب تبارك وتعالى في كتابه: (ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا)، إنما هناك عدد وجيه من المؤمنين الصادقين الذين يعيشون حياة الإيمان واتباع شريعة الله تعالى والحيطة الكاملة بين كل الشبهات والملابسات، وليس غرضهم إلا تمثيل حياة الإيمان الخالص والطاعة الكاملة مهما كانت الظروف والمطالبات المفاجئة والحاجات الطارئة، إنهم يمثلون ما قال الله تعالى: (إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ).

والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

أمة الكلمة بحاجة إلى وحدة الكلمة!*

لم يعرف التاريخ البشري على طول مداه فترةً تمثلت فيها أمة نموذجية تؤمن بكلمة واحدة، وتدور حولها في جميع نشاطاتها الفردية والجماعية وفي مجالاتها المعيشية والسياسية وفي مشاكلها الداخلية والخارجية إلا أمة ظهرت على الساحة في صورة مصغرة في مطلع القرن السابع الميلادي، وظل يتوسع نطاقها رويداً من خلال ظروف صعبة وعقبات قبلية، وبحكم عقلية ضيقة لم تكن ترضى بالخروج من دائرة العوامل المادية الوثنية، ولولا أن الكلمة التي فوجئ بها أبناء الجزيرة العربية، كانت أجنبية بالنسبة إلى الناس الذين لم يسمعوا بمثلها ولا عرفوها في سابق تاريخهم لم تكن منهم ثورة ضد الكلمة التي دعاهم إليها خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، ولكن هذه الدعوة كانت حدثاً عظيماً بالنسبة إلى ما ألفوه من عادات جاهلية، ومن تقديس أصنام وأوثان ورثوه أباً عن جد، فكيف كان يمكن أن يتركوا تراثهم القديم، ويقتنعوا بكلمة التوحيد والرسالة التي لم يكن لها وجود في أي فترة من تاريخ الجزيرة.

لم يترك سادة قريش ولا رجال مكة البارزون أيما حيلة للصد عن هذه الدعوة الجديدة وصرف الناس عنها، ولما فشلت تدابيرهم المرذولة وباءت بالخيبة رغم جميع المحاولات التي بذلوها في عرقلة كلمة التوحيد وتمزيق الوحدة التي توخاها النبي صلى الله عليه وسلم في مجتمع الشرك والشهوات، جاءوا إلى عمه موفدين وقالوا: إننا نحبك ونعظمك ولكن ابن أخيك محمداً (صلى الله عليه وسلم) لا يمتنع عن تفريق الجماعة وتمزيق صفوفنا في عبادة أصنامنا، فعليك أن تأخذه بالتربية وتمنعه عما يفعل، وإلا فنحن نحاربه بكل قوة مهما كانت العاقبة، وتأثر العم الكريم بهذا التهديد وتناول ابن أخيه بالنصح وطلب منه الامتناع عن هذا العمل، فكان الجواب في غاية من الصمود وبكل أدب:

(يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري لما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك في طلبه).

* مجلة البعث الإسلامي، عدد يناير ٢٠١٩م.

وهكذا نال العمل الدعوي توسعاً وبدأت أمة الكلمة تنسج خيوطها وتقوي هيكلها في هدوء وجدية وصموت، وظلت تتقدم نحو وحدة الكلمة في جو من الظروف القاسية وفي ضوء التوجيهات النبوية، فكان ذلك عهد المحن والشدائد الذي امتد إلى ثلاث عشرة سنة، أسلم خلال ذلك عدد وجيه من كبار مكة وتوسعت دعوة الكلمة إلى نواحي مكة والجزيرة، نشأت أمة الكلمة بالدعوة إلى كلمة الإسلام الذي نال بهم قوة وسنداً وتزايد عدد الداخلين في الإسلام أفواجاً بعد ما فتح الله سبحانه مكة على يد المسلمين وبقيادة النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة في العام الثامن من الهجرة، فكان ذلك في الواقع بداية الحكم الإسلامي وافتتاح العهد السعيد للإسلام والمسلمين وبشارة غلبة الدين الإسلامي على كل باطل وانتصار الإسلام بمعناه الأصيل في العالم كله، ووجود الدولة الإسلامية بقيادة رحمة للعالمين، ثم آلت الخلافة الإسلامية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ولعل دراسة الآيات التالية من سورة الفتح تلقي أضواءً على ما قرره الله سبحانه للمسلمين في تلك المناسبة من تحقيق قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباع مسيرة الدين العالمي الخالد الكامل الذي أكمله رب العالمين وأتم نعمته ورضيه للناس ديناً ودولة إلى آخر يوم الدين:

(لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّؤْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً. هُوَ ٱلَّذِيۤ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً. مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً). (سورة الفتح).

وتحققت نبوءة الفتح المبين التي كان قد تلقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية، وإن كان هذا الصلح بقبول تنازل عن بعض الأمور المهمة، ويبدو كأنه هزيمة ولكن كان يكمن فيه الفتح المبين الذي تم بفتح مكة بعد مدة قليلة في العام الثامن للهجرة، ذلك هو الفتح المبين الذي فتح الأبواب على مصاريعها لدخول العرب والقبائل العربية كلها في الإسلام، فكان كسيل يتدفق من كل جانب، ونال به

الإسلام والمسلمون من القوة والاتساع ما لا يخفى، وذلك مما بشر به الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّؤْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ.....).

من هنالك مثل المسلمون أمة كلمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس، ومن خلال هذه الكلمة كانوا أمة واحدة وتمثلت بها وحدة الكلمة التي آذنت بأن المسلمين كلهم منخرطون في سلك واحد، وأجزاء وحدة لا انفصام لها، فكان النموذج الأمثل لوحدة الكلمة وأمة الكلمة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى في الآية المذكورة أعلاه: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ)، ولذلك فمن اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة (تفسير ابن كثير في سورة الفتح)، وجاء فيما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه".

ومثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ترابط المؤمنين المسلمين بالحب والمودة والعطف فقال: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"، وهذا مثل ينطبق على جميع المؤمنين المسلمين على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم وأوطانهم وألوانهم ولغاتهم، ومن ثم فإن وحدة الكلمة وأمة الكلمة تقومان على أسس ثابتة من وحدة العقيدة والإيمان والتشريع، ووحدة الصف والهدف، ووحدة الأخلاق والسلوكيات العالية التي علمها الرسول صلى الله عليه وسلم وعاشها مع صحابته الكرام.

فاسمحوا لي أيها القراء الكرام! بالتعبير عن وحدة الأمة واعتبارها، بالوحدة المفقودة المسروقة فأصبحت هذه الوحدة هي ضالة المسلم اليوم، وقد سرقها أقوام مادية بغاية من السرية والخفاء من أمة الإسلام وتبنتها، حتى تحقق لها من الانتصار والغلبة في جميع مجالات الحياة المادية من السياسة والاقتصاد والصناعات والتقنيات الحديثة، والكلمة الحاكمة في مجالس الأمم المتحدة، واستعباد الأمم الحرة الشريفة من أهل الدين والعقيدة والدعوة والرسالة واعتبارهم أضعف أمة

لا قيمة لها ولا أهمية في مصاف الأمم العالمية.

ومن لا يدري أن المسلمين هم صانعو الحضارة الإنسانية العالمية في زمن لم يكن للحضارة أي تصور في الغرب، وكانت أوربا تعيش في الغابات الوحشية ولم يكن لها شعور بإنسانيتها، ولا كانت تعرف معناها، فلما فتح المسلمون أوربا ودخلوا في الأندلس بقيادة علماء المسلمين ممن كانوا على قمة عالية من الثقافة الواسعة والحضارة الإنسانية التي تلقوها من تعاليم الإسلام، وأسسها العلمية والحضارية وكانت أوربا عالة عليهم، فأسسوا مراكز التعليم والتربية وأقاموا معالم العلوم الاجتماعية والقيم الحضارية وأخذوا الأوربيين بالتربية من كل نوع، وأخرجوهم من غابات الجهل والأمية ونقلوهم إلى عالم إنساني ذي ثقافة إنسانية وحضارة حية ذات معان رفيعة من السلوكيات والثقافات العالمية الإنسانية، لم يكن لأوربا أي شعور بها.

ولكن الغرب اليوم يرفض حضارة الإسلام الراقية الباقية بإزاء حضارته المادية البحتة، كما يصرح "توينبي" في كتابه عن الإسلام والغرب بخوفه من قيام حضارة إسلامية جديدة من نوافذها التاريخية القديمة، وسيطرتها على المجتمعات الإنسانية، فهو لا يرضى بانتصار الغرب الشيوعي أو الرأسمالي ولكن يسعده كثيراً أن لا ينهض المسلمون من سباتهم العميق الأخير، فيخسر الغرب غلبته وهيمنته على العالم الإسلامي.

من هنا تتجه المسئولية الكبرى على قادة ودعاة الدين وعلماء الإسلام أن يقوموا بتجديد أمة الكلمة ووحدة الكلمة، ويبذلوا مجهودات مخلصة في سبيل إعادة الأمجاد في مجتمعات المسلمين وإحياء حضارة الإسلام بالدعوة إلى التوحيد الخالص والتمسك برسالة خاتم النبيين الذي أرسل رحمة للعالمين.

يقول الله عز وجل: (ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

مزاملة العلم والصناعة مع الذكر والإنابة*

إذا كان رواد الفكر الإنساني في عصورهم المختلفة، يصفون لحياة الإنسان في العالم البشري مواصفات إيجابية للعيش في سعادة وهناء، والقيام بمسئولية الاتصال بالقدرة الهائلة وتركيز الفكر في اتساعها وشمولها، حيث يعجز العقل البشري وجميع العقول الأخرى التي تتوافر في مختلف أنواع الخلق، عن تصور تلك القوة الخلاقة التي تتصرف في جميع الكائنات بألوانها وصفاتها وباختلاف أجناسها وأشكالها.

منذ أن اكتشف وجودها في الكائنات البشرية الدنيوية التي أنزل إليها أبو البشر آدم عليه السلام وعُلّم طريق العيش فيها وأساليب الحياة التي تتنوع باختلاف سكانها العائشين فيها من الإنس والجن، وجميع ألوان الخلق والموجودات صغيراً وكبيراً ومع الإيمان بهذه الحقيقة الكونية، منذ ذلك تتجه المسئولية إلى كل مسلم بل إلى إنسان أن يعمق فكره في معرفة تلك القوة التي أمرت ببناء هذا العالم، ويبحث عن الأسباب التي يقوم عليها عالم الخلق والأمر، وعن الغرض الأصيل الذي توخاه الله تعالى وراء ذلك فقال: (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ. إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ)، وبين الخالق سبحانه ما قد توخاه من خلال هذا العمل العظيم، ومن وراء هذا الكون الواسع الهائل، فلتكن هذه الحقيقة التي أرادها الله سبحانه ماثلة أمام عيوننا لدى كل عمل ونشاط، فإنها رائد الإنسان الذي يعيش لتحقيق الغاية السماوية في هذه الدنيا في ضوء ذلك النظام الخالد الدائم الذي صنعه الله سبحانه وأنزله إليه عن طريق رسول الإنسانية الأخير سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

ومن هنا فإن البشرية لم تعرف في أي فترة من تاريخها أن الخط الذي قررته الطبيعة المنزلة من السماء لإنسان كل عصر في كل زمان ومكان، يقبل أي تغيير أو إصلاح، ذاك أنه الطريق الطبيعي الوحيد والخط القديم الذي سيتيح للعالم البشري كل ما هو بحاجة إليه في

* مجلة البعث الإسلامي، عدد يوليو ٢٠١٩م.

تسيير ركب الحياة، والاستقامة في السيرة والعمل، وبناء مستقبل أفضل للحياة القادمة التي لا مناص منها لأي إنسان مهما كان، وهي في الواقع تكون نتيجة واقعية لما عاشه كل فرد من الناس في ممر حياته في الدنيا.

ورغم أن عالمنا اليوم قد بلغ قمة الحضارة الصناعية والعلمية، وأبدع فيه الإنسان عجائب من التطورات الإنسانية التي لم تكن البشرية تحلم بها قبل مدة من الزمن وكانت سراً من أسرار الكون والحياة، رغم كل ذلك نفقد ما هو الشيئ الأصيل في الحياة التي خلقها الله سبحانه وتعالى، ولا نستطيع أن نستغني عنها في أي حال، ما دامت الحياة باقية والشعور حياً والتفكير فيما يستقبله المرء بعد الممات حاضراً، وذلك هو في الواقع السعادة بمعناها الشامل الكامل، ولكن السعادة التي يتمناها كل من يتمتع بقلب سليم وعقل مستنير لا تتحقق من غير الطاعة للخالق القادر العظيم الذي يتمثل في شعوره وعمله وفي ظاهر حياته وباطنها وفي كل لحظة من حياته، وقد عبّر عن ذلك ربنا تعالى فتحدث عن الرزق الذي يحتاج إليه كل حي من خلقه، وهو الذي يوفر له كل ذلك بقدر الطاعة وحاجته إليه ويوسعه لمن يشاء ويقدره لن يشاء من الناس، ممن يفرحون بالحياة الدنيا، يقول العلامة ابن كثير في تفسير هذا المعنى في سورة الرعد (ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ): "إن الله تعالى هو الذي يوسع الرزق لمن يشاء ويقتر على من يشاء، لما له في ذلك من الحكم والعدل، وفرح هؤلاء الكفار بما أوتوا من الحياة الدنيا استدراجاً لهم وإمهالاً".

هذه الجوائز من الرزق يعطاها المؤمن المنيب الذي هداه الله سبحانه إلى الصراط المستقيم في الحياة الدنيا التي عاش فيها حياة الطاعة والإنابة، ولنقرأ الآن الآيات بكاملها (ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ. وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيۤ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ. ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ).

يتبين الفرق واضحاً بدراسة سريعة لهذه الآيات بين الرزق المبسوط والرزق المقدور، وقد ينخدع من لا يذكر الله ولا يرجع إليه في حال النعمة، وقد يفرح بما أوتي من بسط الرزق فيعيش في غفلة عمن آتاه نعمة الرزق ومتاع الحياة وينسى أن هناك قوة خارقة تراقبه ليل نهار، ويملي له حبال كيده للمحات قليلة يعيش فيها في دنياه في غفلة ولكنه يذوق بذلك عذاباً وعقاباً حين يرجع إلى ربه في الآخرة، أما الكافرون الذين يتظاهرون بكفرهم فهم أشد منهم عقاباً منذ خروجهم من الدنيا بعد الموت من غير تأخير، ذاك أنهم كانوا يقولون بوقاحة سافرة: (لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ) فرد عليهم الله سبحانه قائلاً: (إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيۤ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ).

وقد صرّح الله سبحانه بأن الإيمان وذكر الله تعالى هما الباب الوحيد الذي يدخل منه الإنسان إلى جو واسع نزيه من الهدوء النفسي ومن الطمأنينة القلبية التي لا ينالها العبد المؤمن إلا بذكر الله، وأكد أن ذكر الله تعالى هو في الواقع علاج القلوب المريضة وشفاء للروح المتكاسلة في جسم الإنسان.

يقول سيد قطب (رحمه الله) في تفسير هذه الآية في "ظلال القرآن" (أَلاَ بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ): "ذلك لأن الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم فاتصلت بالله، فيعرفونها، ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخرين الذين لم يعرفوها، لأنها لا تنقل بالكلمات، إنما تسري في القلب فيستروحها ويهش لها ويندى بها ويستريح إليها ويستشعر الطمأنينة والسلام، ويحس أنه في هذا الوجود ليس مفرداً بلا أنيس، فكل ما حوله صديق، إذ كل ما حوله من صنع الله الذي هو في حماه.

وليس أشقى على وجه الأرض ممن يُحرمون طمأنينة الأنس إلى الله، ليس أشقى ممن ينطلق في هذه الأرض مبتوت الصلة بما حوله في الكون، لأنه انفصم من العروة الوثقى التي تربط بما حوله في الله خالق الكون، ليس أشقى ممن يعيش لا يدري لِمَ جاء؟ ولِمَ يذهب، ولِمَ يعاني ما يعاني في الحياة، ليس أشقى ممن يسير في الأرض يوجس من كل شيئ خيفة، لأنه لا يستشعر الصلة الخفية بينه وبين كل شيئ في هذا الوجود، ليس أشقى في الحياة ممن يشق طريقه فريداً وحيداً شارداً في فلاة، وعليه أن يكافح وحده بلا ناصر ولا هاد ولا معين". (في ظلال القرآن، سورة الرعد).

إننا نشاهد في دنيا الناس أن هناك عدداً هائلاً يملك من كل ثروة نصيباً، من ثروة العمر والمال والقوة ولكنه يعيش في قلق واضطراب وخوف وحزن وألوان من الهموم، وكم منهم من يملك مقاليد الحكم والسلطة الواسعة ولكنه يكون محاطاً بأنواع من مخاوف الحروب والمجاعة والخلاف والعداء، ولا يكاد ينال هدوءاً نفسياً ولا استقراراً على كراسي الأمر والنهي، بل يتوجس خيفة من كل ناحية، رغم أن هناك

وسائل كثيرة للعيش الهنيئ في هذه الكرة الأرضية، ولكنها تبوء بالفشل إذا حان وقت الاستفادة منها.

إن هذا العالم البشري حافل بالآلات والوسائل الغنية، والناس على اختلاف أجناسهم ومناصبهم يستغلونها وقد يعتزون بتوافرها، إلا أن ذلك لا يغني عنهم إذا حان وقت الجد والحزم، فيتأسفون ويعيشون أشقى أيام الحزن والأسف على ما واجهوه من نتائج سيئة لم تكن مرجواً، وهكذا فإن استعراضاً سريعاً لما يصيب المرء من شقاء ويأس رغم توافر وسائل غنية للعيش السعيد والتمكن منها للحصول على الراحة والهناء، يقنعنا بأن الطمأنينة القلبية والسلام المطلوب لا يكاد يتحقق إلا بالالتجاء بذكر الله وصبغ الحياة بهذه الصبغة الثابتة الدائمة من الذكر والإيمان بالله وبقدرته الكاملة الدائمة بجميع الحواس الظاهرة والباطنة، وقضاء كل لمحة من الحياة في ذكره وحبه وزيادة الإيمان الراسخ بأن الكائنات كلها بظواهرها وبواطنها إنما هي مسخرة للخالق العظيم ومدينةٍ للقدرة الخارقة التي لا يتصور عمقها وسعتها أي قوة مهما كانت عظيمة، وإن اجتمعت لذلك جميع ما في هذا الكون من عقول وذكاء وفطانة، لا لذوي العقول فحسب بل لجميع ما في الكون من حاسة وحركة وحياة.

دع الحضارات والعلوم الطبيعية، والوسائل الجديدة من الابتكارات والصناعات تُعدّ نفسها في التفكير في صانع هذا الكون الهائل ومانح الإنسان قوة العلم والإبداع، ويتأكد أن هناك قوة كبيرة خارقة للخلق والأمر، مهما تقدم الإنسان وبلغ إلى أقصى درجة من الابتكار والإبداع ولكنه لا يكاد ينفع نفسه بكل ما أوتي من علوم ومعارف، ما لم يذكر الله ويؤمن بأن الله سبحانه هو الذي يأخذ بيده ويشد ظهره للقيام بجميع هذه الأعمال ويوفقه لكل علم وحضارة وصناعة وابتكار وإبداع، وهو يفتح له الباب إلى كل جديد، ما دام العالم البشري قائماً بالتقدم في مجالات الحياة كلها، بوحي من خالق الأكوان والحياة والإنسان، فإن كثيراً من لحظات الحياة لا يكاد يصمد أمامها إلا من أوتي القوة بذكر الله تعالى رغم ما يملكه من أسباب ووسائل مادية قوية متسعة، فإنها إذا اتصلت بقوة ذكر الله تعالى تكون أقوى من كل سلاح ومعدات مادية، ومن ثم يكون هدفنا مزاملة العلم والصناعة مع الذكر والإنابة، والله سبحانه يقول:

(ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ).

والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

دور الأمهات في بناء المجتمعات

بمناسبة (يوم الأم العالمي)*

كان الإسلام أسبق من الديانات والنظرات الاجتماعية والفلسفات الحضارية كلها في رفع شأن الوالدين وإكرامهما والإحسان إليهما، من أجل ذلك كان الإنسان أشرف الخلق كله بحكم الخالق القدير وتقدير رب العالمين، فاستوجب ذلك على الإنسان أن يكون على ذكر دائم لهذا الشرف الجليل ولا يفارقه الشعور بهذه المنة العظيمة التي امتن الله سبحانه بها على جنس البشر، ولا يتناسى في أي حال تلك الوسيلة التي خلقها الله سبحانه وتعالى للوجود البشري في هذا الكون، فحينما قضى الله تعالى أن يخضع الإنسان أمامه بالعبادة والسجود له، أمره كذلك بالإحسان إلى الوالدين، كما جاء في سورة بني إسرائيل في القرآن الكريم (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) (بني إسرائيل: ٢٣ – ٢٤).

وجاء فيما رواه الإمام أحمد، (عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: رغم أنف رجل ذُكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان فانسلخ فلم يُغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة).

والأم معناه في اللغة الأصل، يقال: أم القرى، وهي مكة، " أم الكتاب، وأم الطريق، وأم الرأس، وتسمى الوالدة " بالأم " لأنها هي في الواقع الأصل في الحمل، والولادة والرضاعة والتربية، ولأنها هي المدرسة الأولى للولد، تشرف على جميع حاجاته وآلياته، وتتعب نفسها في إزالة كل مكروه عنه، وعلاج كل علة، وبناء كل سيرة وسلوك ومستقبل لامع، ولذلك فإن لها من المكانة العالية والحقوق الكبيرة ما ليس لغيرها، حتى الأب لا يبلغ درجة الأم، يقول الله سبحانه: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً) وقد شهد التاريخ الديني أن الأم بوحدها كانت سبباً فيما رزقها الله سبحانه من ولد، يقال له: المسيح بن مريم،

* مجلة البعث الإسلامي، عدد مايو – يونيو ٢٠١٦م.

يقول الله تعالى: (لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً) (المائدة: ١٧) ويقول: (ما الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ) (المائدة: ٧٥).

وقد سمى الله تعالى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بأمهات المؤمنين فقال: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) ورفع النبي صلى الله عليه وسلم منزلة الأمهات على أداء فريضة الجهاد، وأوصى أصحابه بالإحسان إلى الأمهات بإزاء الأب ثلاث مرات، (فقد جاء معاوية بن جاهمة السلمي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! أردت الغزو وجئتك أستشيرك فقال: فهل لك من أم؟ قال: نعم، قال: فالزمها فإن الجنة عند رجليها)، وجاء فيما رواه الإمام أحمد عن المقدام بن معديكرب (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله يوصيكم بآبائكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب).

وهناك أمهات كثيرات بلغن إلى أعلى درجات من التقوى والربانية وحسبنا كمثال: أم موسى عليه السلام، وأم إسحاق وأمهات الصحابة والأئمة وعلماء الأمة، ممن كانوا نتاج تربية أمهاتهم اللائي كن سبباً لحلولهم أعلى منازل العلم والعمل والتقرب إلى الله تعالى وإعلاء كلمته في جميع أنحاء العالم، والتاريخ الإسلامي حافل بأمثلة للأمهات الصالحات، ولاهتمامهن ببناء الجيل الإسلامي، ونشر دعوة الدين إلى أقصى الحدود والأبعاد.

هكذا كان بالأمس حينما أقر الإسلام بالمساواة بين الرجل والمرأة في جميع الأعمال التعبدية ووسائل التقرب إلى الله تعالى، فلنقرأ الآن الآية التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، بعد ما شكت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يُذكر الرجال؟ جاء ذلك فيما رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن شيبة قال: سمعت أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: مالنا لا نُذكر في القرآن كما يُذكر الرجال؟ فلم يرعني منه ذات يوم إلا ونداؤه على المنبر، وأنا أسرح شعري، فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرتي، حجرة بيتي، فجعلت سمعي عند الجريد، فإذا هو يقول عند

المنبر: يا أيها الناس إن الله تعالى يقول: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً).

هذه الآية لها أهميتها الأساسية في بناء المجتمع المسلم الذي يستوي فيه كلا الجنسين مما يتعلق بخاصة حياتهما، ولا ريب فإن دور الأم في تحقيق هذه المساواة الإنسانية وبناء السيرة المثالية ذو أهمية كبيرة، ولذلك كانت تعاليم الإسلام تتركز في منح الأم درجة متميزة، تتوقف عليها مسئولية صوغ الولد في قالب يناسب الدين والخلق والمروءة، إن استعراضاً قليلاً يصور أمامنا عظماء التاريخ ورجال العلم والدين وعمالقة الدعوة والفكر الإسلامي ممن تبرز الأم في صناعتهم والبلوغ بهم كعنصر رئيسي، فأصحاب الحديث والعلوم الإسلامية من كبار العلماء والمحدثين والمفسرين والدعاة، وكذلك أعاظم الحكم والسياسة، وبناة التاريخ وممثلو الحضارة الإسلامية، والغزاة في سبيل الله، والمجاهدون لإعلاء كلمة الله تعالى، والشهداء والصالحون ومن إليهم، ليسوا إلا ممن تخرجوا في مدرسة الأم، وتربوا في حضنها.

وإن مؤرخي الإسلام دونوا تاريخ الأمهات المحدثات البارعات في علوم الكتاب والسنة، فإذا بهم وُفقوا إلى بيان عدد ضخم من هؤلاء الأمهات، المحدثات منهن، والمفسرات والعالمات، ومن الشخصيات البارزة اللائي سجل التاريخ الإسلامي صنائعهن وفضائلهن بحيث يقصر عن ذلك الرجال في بعض الأحوال.

ومن يجهل تاريخ أمهات المؤمنين في تعزيز الدين وتمثيل الحياة النبوية وتقوية رسالة الإسلام والإسهام في مهمة الدعوة والقيام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل حين وآن، والدفاع عنه لكل ما عندهن من الطاقات والوسائل، فهذه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها كيف كانت حصناً حصيناً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتشجيع رسالة النبوة وبعث الطمأنينة الإيمانية في نفسه صلى الله عليه وسلم لدى أول وحي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل عليه الملك ولعله جبريل عليه السلام، فقال له: اقرأ، وكرر عليه هذا الصنيع وغطه ثلاث مرات حتى بلغ منه الجهد، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة رضي الله عنها وطلب أن يزملوه، ولما

ذهب عنه الروع أخبرها بما حدث، وقال: "لقد خشيت على نفسي"، فقالت خديجة رضي الله عنها: كلاّ والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وبذلك هدأت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثت فيه الطمأنينة، ولو لا أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وحكمتها لما كان كذلك، إلا أن كل ما حدث إنما كان بوحي من الله تعالى وحكمه، فيما اختاره الله تعالى كخاتم النبيين، وليس دور كل من أمهات المؤمنين خافياً في مساعدة النبي صلى الله عليه وسلم لحمل أعباء النبوة وإرساء قواعد الشريعة الإلهية.

إن الدول المادية الغربية أمهلت دور الأم في جميع شرايح الحياة الإنسانية، وتربية الأولاد فحرمت الأم أن تمثل دورها في التربية والتعليم وتفجير طاقة أمة الأولاد، فما نالت حظها من الحب الصادق، وإنما تسايرت الرجال وتبايع الكرامة وتماشى السماسرة في الشوارع والأسواق، وقد استمرت هذه الدول المادية على هذا الدرب ففقدت راحة النفس، وعنصر الحب، وثمار الأسرة الحلوة، ومن ثم فإنها عادت إلى الوراء وبدأت تنادي بحقوق المرأة وإعطائها مكانة في المجتمع والحكومة، وإنقاذها من أن تكون سلعة تباع وتشترى وهنالك هتفت بيوم الأم العالمي، فوا أسفاً على هذه اللفتة الورائية والجهل والأنانية.

فليفكر الغرب في منهج الحياة الإنسانية الذي يتفق مع الطبيعة، وليترك دأبه في محاربة ما أنزل الله تعالى للإنسان والكون من شريعة عادلة خالدة تتفق وطبيعة الإنسان مهما كان، وليعد إلى نظام السماء الذي يكمن فيه كل خير وسعادة وأمن وسلام، وقد نالت فيه البشرية ضالتها في كل زمان ومكان، وكتب لها النجاة من كل تطرف وإرهاب، وقد أعلن كتاب الله تعالى مدوياً مجلجلاً فقال:

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) وصدق الله العظيم.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

جيل الشباب، بين السلب والإيجاب!*

ظل جيل الشباب منذ عهد التاريخ الأول مركز آمال الأمة إلى إيجابية الحياة، وبناء المستقبل السعيد اللامع للمجتمع البشري، ومن ثم كان التركيز على تربيته الأساسية في المجتمعات والعائلات على جميع المستويات، وأقيمت له مراكز التعليم والتربية في كل مكان ووضعت المناهج العملية والبرامج التربوية لتنشئة الشباب والمراهقين على خلال السلوكيات الجميلة والأخلاق الفاضلة باعتباره الحجر الأساسي في بناء صرح العز والسعادة للعالم البشري.

وقد أولت الأسرة الإنسانية العالمية اهتماماً بالغاً لتحقيق هذا الغرض فتخرج الشباب من هذه المدرسة التربوية وتهيأ للخوض في معركة الحياة، وأخذ لذلك إعدادات لازمة، بعثت فيه روح الثقة والقوة والتعاون على الخير، والطموح لصناعة المعجزات، مهما كلف ذلك كل ما يملكه من النفس والمال، فرُزق همة وشجاعة بتوفيق الله سبحانه وتمكن من تحقيق مهارات كبيرة في مجال العمل الدائب والجهد المتواصل وفي تسجيل قصص البطولات الرائعة وفتح العباد والبلاد وإنشاء الدول والحكومات، فهذه هي جماعة من الشباب ممن سجلوا على صفحات التاريخ البشري من روائع قصص الشجاعة والبسالة ما حيّر الألباب، والتاريخ البشري حافل بأمثلة من الفتيان ذوي الطموح والرؤية السليمة البعيدة النقية، صنعوا التاريخ وغيروا مجرى الحياة ومنحوا العالم البشري هدية غالية من الحضارة الشاملة وجدارة المقاومة في مجال الصراع الحضاري، حتى أنقذوه من براثن الانتهازية والأثرة البغيضة ومن قطع الطريق على القائمين لصيانة الأمانة التي حملها الإنسان، وكثير من الجنايات التي كانت تعاني منها البشرية على وجه الأرض، وهم شباب الإيمان الراسخ بالله تعالى والاهتداء الكامل إلى منهج الحق والهدى، الذي تكفل ببقائه على الوسطية الإيمانية وصانه من التجاوز عن القصد، والانحراف عن الاعتدال الذي أراده الله سبحانه لعباده المخلصين، وذلك ما دعا به الصالحون من عباده وقالوا: "رَبَّنَآ آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ"، فاستقاموا على الطريق العادل وقدموا مثالاً لأمة

* مجلة البعث الإسلامي، عدد نوفمبر ٢٠١٨م.

وسط، (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً).

أولئك هم الشباب الذين كانوا ضالة الإنسان في كل مكان، ومنذ أن خلق الله سبحانه آدم وذريته وعمر بهم العالم البشري، وكانوا بغية الأنبياء والرسل في عصورهم لكي يحملوا رسالة السماء إلى أهل الأرض، كل في عهده، ومن ثم كان الشباب والفتيان في مقدمة الصفوف ونالوا من رسالات السماء ما كانوا يحتاجون إليه من سعادة الحياة وحسنة الآخرة، يقول الله سبحانه في سورة الكهف وهو يتحدث عن فتية الإيمان والهدى ممن كانوا صادقين أقوياء القلوب ولم يمنعهم أي مانع من مخاوف الكفر والشيطان أن ينادوا بكل شجاعة وقوة ويعلنوا بأعلى صوت (رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِ إِلَٰهاً لَّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً)، وقال الله عز وجل في كتابه عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: (قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ).

وقد وُجد هذا النوع من الشباب المؤمن في كل زمان ومكان، عاش حياة الإيمان وصالح الأعمال والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فرافقه نصر السماء حيثما حل ونزل، وساعده التوفيق من الله تعالى، بكل مناسبة وفي كل حال، ولذلك فإن شباب هذا النوع اعتزوا بدينهم وشريعتهم، ونادوا ببناء مستقبلهم الإيماني المشرق اللامع، وتغنّوا بذلك في أقوالهم وأشادوا به في أعمالهم، وقد سمع الناس وسمعت الملائكة بما يعتزون به من نعمة الشباب وبناء صرح الإيمان والمجد والفخار:

نحن الشباب لنا الغد ... ومجده المخلد
الدين في قلوبنا ... والنور في عيوننا
والحق في يميننا ... والغار في جبيننا
نحن الشباب لنا الغد ... ومجده المخلد

وأثنى عليهم كتاب الله تعالى قائلا: (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى. وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِ إِلَٰهاً لَّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً)، فكان دور الشباب في غاية من الأهمية إذ كان له أن يجمع بين رسوخ الإيمان والتزود بالهدى الإلهي، وأن يكون رابط الجأش في دعوة الناس إلى رب السماوات والأرض، وقوي العزيمة في إبلاغ رسالته إلى العالم، ولذلك كان الأنبياء من الشباب، منهم سيدنا يوسف وموسى عليهما السلام، كما أن قادة جيوش رسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم كانوا من الشباب، والذي حارب التتار واسمه قطز كان شاباً طموحاً ومن أشهر أقواله: (من للإسلام إذا لم نكن نحن الشباب).

هذا في جانب، وهناك جانب آخر مضاد من نوع الشباب، ذاك لأنهم لم يتلقوا عناية الأسرة ولا المربين والأساتذة فأحاطت بهم أعداؤهم من أهل الشر والفساد والكفر والظروف المعادية، بأنواعها واختلاف أسمائها فلم يخطر ببالهم أي خطر من روح " الهدفية " ولا عرفوا قيمة الوقت والحياة واقتنعوا بالحرمان العلمي والخبرة المعرفية، فإذا هم يقعون فريسة الانهيار الخلقي والممارسات الإجرامية من القتل والإبادة والجرائم الشنيعة مما لا يقترب إليه الوحوش والبهائم ويفر منه الضواري، فهم يعيشون حياة الغفلة التي هي أضل من أي عملية وحشية حيوانية، ولقد صرح كتاب الله بأمثال هؤلاء المنحرفين الضالين فقال: (لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰئِكَ كَٱلأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ)، فكيف يستطيعون أن يفكروا في عمل بناء، وكيف يعرفون دورهم في الحياة والمجتمع، وكيف يميزون بين الخير والشر، والفساد والصلاح، فإذا قدر لهم أن يعودوا إلى الوراء قليلا ويعرفوا أهمية الوقت وقيمة الشباب والطموح، فسوف لا يلبثون أن يفكروا في طرق المعاش فحسب، وكسب المال بأي طريق ممكن.

وأشنع ما يعيشه نوع آخر من الشباب هو ترخيص حياتهم على أيدي تجار الجرائم الإنسانية، والمبايعة على أيديهم على الامتثال الكامل لأوامرهم وإشاراتهم حول تنفيذها رغم كل الموانع والعوائق، فهذا قتل شخص من غير أن تكون له جريمة، وهنا جثة إنسانية مرمية في مزرعة بعيدة أو على شاطئ قناة ونهر، وهناك اختطاف بنية صغيرة من بيت أبويها وفرض الفاحشة عليها إجبارياً وهي المسكينة تصيح وتبكي ولكن دون جدوى، وما هي إلا مدة قليلة إذ هي تقع فريسة ظلم من المجرمين الوحوش فإذا شبعوا... قتلوها بتدمير أعضائها ورميها في مكان ما، وكذلك حدثت هناك طريقة تُمهد للعدو المختفي الفائز على كراسي الحكم والأمر، ولكنه يبقى وراء الستار ويستأجر قاتلا يقتل الشاب فيُطفئ نار غيظه دون أن يطلع على هذا السر أحد، وقد تقوم طائفة من أشباح الحكام بوضع برنامج لدحر حزب المعارضة فتخلق جواً من الإرهاب بواسطة أجراء من الشباب المنحرفين ممن يبيعون الضمائر بثمن بخس دراهم معدودة، وهم يُستخدمون لكل غرض إجرامي، وتحقيق كل

مؤامرة سرّية من غير خوف ولا همّ، وقد شهد المجتمع المعاصر اليوم نوعاً عجيباً من استخدام الشباب الممارسين للجرائم الإنسانية أنهم يضربون أعضاء الجماعات التي تختلف عنهم في الدين والعقيدة من المسلمين بالعصي والأيدي حتى الموت، وذلك ما يسمى بالعنف الهجومي يوما، وبالغوغائية الاغتيالية تارة (Mob Lynching)، كل ذلك يشير إلى استخدام قوى الشباب في أمور منكرة، وهكذا تُستغل الطاقات الشبابية في أغراض حقيرة ومقاصد رذيلة، يفعل ذلك من حُرم رحمة الإنسانية وعاش حيواناً ضارياً بل أضل منه، وهبط إلى آخر المدى من البهيمية وإن كان يحمل صورة إنسان (أُوْلَٰئِكَ كَٱلْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ).

ولا ريب فيما إذا كان المراد من الإنسان في قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)، ذلك الذي يكون في مستهل حياته جديراً بحمل هذه الأمانة العظيمة، وهو الإنسان الذي يكون في جيل الشباب الذي خضع أمام هذه المسئولية العملاقة وقال: (بين أذني وعاتقي)، فأعانه الله تعالى على هذه الإجابة وقال له: (أما إذا تحملت فسأعينك)، وأشار إلى أنه كان غرّاً قبل ما عرض عليه من غير تأخير.

إن فيه دلالة واضحة على أن ثقل هذه الأمانة الجليلة العظيمة الواسعة لا يتحمله إلا من يكون ذا قوة وشباب، وهي أمانة الدين والأحكام والوفاء والشكر والخضوع لجميع أوامر الخالق وإنجازها بالعمل بها في ضوء الوحي الذي أنزله سبحانه على عباده المختارين من الأنبياء والرسل، ولكن الذي يؤسف له والذي يُبكي العيون دما هو أن الإنسان تناسى اليوم هذه الأمانة التي رفع الله سبحانه بتفويضها إلى الإنسان مكانته في هذه الدنيا وجعله أفضل خلقه، وادخر له في الآخرة من النعم والجوائز الغالية ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وجاء في الحديث الصحيح: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسب وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه". (رواه الترمذي).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما آتى الله عز وجل عبداً علماً إلا شاباً، وقال: (الخير كله في الشباب).

ويقول الله تعالى: (وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع

دعائم اليقظة الإسلامية

ميزة شهر المحرم، قبل الإسلام وبعده![*]

كان معظم المجتمعات الإنسانية في القرنين الخامس والسادس من الميلاد، متوزعة بين اليهود والنصارى، ورغم أنهم كانوا ينتمون إلى ديانتين كبيرتين معروفتين، كانت لهما رسالة دينية تمثلانها حسب معتقدات لم تكن تمت إلى الأصالة بصلة، وكانت تغاير وحي السماء وتعارض الأسس العقدية التي اختارها الله سبحانه لأتباع هاتين الديانتين الكبيرتين في عصرهما، ومن خلال ذلك اشتدت الخلافات بين اليهود والنصارى بلة الخلافات المعاكسة التي أثارت أجواء المعاداة بينهما التي أدت إلى حروب ومعارك عنيفة، نتيجة مصادمة الأفكار والنظرات التي تبوأت إلى كل منهما، وتجددت في أوائل القرن السابع الميلادي من الحوادث والوقائع ما جرّ إلى التباغض بين اليهود والنصارى وتفاقم ذلك إلى أبعد المدى، ومع بدء القرن السابع الميلادي في عهد فوكاس الإمبراطور البيزنطي (٦٠٢ – ٦١٠م) أوقع اليهود بالمسيحيين في أنطاكيا التي كانت مقر البطاركة المسيحيين في القرون الأولى من الميلاد وازدهرت فيها الآداب والفنون، وخربها الفرس في القرن السادس الميلادي، وتولى القضاء على الثورة بين اليهود والمسيحيين التي كانت استمرت إلى سنين في أيام ملك الروم "فوقا" وملك فارس كسرى، الذي بعث جيوشه إلى مصر والشام فخربوا كنائس القدس وفلسطين وعامة بلاد الشام، وكانت الحرب سجالا بين اليهود والنصارى في عهد هذين الملكين، ولولا حكمة هرقل ملك النصارى في التغلب على الفرس لكانت النكاية أشد مما وقع. (مستفاد من كتاب "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" لسماحة العلامة الندوي[رح]).

وفي مثل هذه الأوضاع العالمية من الفساد والدمار والوحشية الحضارية وبتأثير منها كانت جزيرة العرب تعيش جاهلية لا مثيل لها في التاريخ، فكان وأد البنات وثوران الحروب الطاحنة بين القبائل لأدنى سبب، ميزة الجاهلية الأولى، وقد أراد الله تعالى تطهير العالم البشري بكامله، والإبقاء على الأفضلية البشرية التي أكرم بها الإنسان، فبعث نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم كخاتم النبيين ورحمة للعالمين في

[*] مجلة البعث الإسلامي، عدد أكتوبر ٢٠١٨م.

الجزيرة العربية التي كانت تعيش في ظلام مطبق وفساد وجهل وفوضى، كان كل إنسان له حرية كاملة في جميع شئون الحياة فكانوا يتقاتلون ويستبيحون الأنفس والأرواح لمجرد إشباع شهوتهم من العزة والكرامة المزعومة، فكانت الحروب الطاحنة تستمر وقد تستغرق عقوداً من السنين، وما حرب داحس والغبراء والأوس والخزرج والحروب القبلية والمعارك العائلية، ما هي بسرّ.

إلا أن هؤلاء العرب الجاهليين كانوا يمتنعون عن القتال في الأشهر الحرم التي كانت تُعظم على عهد سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وقد استمر العرب الجاهلي على تعظيمها، فحرموا القتال في هذه الأشهر، في ذي القعدة وذي الحجة والمحرم، ورجب مضر، الذي هو بين جمادى الأخرى وشعبان، وكانت لشهر محرم الحرام ميزة، لأن الحجيج إنما يرجعون فيه إلى أوطانهم آمنين، وقد عدّه بعض العلماء السلف أفضل الأشهر الحرم، وروى وهب بن جرير عن قرة بن خالد عن الحسن قال: "إن الله تعالى افتتح السنة بشهر حرام، فليس شهر في السنة بعد شهر رمضان أعظم عند الله تعالى من المحرم، وكان يسمى بشهر الله الأصم من شدة تحريمه"، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الليل خير وأي الشهر أفضل، فقال: خير الليل جوفه، وأفضل الأشهر شهر الله الذي تدعونه المحرم"، في هذا الحديث دلالة واضحة على فضل صيام شهر الله المحرم. وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله "وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم المحرم شهر الله، وإضافته إلى الله عز وجل تدل على شرفه وفضله"، ومن ثم كان صوم يوم عاشوراء في الجاهلية مستمراً في قبيلة قريش وغيرها في بعض القبائل، واستمر النبي صلى الله عليه وسلم على صوم عاشوراء، وهذا يدل على قدسية هذا اليوم.

وهناك طائفة من الناس تقوم بإحياء ذكرى شهادة الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما في العاشر من شهر محرم عام ٦١هـ، وتبدأ بعقد المآتم من طلوع هلال محرم كل عام، وتعيش الشهر بكامله في حزن وبكاء، فكان هذا الشهر معظماً من خلال ذلك، وكان ناس في الجاهلية يصومون يوم عاشوراء فقد جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه، فلما فرض رمضان، قال: من شاء صامه ومن شاء

تركه". (صحيح البخاري)

ولا ريب فإن شهر محرم الحرام عندما يذكرنا بقصة الهجرة التاريخية لكونه أساساً لمبدأ العام الهجري الجديد على مدار الأيام والليالي، وحينما يبعث فينا الروعة بذكرى منح الهجرة التاريخية على الإنسانية جمعاء، ويعيد إلى ذاكرتنا تلك الظروف الصعبة المخيفة التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم في الغار، وبعث الوحي الإلهي في نفسه الهدوء والطمأنينة والثقة بنصر السماء في سبيل التغلب على جميع تلك الأوضاع القاسية (لاَ تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا)، هنالك يذكرنا ويسجل في ذاكرة التاريخ الإنساني قصة اتصال السماء بالأرض، وصدق وعد الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بإحداث ثورة عالمية ضد طواغيت الكفر والوثنية ونجاح رسالة التوحيد ضد الشرك وعبادة الأصنام والأوثان.

كذلك يحمل هذا الشهر الجليل في طيه أحداثاً مؤلمة وذكريات حزينة ضمن معركة كربلاء وشهادة حبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي عبد الله الحسين بن علي رضي الله عنهما، وهي تتطلب منا أن نستوحي منها دروساً وعبراً، ولا ننسى أن للشيطان جولة وصولة مع كل شخص، وهو يتربص بنا الدوائر في كل حين وآن، ولا يقصر في انتزاع أغلى ما يتمتع به المسلم في حياته من جوهرة الإيمان والإخلاص والطاعة لله والرسول عليه ألف ألف تحية وسلام (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً).

كما أن هذا الشهر الجليل يطالب منا أن نتذكر الأحداث التي وقعت ومرت بسيد الشهداء رضي الله عنه، والتي تحتم علينا أن لا نألو جهداً في الدعاء والاستغفار والترحم له، وأن نكون على حذر كامل من كل بدعة أو سيئة دخلت في مجتمعات المسلمين في هذه المناسبة.

فما أغفل الإنسان الذي يحتفل بميلاد عام جديد، ويتفنن في إبداء الفرح والسرور بالمناسبة، ويتناسى أنه نقص من عمره عاماً كاملاً، وخسر في أخذ الإعدادات اللازمة لتحسين أعماله وتقديم إنجازاته الإنسانية في مستقبل أيامه، نعمة العمر التي مضت لمدة ٣٦٠/ يوماً، وقد قال الله تعالى: (وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا ٱسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

تحية إلى رسول الرحمة والسلام صلى الله عليه وسلم*

هناك في العالم البشري حقائق كثيرة لا ينفك عن التفكير فيها أصحاب العلم والعقل، ممن يعرفون أن الإنسان يعيش بين حقيقتين واضحتين، لا يكاد ينكرهما أي كائن من هذه الكائنات، هما حقيقة البدء والانتهاء، فلكل شيئ مهما كان، بداية ثم نهاية، وتبدأ حياة الإنسان بالولادة وتنتهي بالموت، فذاك واقع لا يختلف فيه أحد ولا ينكره، إلا أن حقيقة الحقائق كلها وجود هذا الكون الذي خلقه الله سبحانه وعمره بالكائنات، ومن أبرزها وأكبرها السماوات والأرض: (لَخَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) (غافر: ٥٧) ثم الخلق الذي يتميز بالروح والحياة ومن بين ذلك الجن وبنو آدم الذين كرمهم تكريماً وفضلهم على كثير ممن خلقهم تفضيلاً.

ومع عمارة العالم بالناس وتكاثر وسائل العيش واتساع حاجات الكون والحياة والحضارة والمدنية بعث الله سبحانه إلى العالم البشري المصطفين من عباده لكي يبينوا منهج الحياة في الأرض ويعلموا الناس الآداب والفضائل التي تربيهم على الشكر على نعم الله تعالى، ومعرفة صاحب النعمة الذي ألبسهم لباس العز والكرم، وجعلهم ذوي الحس والشعور بعلو مكانتهم والإيمان بالخالق العظيم والارتباط به كما يرتبط العبد بسيده ويخضع له دائماً ويخدمه، ولا يفارقه في أي حال، كذلك كان خلق الجن والإنس لأداء حق العبادة للرب تبارك وتعالى: (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ. مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ. إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ) (الذاريات: ٥٦ – ٥٨).

وقد عاش الناس في فترات مختلفة من التاريخ، إما بالخضوع أمام إرادة الله تعالى أو انحرفت بهم الطرق فضلوا الطريق وتأثروا بما أوحى إليهم إبليس من مباهج الدنيا ومزلات النفس وجاهلية العقل والتفكير، فتوزعت المجتمعات البشرية بين المهتدين والضالين، حتى إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ظهرت هذه الرحمة مع كل نوع من أفراد المجتمع، مع من آمن به واتبعه ومن لم يؤمن به ولم يتبعه، ولو لا هذه الرحمة التي أرسلها مع نبيه صلى الله عليه وسلم لم يهتد من كان ضالاً، ولم يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من كان يبغضهما أشد البغض، ومن كان يتآمر على النبي صلى الله عليه وسلم ويتحين الفرص لقتله لم يلبث أن نصره وعضده فيما بعد، ثم كانت هذه الرحمة المهداة عامة ودائمة ولائقة بجميع الكائنات وقد ظهر أثرها في الشجر والحجر والجمادات الأخرى وفي الدواب والطيور والأنعام وجميع ما في العالم البشري، وهي رحمة حية متحركة ذات نشاط وتأثير، وبمجرد تأثيرها أصبح الدين كاملاً شاملاً خالداً مع اختلاف الزمان والمكان والشعوب والقبائل والأمم والأقوام.

وقد جاء فيما رواه ابن كثير في تفسيره (حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنما أنا رحمة مهداة. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله بعثني رحمة مهداة، بُعثت لرفع قوم وخفض آخرين).

ومن ثم عمت هذه الرحمة المهداة إلى جميع أنحاء العالم البشري، ولكل من في هذه الكائنات نصيب من رحمة الله سبحانه الذي وصف نفسه بالرحمن الرحيم بوجه عام، وهو الذي عظم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فجعله رحمة للعالمين، ولا يعني ذلك إلا أن رسالة الدين التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، صورة كاملة لجميع أنواع الرحمة فما لبث أن قال: الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، فكان أبو بكر رفيقه في الغار أرحم هذه الأمة وأولاها تمثيلاً للرحمة في كل جزء من حياته حتى وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأرحم أمته وأكثرهم رأفة، ذاك أن طبيعة هذا الدين إنما هي الرحمة ليس غير، ولذلك فإن علماء هذه الأمة قاموا بتفسير معنى الرحمة على أوسع نطاق وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، وذلك إن دل فإنما يدل على أن طبيعة الرحمة دعت إلى شمولها في طبائع الخلق بأجمعه، وإن مخالفتها تمهد الطريق نحو القسوة والظلم والرذائل التي تأباها طبيعة الإسلام.

ومن أوسع أبواب هذه الرحمة تدخل الفضائل ومكارم الأخلاق

* مجلة البعث الإسلامي، عدد يناير ٢٠١٥

والطاعات وكل ما يأتي تحت الخلق الجميل من ممارسات عملية لصالح الأعمال والتراحم الاجتماعي ودوافع الخير الفردية والجماعية، لا في العالم البشري فحسب، بل في جميع العوالم والكائنات، سواء من ذوي العقول أو غيرهم، ولذلك لم تلقب هذه الأمة بالخير ثم القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا من خلال معاني الرحمة التي تشملها من غير استثناء، وكذلك الدعوة إلى الله تعالى والتوجيه إلى سبيله ذات اتصال عميق بعنصر الرحمة، وليس ما يأمر به الإسلام من الالتزام بالحكمة والموعظة الحسنة في سبيل دعوة الناس إلى دين الله تعالى إلا رحمة بالوضع السيئ الذي يعيشون فيه وإنقاذهم منه إلى ساحة أوسع للحياة الإنسانية التي تتفق وطبيعة البشر.

جاء الرسول صلى الله عليه وسلم فأعلن ما أمره الله به من قتال الناس حتى يدخلوا في الإسلام، ويشهدوا بالإيمان مع الله ورسوله وبالخضوع أمام جميع أوامره ونواهيه، وبذلك يستحقون رحمة الله تعالى ويمثلونها في جميع أعمالهم ونشاطاتهم، فقد جاء في الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله (متفق عليه)، فهل يعني ذلك إلا أن الشهادة بالإسلام رحمة كبيرة تتولى عصمة الناس من أي آفة تسلب أرواحهم وأموالهم، وقد جاء في حديث آخر (والذي نفسي بيده لأقتلنهم ولأصلبنهم ولأهدينهم وهم كارهون، إني رحمة بعثني الله تعالى ولا يتوفاني حتى يظهر الله دينه) قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما بلغه أن أبا سفيان بن الحارث يحث الأوس والخزرج ضده، بعد مخرجه إلى المدينة المنورة مهاجراً، وهو يقول لهما: (..... أو تخرجوا محمداً من بين ظهرانيكم، فيكون وحيداً مطروداً) (تفسير ابن كثير).

وما جاء في كتاب الله تعالى: (وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ. قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُّسْلِمُونَ) ففيه إشارة إلى أن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين جميعاً وهي تمهد الطريق نحو توحيد الله سبحانه والى أن الاله ليس إلا واحدا فقط، فهل أنتم مسلمون،

استفهام لتقرير الواقع، وهي رحمة بمشيئة الله تعالى للذين صدرت منهم بعض المعاصي ولم يوفقوا إلى التوبة والاستغفار، وللذين حق عليهم العذاب ولكن انتماءهم إلى رحمة للعالمين وقاهم من سوء المصير، وذلك هو السبب فيما إذا كان كتاب الله تعالى زاخراً بكلمة "رحمة" ومشتقاتها أكثر من أي كلمة أخرى، فمن سورة الفاتحة إلى سورة البلد، في الجزء/ ٣٠، يشغل الرحمة ومشتقاتها حيزاً كبيراً من القرآن الكريم، الأمر الذي يشير بل يؤكد أن هذا الدين رحمة كله، وهي تشمل البر والبحر وكل الكائنات فضلاً عن الجن والإنس والعالمين جميعاً.

تفاقد العالم البشري اليوم عنصر الحب والحنان ووحدة الأخوة نتيجة إغفاله اتباع رسول الرحمة والإكباب على الزخارف المادية التي شغلت البشر اليوم عن تربية الروح وتزكية القلب، ولا سيما أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فإنها تناست اليوم مكانتها الرفيعة بين الشعوب والأمم، والميزة العظيمة التي منحها الإسلام وجعلها خير أمة أخرجت للناس وأكرمها بالقيادة العالمية على مدى الدهر، و وعدها الله سبحانه وتعالى بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين الذي ارتضى لها وتبديل الخوف أمناً في جميع أنحاء العالم، واشترط لهذه النعمة الالتزام بعبادة الله تعالى، والفرار من الإشراك به، فقال تعالى: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً، يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ) (النور: ٥٥).

أفليس الاستخلاف في الأرض من نتائج الرحمة المهداة التي أرسل الله تعالى رسوله رحمة للعالمين من أجلها، وبها أكرم عباده المؤمنين العاملين الصالحات؟ بلى! إن الانتصارات التي فاز بها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها إنما كانت صورة صادقة لتلك البشرى التي بشر بها الله سبحانه أمة الإسلام فقال: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"، ولا ريب أن رسالة الإسلام في الرحمة التي تعم العالمين، إنما حصرها الله تعالى باستعمال أسلوبه المعجز البليغ ونقض النفي بـ "إلا".

إنها حضارة الرحمة وحضارة الحرمة، وحضارة الإنسانية التي تتلمس أوتار القلوب وترتبط بعضها ببعض فإذا بها تتفجر نوراً وبهاءً، وحباً

وألفة وجمالاً، وتصنع من الناس مجتمعاً بشرياً صالحاً يمثل الأخوة الخالصة ذات الرحمة والحنان، والنصح والإيثار، فينطبق عليه قول رسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) فالمسلم يتودد إلى أخيه من خلال تلك الرحمة التي أسدى بها رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم إلى هذه الأمة التي صنعت ولا تزال تصنع تاريخ الإنسان، مشرقاً وضيئاً، وبعيداً من كل ما يعارض معاني الرحمة العالمية التي كانت رسالة الإسلام ودعوته، منذ بعثة النبي عليه الصلاة والسلام إلى يوم الدين، وهي رسالة السلم والسلام والإنسانية، وهي دعوة الحب والأخوة والإيمان، (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ).

وجاء فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المشركين فقال: إني لم أبعث لعاناً وإنما بُعثت رحمة) (باب البر والصلة والأدب).

فها هو ذا رسول الرحمة، والخلق العظيم، وما أحوج العالم اليوم إلى اتباعه والسير في دروب الرحمة والحنان، والقيادة العالمية، في معالجة القضايا والمشكلات التي تثار اليوم بدون هوادة، وتبذل جهود على المستويات العالمية لتشويه صورة الإسلام وهدم تاريخه المشرق الوضيئ، ولا يخفى ما يجري اليوم ضد الإسلام والدعوة إليه من مؤامرات شرسة ومكايد سرية بواسطة من الجماعات والتنظيمات المرتزقة التي لا علاقة لها بالإسلام (وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ).

أزهار الربيع

كيف ينبغي أن نجنيها!*

لا نريد في هذه المناسبة أن نسرد الوقائع والأحداث التاريخية وأن نمر بقراءة سريعة للسيرة النبوية على صاحبها ألف ألف تحية وسلام، فإن كتب السيرة حافلة بذكرها بغاية من التفصيل وبيان المصادر التاريخية الموثوق بها في عرض هذه السيرة العطرة، إنما نحتاج إلى دراسة هذه الحياة الزكية من أول وجودها إلى آخر لحظاتها بنظرة فاحصة وبنية التطبيق على حياتنا وحياة أتباع وأفراد الأمة.

ذاك أن الله سبحانه قد أودع في كل لمحة من لمحات سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لكل من يبحث فيها عن مفتاح السعادة الدائمة في جميع الأحوال والأزمان، ولا يعرف للشقاء معنى في أي شأن من القوة والضعف ومن الصحة والمرض ومن الفقر والغنى، بل يعتقد من أعماق قلبه أن هذه الأسوة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مستمرة بكل قوة، وتيارها سار في جميع عروق القلب والجسم يكهرب الحياة والمجتمع بإيمان يتجدد مع كل لحظة، وبعلاقة تتوطد في كل حين، مع شهادة الوحدانية والرسالة التي يتمتع بها كل فرد من أفراد الأمة، وتحث بني آدم جميعاً على الحصول على هذه الشهادة الغالية التي تنفعهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وقد شهد الله سبحانه بصيغة التأكيد بأنه على خلق عظيم (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) فكان ذلك شهادة من السماء لأهل الأرض جميعاً، وإشارة إلى أن الإنسان مهما كان لا يتمتع بحلية الإنسانية ما لم تتحلّ حياته بالخلق العظيم الذي ليست بعده فضيلة ولا كرامة.

وعلى ذلك كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم قاعدة صلبة للشريعة الإسلامية التي أنزلت على الإنسان والكون بصفة دائمة لا يعتريها تغيير أو تطوير، ولا يستغني عنها العالم البشري في أي عصر ومصر، وقد أكملها الله سبحانه وتعالى وأتم نعمتها على عباده فكانت شريعة خالدة باقية نامية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها،

* مجلة الوعي الإسلامي، عدد يناير – فبراير ٢٠١٨م.

تنزيل من حكيم حميد.

ومن ثم كانت الأمة المسلمة مسئولة عن تمثيل هذه الشريعة السمحاء في جميع شئونها وأعمالها، وكان على المرء المسلم أن يعيش هذه الشريعة ويطبقها على الحياة حتى تكون حياته أنموذجاً كاملاً لغيره من أفراد البشر والأمم والشعوب التي لا تعرف عنها سوى أنها لا تتفق وطبيعة العصر الحديث، وأنها تبلغ من القدم والبلى إلى ما تأباه الفطرة وترفضه العصرنة التي هي علامة حضارة الإنسان اليوم.

بهذه الفكرة المعوجة والتصور الباطل ظهرت النماذج العملية في مجتمعات كثيرة، ومجموعات بشرية تشمل كل نوع من معتنقي الدين، والديانات والفلسفات الحضارية، ولعل ذلك لم يتوافر إلا لأن مصادر الشريعة الإسلامية الواضحة البيان ظلت غائبة عن مناهج الدراسات التي تناولتها أفكار هؤلاء المنحرفين عن جادة الطبيعة الإنسانية، فلم يحظوا بالاطلاع عليها ضمن العمل العلمي والتاريخي الذي تيسر لهم خلال أيام الشباب أثناء نشاطاتهم الثقافية والحضارية.

ولو لا نفور طائفة من كل فرقة بشرية إلى مراكز العلم والثقافة ومدارس الفقه والبصيرة التي تركز على بناء الفكر الإنساني على أساس ثابت من الحكمة والتدبر في آيات الكون والقدرة الصناعية الجبارة فيه، لو لا ذلك الواقع المتمثل في تربية الإنسان في جميع الأزمان واللحظات، لم يتمتع أعضاء المجتمعات الإنسانية بذلك العقل السليم الذي تعمق إلى آخر درجة من التفكير في صناعة الحياة والإنسان والكائنات كلها على غرار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والسابقين الأولين ممن كانوا على صلة عميقة بدراسة كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتفكير فيهما، فظهر منهم من الثقة بما أودع الله تعالى في الإنسان من ودائع العقل الإيماني الخالص الصحيح الذي لا يألو جهدا في تفهّم ما أنعم الله سبحانه به على أفضل خلقه الإنسان من العيش في سعادة كاملة وأمن وسلام، لكي يتكون بذلك المجتمع البشري الصالح الذي يمثل النموذج الأمثل للعالم كله في جميع أعماله وبرامجه ونشاطاته، وفي حياة المرء الفردية والجماعية، ومسئولياته نحو ربه ونفسه وعائلته ومجتمعه الذي يحويه من كل جهة وجانب.

إنه يستوحي من تعاليم النبوة ونور الكتاب والسنة من غير تراخ أو تأخير مع تأملات دقيقة في رسائل القرآن ودروس السنة ما يشرح صدره وينور قلبه للعمل بما أمر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه، ولذلك قالت العلماء السابقون عن القرآن الكريم بأنه "رسائل من الله تعالى بعثها إلى عباده بعهود نتدبرها في الصلوات، ونقف عليها في الخلوات، وننفذها في الطاعات والمستحبات".

الأمة الإسلامية حينما تستقبل شهر الربيع كل عام فهي تجدد العهد بالإيمان والحب والطاعة، وتقر بأنها لا تزال على ذكر من ذلك العهد الذي تعاهدنا به مع الله سبحانه ورسوله بالدعوة إلى هذا الدين وإبلاغه إلى جميع أنحاء العالم بوسائل العلوم والمعارف، وصالح الأعمال وأمثل النماذج الإيمانية، وذلك هو العمل المستمر الدائم والمسئولية الكبرى القائمة التي تواصل المؤمن ليل نهار من غير انقطاع للحظة ما، وليس هو ما يزعمه الناس من أن يباشروا بالعمل الدعوي وتذكير الناس بصلتهم بالدين وحبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والاحتفال بتعظيمه والإشادة بالشهر الذي بعث فيه رسول الإنسانية وخاتم الأنبياء، ويتظاهروا في هذا الشهر كله أو بعضه بصلتهم برسول الله والعمل بما جاء به من عند الله.

كلا! ليس هذا الدين معبراً ننتقل عن طريقه من جانب إلى جانب، وليس جسراً نستخدمه متى نشاء للعبور من بلد إلى آخر، إنما هو دستور للحياة والكائنات كلتيهما، دستور يخلد مع كل واحدة منهما، ولا يسمح لأي واحد بالخروج عنه ولو لوقت قليل، وإنما هو القاعدة الثابتة الراسخة لكل مَن وما في هذا الكون من خلق، لا الإنسان وحده بل الكائنات كلها مما خلقه سبحانه وتعالى من ذوي العقول الظاهرة والكامنة كل ذلك خاضع لهذا الدستور الدائم الخالد، من غير تعطل وتخلل، أو تحيل بحيلة، إنه يتفق مع كل شيئ في جميع الأحوال والشئون التي تفصلها تعاليم النبوة على صاحبها ألف ألف تحية وسلام، ومن ثم كان للتفقه في الدين درجة عالية عظيمة أوتيها علماء هذا الدين وفقهاؤه، وأصحاب الدعوة إليه من الرجال والنساء، فقد كان طلب العلم فريضة على الجميع ليتمكنوا من إدراك أسرار السعادة والنصح والخير والإحسان، ويعملوا بها في جميع الأعمال والأحوال، وينفذوها في السلوك والأخلاق، يقول الله تعالى في كتابه العظيم (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)، يقول الإمام الشيخ ولي الله الدهلوي: يجب أن يوجد في كل فرقة طائفة لكي

يعكفوا على الجلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في مجالسه، ويتعلموا الدين وعلومه ويعلموها الآخرين، ومعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس موجوداً في عالمنا هذا، ولكن العلوم الدينية قائمة وعلماء الدين موجودون، لذلك فإن طلب العلم فرض كفاية على أفراد الأمة، كما يقول أبو حيان ويصرح: بأن هذه الآية ليست إلا لطلب علم الدين".

فالتفقه في الدين أمر من الله سبحانه وتعالى لا يستغني عنه المسلم، وليس من الواجب أن يتابع دراسته والتعمق في تفهم الدين بالالتحاق بالمدارس والجامعات إذا كان يتحقق هذا الغرض من خلال مجالس العلماء والتعلم منهم أمور الدين من الفرائض والواجبات والمستحبات والنوافل، والتأكد من أن هذا الدين إنما هو الملجأ الأول والأخير لكل إنسان مهما كان، وبه وحده يستطيع أن يؤدي واجبه ويوطد صلته بالله تبارك وتعالى وبرسوله خاتم النبيين، واتباع سيرته في كل صغير وكبير، وبذلك يتأدى الواجب الديني ويتمتع المرء بربيع الإنسانية الذي أنزله الله تعالى بولادة و وجود رسول العالم البشري بعد جفاف طويل، امتد إلى أكثر من خمسة قرون ونصف قرن، وبعد ما كان الزرع الإنساني يعاني من الجدب والسنين، وكان العالم البشري يعيش اليأس من مستقبله، الأمر الذي أنتج حروباً طائفية، وجرائم خلقية، وقتالاً وخناقاً ووأداً، وطرائق قدداً من العذاب النفسي والجوع والفقر والشقاء ومن الهموم والأحزان ما لا يأتي عليه الحصر.

أما اليوم فإن العالم وإن كان قد تطور كثيراً في جميع مرافق الحياة واستطاع الإنسان المعاصر أن يأتي بما يشبه معجزة في العلوم والصناعات، وفي إيجاد التسهيلات من كل نوع وفي كل مجال، فكل ذلك كان نتيجة لذلك النظام الكوني الذي أغدق به الله تعالى على الكائنات لبناء المستقبل الذي يواجهه الناس في تيسير الوسائل التي تتطلبها الحضارات الإنسانية في سبيل البلاغ الدعوي، والتوجيه الديني، إذن ليس ما نراه اليوم من التطورات العلمية إلا طريقاً إلى إبلاغ صوت الدين بسرعة وتأثير أكثر رغم المسافات البعيدة التي يعيش فيها المجموعات الإنسانية وتتمتع بكل وسيلة من الوسائل المدنية والأسس الإنسانية التي تجعل العالم كله كقرية واحدة، وما ذلك إلا عكساً من المنن التي أفاضها الله سبحانه على العالم البشري عن طريق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

فمهما تطورت الحياة وتعانق الناس في المرافق والحاجيات إلا أن الاستغناء عن أداء الحقوق التي تتولاها فطرة الإنسان للإنسان وفطرة الله التي فطر الناس عليها لن يتيسر من غير شعور بحق الله تعالى على الخلق وحقوق الخلق التي قررها رب الخلق والكون على نفسه هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم، فكم من الناس من يتمتعون بمثل هذا الشعور بعمق ودقة، وإيمان كامل بالربوبية الدائمة القائمة في جميع لحظات الحياة وشئونها في عالمنا اليوم!

فلا نكاد نتبرأ عن مسئوليتنا بمجرد الثناء على هذه السيرة المباركة وتلاوة آيات من كتاب الله تعالى في المناسبات، بل الواقع أننا مخطئون في تقدير صلتنا بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، إنها ليست سيرة فقط وإنما هي أسوة حسنة بصفة مستمرة خالدة، نتصل بها باستمرارية كاملة ودوافع الاتباع الكامل بصورة واقعية عملية نموذجية مثالية، وإيمان شامل، وذكر دائم متتابع (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً).

ألم يأمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يعلن في الناس بصراحة عن حقيقة محبة الله تعالى التي لا تتحقق من غير اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وبذلك يتوافر الحب الصادق المتبادل بينه وبين عباده المخلصين وتسنح الفرص لتطبيق تعاليم الكتاب على الحياة والمجتمع، وتنفيذ توجيهات السنة المطهرة في حياة الفرد والجماعة. (هُوَ ٱلَّذِيۤ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً).

(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

قصة الإسراء والمعراج والمسجد الأقصى والقدس بين الأمس واليوم*

الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لم تكن عفواً أو ارتجالياً، إنما كانت بتقدير دقيق من الله العزيز الحكيم، فكلما قارب موعد ليلة ٢٧/ من شهر رجب تتمثل أمام العيون قصة الإسراء والمعراج التي كانت فارقةً بين أسطورة الوساطة بين الله والعبد، والاتصال المباشر بين العبد والمعبود (إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ) والصلاة هي أول وأغلى هدية جاء بها رسولنا العظيم (صلى الله عليه وسلم) من عند ربه في هذه الليلة المباركة، فكانت الحجر الأساسي في صرح الإسلام الشامخ، وفي بناء الحياة الإسلامية الكاملة، وقد تمت هذه الرحلة السماوية التاريخية العظيمة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم المعراج إلى السماوات العلى، في أقل وقت مما يتصوره أهل هذه الدنيا، إنما هو الإسراء والعروج إلى السماوات السبع بأمر من الله تعالى، وقد تم فيهما للرسول صلى الله عليه وسلم من العطاء الرباني، واللقاءات والمناجاة مع الله سبحانه ما لا يتصور إنجازها في مدة طويلة بالنسبة إلى أزمان الدنيا وساعاتها، وبالمناسبة نقرأ الآيات التي تفتتح بها قصة الإسراء والمعراج:

(سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ).

تلك هي القدس التي كانت منطلق هذه المعجزة الكبرى التي لا ينساها التاريخ البشري على طول مداه، وقد استولى عليها اليهود من خلال إسرائيل، وأعلن الرئيس الأمريكي الجديد بقرار الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، الأمر الذي أدان هذا القرار الأمريكي وأكد أن القدس إنما هي عاصمة دولة فلسطين، ليس غير.

وقد صدر إعلان قمة الظهران في ختام مؤتمر القمة العربية الذي أقيم في مدينة الظهران بالمملكة العربية السعودية، تؤكد أن القرار

* مجلة البعث الإسلامي، عدد يونيو ٢٠١٨

الأمريكي بشأن القدس كمقر لعاصمة إسرائيل مرفوض من جميع الدول المسلمة العربية ومستحيل أن يجد إلى التنفيذ طريقاً في أي حال، وقد جاء في قرار القمة أنها ترحب قرار الجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة، وتؤكد رفض جميع الخطوات اليهودية الإسرائيلية الأحادية التي تهدف إلى تغيير الحقائق التاريخية على أرض القدس، كما تؤكد تنفيذ جميع قرارات مجلس الأمن مما يتعلق بالقدس مع إبطال جميع الإجراءات الإسرائيلية لتغيير معالمها ومصادرة هويتها العربية الحقيقية.

وجاء في ضمن قرارات قمة الظهران، الاستنكار الشديد لما تقوم به مليشيات الحوثي الإرهابية من إطلاق الصواريخ الباليستية على الحرمين والرياض وعدد من مدن المملكة العربية السعودية، وقد بلغ عدد هذه الصواريخ الباليستية التي أطلقها الحوثيون على المملكة أكثر من ١١٩ صاروخاً دمّرتها القوات السعودية قبل أن يصل إلى الهدف المنشود، وقد تم ذلك بمجرد العناية الربانية التي تراقب الحرمين الشريفين والمملكة بكاملها من أي اعتداء أو عدوان.

ولو لا أن للقدس تاريخاً مقدساً منذ خمسة آلاف سنة، وتكون قد مرت عليها عصور كثيرة، سكن خلال ذلك واستوطنها أمم وشعوب متعددة الأسماء والانتماءات، لو لا ذلك التاريخ المقدس لها لما كانت للقدس تلك القدسية التي تمت لها في عام عشرة من الهجرة حيث شهدت القدس زيارة النبي صلى الله عليه وسلم بمناسبة الإسراء ليلاً، كما تحدث عنها كتاب الله تعالى في مفتتح سورة الإسراء (سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ) ثم عرج به إلى السماوات العلى وشهد التاريخ البشري هذا الحدث العظيم باسم الإسراء والمعراج، ومنذ ذلك الوقت يبتدئ العصر الإسلامي في هذه المدينة المقدسة.

ولما تولى الخلافة الإسلامية الخليفة الراشد الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، دخل مدينة القدس في العام الخامس عشر الهجري (عام ٦٣٦م أو في عام ٦٣٨ الميلادي) على اختلاف القول، وذلك بعد انتصار الجيش الإسلامي بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح، وكان البطريرك صفرونيوس قد سلّم مفتاح المدينة بنفسه إلى الخليفة الثاني واتفق على ذلك بكتابة العهدة العمرية، الوثيقة التي منحت الخليفة

الإسلامي الحرية والاستقلال الديني الإسلامي، وغيّر اسم المدينة من إيلياء إلى القدس، وقد نصت الوثيقة العمرية أن لا يساكنهم أحد من اليهود.

فظلت القدس منذ ذلك الوقت مدينة إسلامية مقدسة وأخذت طابعها الإسلامي الذي اهتم به الناس كثيراً في العهد الأموي طوال بقاء الخلافة في أيدي الأمويين إلى مدة تقارب تسعين عاماً، ولكنها في الخلافة العباسية شهدت نهضة حضارية وعلمية في مجالات متعددة، فقد وفق الخليفة عبد الملك بن مروان إلى بناء مسجد عرف بجامع قبة الصخرة في الفترة ما بين (٦٨٢ – ٦٩١) من الميلاد، وبعد ذلك بنحو ثمانية عشر عاماً أعيد بناء المسجد الأقصى بإدخال تحسينات معمارية فيه، رحب بها المسلمون في كل مكان، وقد حكم فيها المسلمون إلى أكثر من خمسة قرون، ولكن القدس المقدسة استولى عليها الصليبيون في عام ١٠٩٩م مع نهاية القرن الحادي عشر الميلادي نتيجة الصراعات التي قامت بين السلاجقة والفاطميين، وعلى إثر هذه الحوادث المشئومة تمكن الصليبيون من دخول القدس وانتهاك المقدسات الإسلامية فيها، وقتلِ سبعين ألف مسلم، الواقع الذي سجّله التاريخ بمداد أسود من الظلم الذي لا يعدله ظلم في تاريخ القدس يوم ذاك.

ولقد أتاح الله سبحانه وتعالى فرصةً للعودة إلى القدس بواسطة الملك العادل صلاح الدين الأيوبي، وذلك في عام ١١٨٧م بعد ما كسب الفوز في معركة حطين، فدخلها وعامل أهلها معاملة العدل والخلق الجميل، واستطاع أن يزيل الصليب عن قبة الصخرة وأن يقوم بتحصين المدينة ويهتم بعمارتها، ومع وفاة الملك العادل سيطر الصليبيون على القدس وظلوا فيها إلى أحد عشر عاماً حتى جاء الملك الصالح نجم الدين أيوب واستردها من هؤلاء الأنجاس المناكيد في عام ١٢٤٤م، وكان الغزو المغولي على هذه المدينة في نفس هذا العام فهزمهم المماليك تحت قيادة سيف الدين قطز والظاهر بيبرس في معركة عين جالوت المعروفة، في عام ١٢٥٩م فاستمر حكمهم إلى عام ١٥١٧م، وفي خلال هذه المدة الطويلة استطاعوا أن يحكموا فلسطين بما فيها القدس ومصر والشام إلى عام ١٥١٧م.

أصبحت مدينة القدس في عهد الإمبراطورية العثمانية ضمن فلسطين في الحكم، وقد اهتم بذلك السلطان سليمان القانوني، ورغم مرور أدوار وتغييرات سياسية طارئة في الحكم العثماني، بقيت مدينة القدس تحت أيدي العثمانيين حتى الحرب العالمية الأولى، واحتلها الجيش البريطاني في شهر ديسمبر ١٩١٧م ومنحت (عصبة الأمم – الأمم المتحدة اليوم) بريطانيا حق الانتداب لها على فلسطين فأصبحت القدس عاصمة فلسطين، ثم أحيلت قضية القدس بعد انتداب بريطانيا على فلسطين إلى الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، وصدر قرار تدويل القدس في عام ١٩٤٧م، ولكن الانتداب البريطاني في فلسطين وعاصمتها القدس انتهى، ومع نهاية الانتداب البريطاني وسحب قواتها من فلسطين حدث فيها فراغ، فسرعان ما استغلت العصابات الصهيونية حالة الفراغ السياسي والعسكري وأعلنت قيام "دولة" إسرائيل، فأصبحت لها "حكومة مزعومة" ووزراء ورئيس الوزراء الذي كان هو بن غوريون، ذلك الذي أعلن بكل وقاحة بكون القدس الغربية عاصمة إسرائيل، وما أن حدثت هزيمة يونيو ١٩٦٧م وخسر فيها المسلمون بسوء حكمهم ما خسروا إلا وقد أعلنت إسرائيل بكون القدس الغربية والشرقية بكاملهما عاصمة الكيان الإسرائيلي.

ومنذ ذلك العهد نشبت الصراعات الفلسطينية اليهودية، وعاش المسلمون في فلسطين بين فكي العدو الإسرائيلي والعدو الأمريكي، واستولى اليهود الإسرائيليون على المسجد الأقصى الذي يحتلونه بغاية من الجراءة في حالات لا يرضاها الإنسان في بيته الخاص، ويأتون فيه بكل منكر من القول والعمل ويحولون دون أداء الصلوات والعبادات التي يقوم بها المسلمون، ولم يتركوا أي حيلة للفساد والإتيان بالمنكرات غير الإنسانية إلا وقد نفذوها، ولا يزالون يفعلون في المسجد الأقصى ما يشاؤن، رغم استنكارات شديدة من العالم الإسلامي بكامله، وإنذارات من الدول الإسلامية في الوطن العربي، إلا أن تنجيس المسجد الأقصى، وتهويد القدس، يتمثل بارتكاب جرائم دينية وخلقية وإنسانية يساندها بعض الدول الغربية بجميع الوسائل المادية دون أن تعترف بحق المسلمين والفلسطينيين على الأقصى والقدس.

ولتثبيت دعائم الاحتلال الصهيوني وسيادة البيت الأبيض والولايات المتحدة، والإيذان بأن المقدسات الإسلامية كلها تحت السيادة الأمريكية التي تتزعم وتتحكم فيها، والتي كانت تترقب الفرصة المناسبة لتأكيد أن القدس عاصمة إسرائيل، أعلنت بهذا القرار المشئوم، ولذلك لم يكن الإعلان الأمريكي عن القدس بقرار إجرامي: أن القدس عاصمة إسرائيل، وليس لأحد أن يغير هذا القرار، لم يكن ذلك إلا احتلالاً إجبارياً وإجرامياً في الوقت نفسه، ومعلوم أن هذه العملية الإجرامية الأحادية ليست إلا لرفض وحدة الإسلام وقوته السماوية الخالدة وتوزيع الأمة الإسلامية إرباً وقطعاً، ولم يكن إلا إعلاناً أخيراً بانعدام أمة من الناس تسمى خير أمة أو الأمة الإسلامية، وبأن دين الإسلام انتهى دوره وليس له أي شأن في مصاف النظرات والفلسفات والديانات في العالم البشري، ولم تعد للمسلمين أي قيمة في الإحصاءات العالمية الإنسانية.

(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

شهر رمضان الكريم، كيف نعيشه!*

إن الشهر العظيم الذي أنزل فيه القرآن بشهادة ربانية سماوية، وبأمر من الله سبحانه تعالى لأداء عبادة الصيام فيه، وانتهاز كل لمحة من الشهر المبارك في مجال الاتصال بالله تعالى والعيش لبرهة من الوقت مع ما أودع الله سبحانه في هذه اللمحات من خير كثير، لا نكاد نتصور اتساع مساحته، ولا يمكن أن نحرز جوائزه كلها بمجرد الصور الظاهرة التي نمثلها في أيامه ولياليه، ونودي بذلك ضريبة من العبودية! لا حاجة إليها لله تعالى وهو في غنى عنها بكل ما في هذه الكلمة من معنى.

ولكن الله سبحانه أرسى قواعد الشريعة الإسلامية على أساس من تنظيم دقيق للغاية، وجعل حياة الإنسان قائمة على ذلك البنيان المرصوص الذي وافق أهل الطبيعة الإنسانية الإيجابية وغطاهم ببَرد الإيمان واليقين، ولكن العائشين في الظروف المعاكسة التي تضاد الطبايع السليمة فإنهم حُرموا نعمة السعادة والعلو في هذه الدنيا، وتسفلوا إلى آخر درك من الكفر والبلادة، حتى كانت هناك فئة قامت بمحاربة الطبيعة الإنسانية السليمة، واستبدالها بالضلال والغفلة.

ولقد كان تخطيط شهر رمضان في كل عام جزءاً أكيداً من كمال الطبيعة الإنسانية السليمة إذ لا تكتمل بدون ذلك، دورة أفضلية الإنسان على الخلق كله، ولا يتخرج من مدرسة الإنسانية التي شيدها الله سبحانه لبناء الشخصية الإسلامية وأداء دورها في مجال العلم والمعرفة، حيث يستطيع أن يباشر الروابط التي تقرب العالم البشري إلى خالق هذا الكون الواسع الذي لا نهاية له، ويربط العبد بالمعبود الحقيقي برباط من الإيمان الخالص واليقين الصادق، فلا ينفك عنه للحظة واحدة في مسارات الحياة بجميع أنواعها، ولا يُغفله في خضم الحياة الدنيا مهما كانت الظروف.

هذا الشهر الفضيل يعد وسائل العيش مع الله في كل حين، ويتيح فرصاً سانحةً للتطلع إليه والتعرف معه من غير انقطاع أو نسيان، وإن

* مجلة البعث الإسلامي، عدد يونيو ٢٠١٩م.

تحريم الأكل والشرب والاستمتاع من لذات العيش في ساعات متتالية من نهار اليوم لن يتحقق إلا بتأكد المراقبة الإلهية في جميع أوقاته النهارية التي تمتد من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وبالتخطيط الكامل فيما بينهما من أوقات غالية لأداء ركعات غالية من التراويح والنوافل، وتنظيم الذكر، والتخلي مع الله تعالى يقظةً ونياماً، ثم الاستراحة وتهيئة النفس والروح لأداء الفريضة لمدة شهر كامل، إنما يتحقق للروح غذاء دَسِم يقوي الصائم على الاستمرارية في الاستمتاع من نفحات الرحمة والحب واللين مما لا يتوافر في غير الشهر الميمون المبارك، وهذا هو الغذاء الذي يتكفل لصاحبه بالجمع بين الروح والمادة على السواء، وبأداء واجبات الحياة فردية وجماعية بزاد نقي من الإخلاص والاتصال بمركز القوة الأصيل، والثقة الكاملة به في جميع الأحوال والمناسبات.

يقول الحافظ ابن كثير مبيناً منافع الصيام: "لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة"، ويزيد فيقول: "لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان".

وبالرغم مما بذل زعماء الحضارات المادية من جهود فاشلة، ووضعوا عوائق من كل نوع للحيلولة دون منافع الصيام بدليل أن هذا التدريب على منع الإنسان عن أداء مسئوليات الحياة والمجتمع بالحد على حاجاته الطبيعية الإنسانية الأساسية من الأكل والشرب وبفرض الجوع والعطش عليه من غير مبرر، يؤدي إلى إذابة الحياة وإماتة النشاط، والمنع عن كل تقدم حضاري واجتماعي ويهدد فناء العالم البشري في نهاية المطاف، ولكنهم رغماً من كل ما استطاعوا في سبيل إلغاء فرضية الصيام المنصوص عليه في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لم يتمكنوا من فرض مؤامرتهم الخسيسة، ومحاولاتهم الدنيئة ضد عبادة الصيام ومنافعه الاجتماعية والحضارية في المجتمعات المسلمة، بل تزايد صمود المسلمين على الاهتمام بشهر رمضان والانتفاع بصيامه ومنافعه الصحية والعقلية سواء في حالة السلم أو الحرب، أو في ظروف المجاعة والجفاف، ألم يكونوا يخرجون في دحض أعداء الإسلام في أيام رمضان في شدة الحر وفي ظل من الموت، فوقهم الشمس في غاية من الحرارة، وتحتهم الرمضاء والرمال الساخنة في غاية من السخونة.

إنها واقع تاريخي مسجل في كتب التاريخ قديماً وحديثاً، فكيف يمكن أن تمتنع الأمة عن أداء هذه الفريضة التي فرضها على الإنسان خالق الإنسان وصانع الكون والحياة والحضارات.

أما الطبقة المثقفة بالثقافات الغربية التي تنكر أهمية الصيام وتعتبره مشقةً يفرضها "رجال الدين" على المسلمين فهي في الحقيقة صنيع الاستعمار العدو الذي لا يترك فرصةً إلا وينتهزها لتشويه صورة الإسلام الناصعة، وهي خطة مدبرة ينفذها الأعداء في بلاد المسلمين ومجتمعاتهم عن طريق عملائهم وتلاميذهم البلداء الأشقياء ممن ليس لهم شأن في أي زمان ومكان.

يقول شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي في كتابه "حجة الله البالغة" وهو يتحدث عن أسرار الصوم: "والصوم حسنة عظيمة يقوي المَلَكية، ويضعف البهيمية، ولا شيئ مثله في صيقلة وجه الروح وقهر الطبيعة، ولذلك قال روايةً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال الله تعالى: "الصوم لي وأنا أجزي به"، ويكفر الخطايا بقدر ما اضمحل من سورة البهيمية ويحصل به تشبه عظيم بالملائكة فيحبونه".[1]

وقد جربت المجتمعات الإسلامية جميع تلك التجارب التي مر من خلالها البشر في تاريخه الطويل في العالم الحديث والقديم، ورأت كيف أن هذه الفلسفات وتلك الدعوات المادية فشلت في توفير الأمن والهدوء إلى الأرواح والأموال وتهيئة العدالة الاجتماعية والانسجام الفكري والعاطفي بين مختلف طبقات البشر والشعوب التي ذاقت مرارة الشقاء الذي شمل كل جزء من أجزاء الحياة، والتي عاشت خاوية القلب فارغة العواطف، بين ضجيج الماكينات وصخب الآلات وروتينات الأعمال، فلا نظام للأسرة، ولا علاقة بين الأولاد والوالدين وبين البنات والأمهات، ولا تربية من الآباء للأبناء، ولا مسئولية يشعرون بها نحو تعليم وتربية الأبناء والبنات الخلقية، بل كل واحد مشغول بنفسه يحلم بمستقبل لماع يختص بنفسه، مجرداً عن كل واجب إنساني ومسئولية اجتماعية أو أسرية، إنما هي الفوضى تعمل في الحياة الاجتماعية والفردية، والكل فيها حر طليق يمارس ما يشاء من الجرائم والشنائع ويبني ويهدم بوحي من النفعية

[1] حجة الله البالغة، ج ٢٢١/١، دار إحياء العلوم بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

الموهومة.

وأحست بمرارة هذا الشقاء بعض الحكومات المسلمة في الأقطار الإسلامية، فأقبلت على وضع نظام جديد للحياة وصوغ سلوكيات جديدة في ضوء الشريعة الإسلامية، وطالبت الجماعات الإسلامية، والمجالس الدينية بتحكيم الشريعة في الحياة، وتنفيذ الأحكام الإسلامية فيها.

فإذا كانت الأمة الإسلامية تستقبل الصيام بقلوب متفتحة وعقول واعية، وترى فيه ما يوفر لها بعض الطمأنينة والراحة من شقاء المادية التي تحيط بها من كل جانب، وإذا كانت تجد فيه شفاءً لآلامها وجروحها التي أصابتها في زحمة السباق المادي، فلا جرم أنها خاضعة للطبيعة التي أودعها الله فيها، وممثلة للفطرة التي فطرها الله عليها ولا تبديل لها في أي حال.

ولا بد من انتصار الروح على المادة وتغلب الفطرة على قوة العلم والصناعة وعلى الأشكال الواهية، ولا مناص من رجعة الإنسان إلى التعاليم السماوية فراراً عن التعاليم الوضعية المنهارة، وهنالك يتم الانتصار، ويستبشر المؤمنون: (بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ)، وذٰلِكَ هو ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

دعوني أتعلم
في مدرسة الصيام!*

كان الصيام فريضةً على أتباع الديانات السابقة ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عاشوراء، كما كان موضع عناية في بعض المجتمعات البشرية التي سبقت الإسلام، نتيجة شعور بأوهام وأحلام، وكان الصائم يؤدي نذوره دفعاً للأخطار المزعومة بواسطة الصوم متمكناً من عدد أيامه ومتخيراً، من غير تقييد بالوقت والزمان، فلما جاء الإسلام فرضه لمدة شهر كامل وفق التقويم الإسلامي بين شهري شعبان وشوال، وجعله ركناً مهماً من أركان الإسلام الأربعة، بعد شهادة التوحيد والرسالة، وأكده بالنص القطعي الذي تحويه سورة البقرة في الآية ١٨٥ (شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)، والصيام أحد أركان بناء الإسلام، أكده رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلن عن بنيته التحتية التي هي قاعدتها الأصيلة، ألا وهي الشهادة بالوحدانية والرسالة، والصيام ركنها الثالث الثابت الذي ليس فيه تحويل ولا تخفيف كما كان أصحاب بعض الديانات السابقة يفعلون حسب أهوائهم وأغراضهم.

جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان".

الصيام وإن كان معروفاً لدى أصحاب الديانات وفي المجموعات البشرية للحد على الرغبات والشهوات وبناء السد على متطلبات النفس الأمارة بالسوء، ولكنه كان علاجاً للأمراض الخلقية والأعراض الشريرة التي تحول دون التوصل إلى الغاية الأسمى التي أرادها الله سبحانه من خلق الجن والإنس، فقال: (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ. مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ. إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ).

* مجلة الوعي الإسلامي، عدد يوليو ٢٠١٧م.

وللصيام دور كبير في صيانة الاتزان بين جوانب الحياة المختلفة فلا تطغى نفسية الشر على طبيعة الخير، فيكون من السهل جداً أن يعيش المرء في وضع الاعتدال في الشئون كلها مادية كانت أم معنوية، ويذوق لذة الجوع والعطش رغم الثراء والغنى، ويتأكد بأن الله سبحانه إنما هو المعطي والمانع، وليس له خيار في التصرف فيما يملكه ما لم يأذن به الله سبحانه وتعالى، وبذلك تتعمق جذور الإيمان في قلبه ويمتزج اليقين بقدرة الله واتساعها بلحمه ودمه، كأن هذا الشهر الصيامي فترة تدريب للأمة الإسلامية على أداء واجبها بأحسن طريق، ومرحلة حاسمة لشحن بطارية الإيمان بالقوة والحرارة والإخلاص والثقة بوعد الله سبحانه وتعالى، وذلك أمر مهم إلى أقصى درجة في عالمنا المعاصر الذي تعيشه الأمة وهي بالغة في ضعفها وانحطاطها وتجردها عن طاقة الإيمان بالله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي عجزها عن الخضوع أمام الأوامر والنواهي مع الالتزام بآداب الحياة وفضائلها التي تساعد في عرض نموذج كامل لحياة الإنسان المسلم، بالغة في كل ذلك إلى آخر حد من الانحطاط.

ولكن مدرسة الصيام تعلم المرء أسلوب العيش بروح التكامل الاجتماعي في المجتمعات التي تستند إلى منهج كامل للدروس الإنسانية من غير تمييز بين الأفراد والجماعات، وما هي إلا درس العقيدة والإيمان بالله والرسول صلى الله عليه وسلم، ودرس الخضوع أمام القوة الخلاقة والسير على درب الحياة بالحب والمساواة والثقة الكاملة بأن الإنسان رغم جميع ما يملكه من وسائل الحكم والمال والغلبة ولكنه لا يستغني عن مد يده لطلب العون إلى ربه تبارك وتعالى والاستعانة منه في كثير من الأوقات، ويرى نفسه عاجزاً عن الوصول إلى كل ما يحتاج إليه من الرزق الذي يأتي إليه من الرزاق ذي القوة المتين، فقد يتوافر لديه ما يقويه ويعززه بالطاقة المطلوبة ولكنه لا يجد إلى ذلك سبيلاً (يَا أَيُّهَا ٱلإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ. ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ).

فطوبى لمن دخل عليه شهر الصيام وانتهز لمحاته المباركة للتوصل إلى الله تعالى مباشراً والمناجاة معه والالتجاء إليه، حتى توجهت رحمة الله فأصبح في كنفه وعاش مع الله تعالى، ووجد في نفسه طمأنينة الذكر والعبادة ونعمة العز والسعادة، واستبشر بالمغفرة وصفاء قلبه كالمرآة النيرة، ولقد جاء في كتب السنة ودواوينه الصحاح ما معناه أن الرجل المسلم الذي دخل عليه رمضان وانتهى ثم لم يُغفر له، فهو كالميت والهالك، وظل على ما كان عليه من التلوث المعيب ولم يستفد من المناداة التي أعلن عنها مناد من السماء مع دخول الشهر الفضيل فقال: "يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر اقصر"، وجاء فيما رواه البخاري وأكثر كتب الحديث الصحيحة (عن كعب بن عجرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحضروا المنبر فحضرنا، فلما ارتقى درجة قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: آمين، فلما الدرجة الثالثة قال: آمين، فلما نزل قلنا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه، قال: إن جبرئيل عرض لي فقال: بعد من أدرك رمضان فلم يُغفر له، قلت: آمين، فلما رقيت الثانية قال: بعد من ذُكرت عنده فلم يصل عليك فقلت: آمين، فلما رقيت الثالثة قال: بعد من أدرك أبويه الكبر أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، قلت: آمين).

إنها أمور ثلاثة ذات أهمية قصوى أمر الله سبحانه وتعالى ببلاغها إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم لكي لا يكون هناك نقص في حياة الإنسان المسلم من خلال جائزة الرحمة والمغفرة من الله تعالى التي يوزعها في مدرسة الصيام يوم نهايته، وجائزة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلما ذُكر اسمه، وجائزة الدعاء للأبوين وقضاء حوائجهما وخدمتهما أيام الشيخوخة والكبر لأحدهما أو كليهما، فإذا تأملنا تبين لنا أن هذه الجوانب المهمة من كوامل الإيمان وشروط المثالية التي تتحلى بها حياة المسلم، وفيها ما يحل الدرجة الأولى إنما هي في الصيام في شهر رمضان، وهي مغفرة الذنوب التي طالما يرتكبها المرء المسلم بشعور أو من غير شعور، وكذلك الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام من أهم المهمات من قبيل أداء الشكر على نعمة الإسلام والإيمان التي أدركها من طريق رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم ومن خلال تحمله المشاق التي قلما يحملها الجبال، (وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ)، أما خدمة الوالدين والخضوع أمامهما لأداء واجب الشكر، فإن مدرسة الصيام يمهد لنا الطريق للتوصل إلى رضا الوالدين وشكر النعمة

التي أنعم الله سبحانه بهما عليه ضمن الدعوات التي يدعو بها ربه تعالى في جوف ليالي هذا الشهر الكريم.

إن المتأمل في منهج هذه المدرسة الشهرية التي تقام لمدة شهر واحد في كل عام ليجد أنها تمهد الطريق إلى الاتصال بالله اتصالاً مباشراً وثيقاً لا يحول دونه شيئ من مهمات الحياة رغم أن طلاب مدرسة الصيام لا يجتمعون على مائدة الأكل والشرب طول النهار بدءاً من الفجر إلى غروب الشمس، ولكنهم يتقوون على العبادة والإنابة والذكر والدعاء والإنابة وتلاوة كتاب الله تعالى والتأمل في معاني الآيات ومفاهيمه، إنهم يوفقون لكل ذلك من خلال القوة التي توفرها لهم مدرسة الصيام، وطالما تبتدئ هذه المدرسة في أيام القيظ والحر والصيف، وقد يصعب على النفس أن تعيش بدون كمية من الأكل والشرب، ولكنها لا تكل ولا تسأم، وإنما تلمس قوة ومناعة، وترفض كل ما يتمثل أمامه من نقاهة وأثر من عدم الصبر على الجوع والعطش، فور ما يتفكر فيما جاء في أول خطبة للرسول صلى الله عليه وسلم ألقاها في آخر يوم من شعبان، وتضمنت بشارات عظيمة، (يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تَطَوُّعًا، من تقرب فيه بخصلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه، كان كمن أدى سبعين فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد في رزق فيه، من فطر فيه صائمًا كان مغفرةً لذنوبه، وعتقَ رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن يُنقص من أجره شيئٌ).

هذه هي المدرسة التي يتنافس فيها طلابها في صالح الأعمال والبر والإحسان (فإن الله تعالى ينظر إلى تنافسكم ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً) وهل يمكن أن يتقدم الإنسان بأحسن أعماله إلى الله تبارك وتعالى من أن ينجز العمل بروح من السباق، فيتسابق غيره في تحسين عمله وشحنه بالإخلاص لله تعالى، والواقع الذي لا ينال رفضاً أو إنكاراً أن نسبة الإخلاص والورع تتوافر في الصيام ما لا يوجد في الأيام الآخر، بل الواقع أن الصيام عبادة تخلو من الرياء والتظاهر بالفخر والمباهاة بالكلية، ولذلك قال الله تعالى في الحديث القدسي:

(الصيام لي وأنا أجزي به).

هذه هي المدرسة الوحيدة التي تزكي النفوس من الأخلاق والأخلاط الرذيلة وتستمر في تطهير حياة الصائم إلى مدة شهر كامل، وهي مدة تكفي لاقتلاع الجرثومة الفاسدة التي تسربت إلى النفس من غير شعور، ومن خلال الغفلة التي يعيشها جمع من الناس، فإذا بها تقوم بتزكية القلوب وتطهير الحياة من الأفكار والأخلاط الفاسدة، وقد قامت هذه المدرسة بسدّ مسالك الأهواء المغرضة ومنعها عن الدخول إلى النفوس البشرية، مثل ما يُرى اليوم من آثار الفساد المنوعة التي تعمل في هدم كيان الحياة الاجتماعية والدينية من التخويف والتهديد والإرهاب وما أشبه ذلك.

وفي هذا الشهر أنزل القرآن (هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ)، إن الله سبحانه وتعالى يمدح شهر الصيام حيث إنه اختار هذا الشهر من بين الشهور الأخرى لإنزال القرآن الكريم واختصه بالقرآن، وقد ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن شهر الصيام هذا هو الشهر الذي كانت تنزل فيه الكتب الإلهية على الأنبياء، فأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الله تعالى القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان (رواه أحمد).

وكذلك تتضاعف الأجور للأعمال التي ينجزها الصائم في هذا الشهر، الذي أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار.

هذا غيض من فيض شهر الصيام، مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو بحر لا ساحل له ولكننا ما أردنا إلا الإشارة فحسب لكل من يريد أن يلتحق بهذه المدرسة الربانية.

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل).

الدعوة الإبراهيمية

الإمامة، ورفع قواعد البيت وتطهيره! (١)*

من عجيب حكمة الله تعالى في الإنسان أنه أكرمه بالعلم وأدواته لكي يتميز عن غيره من الخلق الذي سخره لخدمته وتوثيق صلته بالخلاق العظيم، وربط مصيره بمنهج الحياة الذي أنزله خلال الرسالات السماوية التي تولت تربية العالم البشري عن طريق عباده المصطفين من الأنبياء والرسل من خلق آدم ونوح وإبراهيم إلى خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأنه كان بألح حاجة إلى تفهم معنى ذلك المنهج الذي يتناوله بالهداية إلى الصراط المستقيم الذي أمر الله تعالى عباده المؤمنين باتباعه وبالسير على درب الإيمان واليقين وبالتالي بالتفقه في الدين. حتى يتسنى له الاتصال بالرب تبارك وتعالى وإدراك دلالاته في حياة تلك الطائفة التي نفرت في سبيل العلم والفقه والبصيرة وتبوأت منصب الإنذار ثم الدلالة على معاني العبودية الكاملة الخالصة لله تعالى، ودعوة الناس إلى اتخاذ هذه المعاني التي تشرح غاية خلق الإنسان في أحسن تقويم والقيام به نحو تحقيق ذلك بالعمل الصالح، وأداء ضريبة الفقه الذي يتفرد به بين جميع المخلوقات، ولذلك فإن القرآن الكريم يوضح نهج المؤمنين من عباده للتدبر في آياته والتفقه في الدين، (وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة: ١٢٢).

ونظراً إلى أفضلية خلق الإنسان وأهميته في بناء التركيبة الحضارية الإيمانية الشاملة الكاملة، وجّه الله تعالى إلى هذا الإنسان مسئولية البحث عن دعائم أربع، يقوم عليها بناء العقيدة والإيمان، ويرتفع عليها صرح التفقه في الدين شامخاً رفيعاً متيناً، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان" (رواه البخاري).

* مجلة البعث الاسلامي، عدد ديسمبر ٢٠١٤م.

ذلك هو في الواقع أساس الدعوة الإبراهيمية التي شملت الحياة والكون والإنسان من جميع النواحي، وقد ابتلى الله تعالى أبا الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام بكلمات من الأوامر والنواهي وإقامة عقيدة التوحيد ومحاربة الشرك، ومقاطعة المشركين والمشتغلين بصناعة الأصنام ونحت الأوثان من الحجارة والأخشاب، وقيل : ابتلاه بالطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والإفاضة، قاله ابن عباس رضي الله عنه، فلما نجح في رفع راية التوحيد الخالص بين أوساط الشرك والوثنية، جعله الله تعالى إماماً جزاءً على ما فعل، يقول الله تعالى في سورة البقرة: (وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ) وكان من الطبيعي أن يمتد منصب الإمامة إلى ذريته فأبدى رغبته في ذلك، ولكن الله تعالى أبى أن يكرم الظالمين بعهده إذا كانوا قد انحرف بهم الطريق عن عقيدة التوحيد الخالص، بوضع طاقاتهم في غير محلها وبالفسوق والعصيان لأوامر الله، وهم اليهود الظالمون ممن كانوا ينتمون إلى جدهم إبراهيم نسباً ولكنهم كانوا منحرفين عن طريقه وبعيدين عن جادة العدل، في شأن التوحيد والإيمان واليقين وإن كانوا يدّعون بالإسلام كذباً وافتراءً، لذلك فإن الله تعالى رفض بكل صراحة أن يكون للظالمين نصيب من الإمامة والقيادة.

إن تاريخ بيت الله وإحياء رسالته في مجال ترسيخ عقيدة التوحيد الخالص في النفوس والقضاء على الوثنيات المنتشرة يوم ذاك، يبتدئ من جديد على يد سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي رفع راية التوحيد وقام بمحاربة الشرك واستئصال جذوره من الأعماق بإذن من الله تعالى. وقد تحدث الله سبحانه عن هذا الواقع الذي كان نتيجة لملة إبراهيم وسبباً لوجود الأمة المسلمة من ذريته، وانتشارها في العالم البشري من خلال رسالة الإسلام ودعوته التي حملها خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، الذي بعثه الله تعالى بالدين الكامل ونعمة الإسلام الخالدة الباقية النامية إلى يوم الدين، فكانت شريعة الإسلام منهجاً دائماً للحياة والإنسان في جميع أنحاء العالم تتفق طبيعته مع طبيعة البشر بوصف دائم عام، رغم اختلاف المجتمعات البشرية وأحوالها وظروفها، ولنقرأ الآن آيات تشير إلى تاريخ بناء البيت من جديد، وتوجيه طلب إلى الله تعالى للبعثة المحمدية الدائمة الشاملة، التي تعرف بملة إبراهيم: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ

ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ، رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ، وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ، رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ، إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ، وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ، وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَاهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي ٱلآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ) (البقرة: ١٢٧ – ١٣٠).

كل ذلك كان بقرار سماوي وتقدير إلهي، لا لصالح الإنسان وسعادته وحده وإنما كان نظاماً محكماً دقيقاً لبقاء هذا الكون وما فيه من حياة وآيات، فالبيت الذي رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كان محوراً محكماً دقيقاً تدور حوله الكائنات كلها بصفة دائمة، والطواف حول البيت يرمز إلى دوران الكون وكل ما فيه، حول أوامر الله ونواهيه، فكان مباركاً وهدى للعالمين، وفيه دلالات واضحة على أن حياة الإنسان لا يكتمل غناؤها إلا بوضع الجوارح والعواطف، والجسم والروح، والعقل والقلب، كل ذلك في الخضوع أمام أوامر الله تعالى والطاعة الكاملة للشريعة التي أنزلها إليه عن طريق نبينا الذي ختم به الرسالة وجعله مثالاً أكمل من جميع النواحي للعالم البشري أجمع، وكل ما فيه من شئون ونشاط وحياة وتحركات، ومن حضارة واجتماع وأخلاق وسلوكيات تستوحي من حياة الرسول الأعظم الكريم صلى الله عليه وسلم الذي أثرى حضارة الإسلام الشاملة بتوجيهات سماوية في كل منحى من المناحي، وذلك بتأثير الدعوة الإبراهيمية التي عمت المعمورة كلها وأقامت ميزان الحق والعدل وأزهقت أهل الباطل ممن كانوا مغترين بالزخارف والذخائر المادية، معرضين عن تجارة رابحة دلّ عليها الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين (يأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) (الصف: ١٠ – ١١).

وتمت هذه الصفقة ليلة العقبة مع عبد الله بن رواحة الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: اشترط لربك ولنفسك ما شئت؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً" و "اشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم" قال: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: "الجنة" وهنالك أعلن ابن رواحة ومن معه "ربح

البيع ولا نقيل ولا نستقيل" (نقلاً من ظلال القرآن لسيد قطب في تفسير سورة الصف).

ولا يخفى دور إبراهيم ودعوته والبيت الذي تولى رفعه هو وابنه العزيز إسماعيل (عليهما السلام) بأمر من ربهما، وكذلك كل من عظم البيت، ورفع شأنه وذلّل الصعوبات دون وصول الناس إليه، والطواف حوله، وقد سجّل التاريخ بمداد من نور جميع تلك الوسائل والمجهودات والقبائل والحكومات والجماعات التي نال بيت الله في البلد الأمين تعظيمها وإلباسها كسوة العز والشرف باعتبارها البيت الوحيد في عالم الكون الذي أمر الله سبحانه ببنائه ورفع شأنه ودعوة الناس إلى حج البيت والطواف والسعي، يقول الله تعالى: (إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ١٥٨). ونحن في العصر الراهن نشاهد تركيز المملكة العربية السعودية على تعظيم بيت الله وتسهيل حجه، وتيسير الطرق والمواصلات من جميع أنحاء المعمورة للوصول إلى بلد الله الأمين وأداء هذا الركن العظيم بجميع شعائره وأداء مناسكه في المشاعر بتوفير التسهيلات وأسباب الراحة والطمأنينة حتى يتمكن الحجيج من التفرغ لأداء هذه العبادة الجليلة بغاية من الهدوء والأمن والسلام.

ثم الشكر العظيم لله تعالى ولخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود (حفظه الله تعالى) وجميع أركان الحكومة على ما قاموا به من توفير خدمات لحجاج بيت الله الحرام وزوار مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد بلغ عددهم اليوم أكثر من ثلاثة ملايين حاج جاؤوا من أرجاء العالم كلها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وما تيسر ذلك لو لا عناية الله سبحانه بهذا الركن العظيم، الذي تكتمل به الشخصية الإسلامية ويرتفع به صرح الإسلام عالياً، وما ذلك إلا بتوفيق من الله سبحانه لعباده المؤمنين.

(ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ) (الحج: ٣٢).

ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ، رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ، وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ، رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ، إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ، وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ، وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَاهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي ٱلآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ) (البقرة: ١٢٧ – ١٣٠).

كل ذلك كان بقرار سماوي وتقدير إلهي، لا لصالح الإنسان وسعادته وحده وإنما كان نظاماً محكماً دقيقاً لبقاء هذا الكون وما فيه من حياة وآيات، فالبيت الذي رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كان محوراً محكماً دقيقاً تدور حوله الكائنات كلها بصفة دائمة، والطواف حول البيت يرمز إلى دوران الكون وكل ما فيه، حول أوامر الله ونواهيه، فكان مباركاً وهدى للعالمين، وفيه دلالات واضحة على أن حياة الإنسان لا يكتمل غناؤها إلا بوضع الجوارح والعواطف، والجسم والروح، والعقل والقلب، كل ذلك في الخضوع أمام أوامر الله تعالى والطاعة الكاملة للشريعة التي أنزلها إليه عن طريق نبينا الذي ختم به الرسالة وجعله مثالاً أكمل من جميع النواحي للعالم البشري أجمع، وكل ما فيه من شئون ونشاط وحياة وتحركات، ومن حضارة واجتماع وأخلاق وسلوكيات تستوحي من حياة الرسول الأعظم الكريم صلى الله عليه وسلم الذي أثرى حضارة الإسلام الشاملة بتوجيهات سماوية في كل منحى من المناحي، وذلك بتأثير الدعوة الإبراهيمية التي عمت المعمورة كلها وأقامت ميزان الحق والعدل وأزهقت أهل الباطل ممن كانوا مغترين بالزخارف والذخائر المادية، معرضين عن تجارة رابحة دلّ عليها الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين (يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) (الصف: ١٠ – ١١).

وتمت هذه الصفقة ليلة العقبة مع عبد الله بن رواحة الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: اشترط لربك ولنفسك ما شئت؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً" و "اشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم" قال: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: "الجنة" وهنالك أعلن ابن رواحة ومن معه "ربح

البيع ولا نقيل ولا نستقيل" (نقلاً من ظلال القرآن لسيد قطب في تفسير سورة الصف).

ولا يخفى دور إبراهيم ودعوته والبيت الذي تولى رفعه هو وابنه العزيز إسماعيل (عليهما السلام) بأمر من ربهما، وكذلك كل من عظّم البيت، ورفع شأنه وذلّل الصعوبات دون وصول الناس إليه، والطواف حوله، وقد سجّل التاريخ بمداد من نور جميع تلك الوسائل والمجهودات والقبائل والحكومات والجماعات التي نال بيت الله في البلد الأمين تعظيمها وإلباسها كسوة العز والشرف باعتبارها البيت الوحيد في عالم الكون الذي أمر الله سبحانه ببنائه ورفع شأنه ودعوة الناس إلى حج البيت والطواف والسعي، يقول الله تعالى: (إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ١٥٨). ونحن في العصر الراهن نشاهد تركيز المملكة العربية السعودية على تعظيم بيت الله وتسهيل حجه، وتيسير الطرق والمواصلات من جميع أنحاء المعمورة للوصول إلى بلد الله الأمين وأداء هذا الركن العظيم بجميع شعائره وأداء مناسكه في المشاعر بتوفير التسهيلات وأسباب الراحة والطمأنينة حتى يتمكن الحجيج من التفرغ لأداء هذه العبادة الجليلة بغاية من الهدوء والأمن والسلام.

ثم الشكر العظيم لله تعالى ولخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود (حفظه الله تعالى) وجميع أركان الحكومة على ما قاموا به من توفير خدمات لحجاج بيت الله الحرام وزوار مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد بلغ عددهم اليوم أكثر من ثلاثة ملايين حاج جاؤوا من أرجاء العالم كلها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وما تيسر ذلك لو لا عناية الله سبحانه بهذا الركن العظيم، الذي تكتمل به الشخصية الإسلامية ويرتفع به صرح الإسلام عالياً، وما ذلك إلا بتوفيق من الله سبحانه لعباده المؤمنين.

(ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ) (الحج: ٣٢).

الدعوة الإبراهيمية

الإمامة، ورفع قواعد البيت وتطهيره!* (٢)

أكد الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه فقال: (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ)، فكانت هذه العبادة عامةً في كل شأن من شئون الحياة، ولم تخص بشكل منفرد وطريقة خاصة، فإذا عاش أي واحد من هذين الجنسين بإخلاص للخالق العظيم وعاش للعبادة بجميع أشكالها وألوانها في حياته الخاصة والعامة، وفي شئون المعاش والتجارة وفي مجالات التعليم والتربية، وفي المسجد والسوق، فلا ريب أنه أدى حق العبادة في ضوء تعاليم الكتاب والسنة.

ومما سجّله التاريخ أن الحياة التي عاشها الناس قبل مجيئ سيدنا إبراهيم عليه السلام إنما كانت حافلة بأشكال متعددة من الشرك والوثنيات، وكانت المجتمعات البشرية والمجموعات الإنسانية بكاملها ذات انهماك بالصور الشركية، وكانت أسرة إبراهيم عليه السلام مشغولة بنشر عبادة الأصنام والأوثان، وتجارة أدوات الشرك بنحت التماثيل وصناعة الأصنام وتجميلها بالألوان والأصباغ المزركشة الجذابة.

وفي خلال ذلك وغضون الوثنيات والصنميات نشأ إبراهيم عليه السلام ولكن طبيعته السليمة أبت، واستنكرت فطرة التوحيد والإسلام التي أودعها الله سبحانه في نفسه أن ينضم إلى أسرة أبيه آزر فقال له: (أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّيۤ أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)، ومن ثم اقتنع بالتوجه إلى الله تعالى، وأعلن مدوياً مجلجلاً: (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ حَنِيفاً وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)، وكان قد بحث عن الرب تعالى، ورأى كوكباً فقال هذا ربي ... ثم رأى القمر والشمس وظن أنهما يمثلان دور الرب، ولكن كل التجارب فشلت في نيل مراده وتحقيق فطرة التوحيد التي فطر عليها، وذلك ما صرّح به الله سبحانه وتعالى فقال: (وَلَقَدْ آتَيْنَآ إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ).

* مجلة البعث الإسلامي، عدد سبتمبر ٢٠١٨م.

وبذلك أفاض الله تعالى على عبده ونبيه إبراهيم عليه السلام نعمة الإيمان وإقامة عقيدة التوحيد ومحاربة الشرك، وابتلاه بكلمات من الأوامر والنواهي والدعوة إلى الله تعالى ومقاطعة الشرك والمشركين والمشتغلين بصناعة الأصنام ونحت الأوثان من الحجارة والأخشاب، وقيل: ابتلاه بالطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والإفاضة، قاله ابن عباس رضي الله عنه، فلما نجح في رفع راية التوحيد الخالص بين أوساط الشرك والوثنية، جعله الله تعالى إماماً جزاءً على ما فعل، يقول الله تعالى في سورة البقرة: (وَإِذِ ٱبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ) وكان من الطبيعي أن يمتد منصب الإمامة إلى ذريته فأبدى رغبته في ذلك، ولكن الله تعالى أبى أن يكرم الظالمين بعهده إذا كانوا قد انحرف بهم الطريق عن عقيدة التوحيد الخالص، بوضع طاقاتهم في غير محلها وبالفسوق والعصيان لأوامر الله، وهم اليهود الظالمون ممن كانوا ينتمون إلى جدهم إبراهيم نسباً ولكنهم كانوا منحرفين عن طريقه وبعيدين عن جادة العدل، في شأن التوحيد والإيمان واليقين وإن كانوا يدّعون بالإسلام كذباً وافتراءً، لذلك فإن الله تعالى رفض بكل صراحة أن يكون للظالمين نصيب من الإمامة والقيادة.

إن تاريخ بيت الله وإحياء رسالته في مجال ترسيخ عقيدة التوحيد الخالص في النفوس والقضاء على الوثنيات المنتشرة يوم ذاك، يبتدئ من جديد على يد سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي رفع راية التوحيد وقام بمحاربة الشرك واستئصال جذوره من الأعماق بإذن من الله تعالى. وقد تحدث الله سبحانه عن هذا الواقع الذي كان نتيجة لملة إبراهيم وسبباً لوجود الأمة المسلمة من ذريته، وانتشارها في العالم البشري من خلال رسالة الإسلام ودعوته التي حملها خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، الذي بعثه الله تعالى بالدين الكامل ونعمة الإسلام الخالدة الباقية النامية إلى يوم الدين، فكانت شريعة الإسلام منهجاً دائماً للحياة والإنسان في جميع أنحاء العالم تتفق طبيعته مع طبيعة البشر بوصف دائم عام، رغم اختلاف المجتمعات البشرية وأحوالها وظروفها، ولنقرأ الآن آيات تشير إلى تاريخ بناء البيت من جديد، وتوجيه طلب إلى الله تعالى

للبعثة المحمدية الدائمة الشاملة، التي تعرف بملة إبراهيم: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ، رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ، وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ، رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ، إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ، وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ، وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَاهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي ٱلآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ) (البقرة: ١٢٧ – ١٣٠).

كل ذلك كان بقرار سماوي وتقدير إلهي، لا لصالح الإنسان وسعادته وحده، وإنما كان نظاماً محكماً دقيقاً لبقاء هذا الكون وما فيه من حياة وآيات، فالبيت الذي رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كان محوراً محكماً دقيقاً تدور حوله الكائنات كلها بصفة دائمة، والطواف حول البيت يرمز إلى دوران الكون وكل ما فيه، حول أوامر الله ونواهيه، فكان مباركاً وهدى للعالمين، وفيه دلالات واضحة على أن حياة الإنسان لا يكتمل غناؤها إلا بوضع الجوارح والعواطف، والجسم والروح، والعقل والقلب، كل ذلك في الخضوع أمام أوامر الله تعالى والطاعة الكاملة للشريعة التي أنزلها إليه عن طريق نبينا الذي ختم به الرسالة وجعله مثالاً أكمل من جميع النواحي للعالم البشري أجمع، وكل ما فيه من شئون ونشاط وحياة وتحركات، ومن حضارة واجتماع وأخلاق وسلوكيات تستوحي من حياة الرسول الأعظم الكريم صلى الله عليه وسلم، الذي أثرى حضارة الإسلام الشاملة بتوجيهات سماوية في كل منحى من المناحي، وذلك بتأثير الدعوة الإبراهيمية التي عمت المعمورة كلها وأقامت ميزان الحق والعدل وأزهقت أهل الباطل ممن كانوا مغترين بالزخارف والذخائر المادية، معرضين عن تجارة رابحة دلّ عليها الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين (يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) (الصف: ١٠ – ١١).

وتمت هذه الصفقة ليلة العقبة مع عبد الله بن رواحة الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: اشترط لربك ولنفسك ما شئت؟ فقال

صلى الله عليه وسلم "اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً" و "اشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم" قال: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟، قال: "الجنة" وهنالك أعلن ابن رواحة ومن معه "ربح البيع ولا نقيل ولا نستقيل" (نقلاً من ظلال القرآن لسيد قطب في تفسير سورة الصف).

ولا يخفى دور إبراهيم ودعوته والبيت الذي تولى رفعه هو وابنه العزيز إسماعيل (عليهما السلام) بأمر من ربهما، وكذلك كل من عظم البيت، ورفع شأنه وذلّل الصعوبات دون وصول الناس إليه، والطواف حوله، وقد سجّل التاريخ بمداد من نور جميع تلك الوسائل والمجهودات والقبائل والحكومات والجماعات التي نال بيت الله في البلد الأمين تعظيمها وإلباسها كسوة العز والشرف باعتبارها البيت الوحيد في عالم الكون الذي أمر الله سبحانه ببنائه ورفع شأنه ودعوة الناس إلى حج البيت والطواف والسعي، يقول الله تعالى: (إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ١٥٨).

ونحن في العصر الراهن نشاهد تركيز المملكة العربية السعودية على تعظيم بيت الله وتسهيل حجه، وتيسير الطرق والمواصلات من جميع أنحاء المعمورة للوصول إلى بلد الله الأمين وأداء هذا الركن العظيم بجميع شعائره وأداء مناسكه في المشاعر بتوفير التسهيلات وأسباب الراحة والطمأنينة، حتى يتمكن الحجيج من التفرغ لأداء هذه العبادة الجليلة بغاية من الهدوء والأمن والسلام، وقد بلغ عددهم اليوم أكثر من ثلاثة ملايين حاج جاؤوا من أرجاء العالم كلها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وما تيسر ذلك لو لا عناية الله سبحانه بهذا الركن العظيم، الذي تكتمل به الشخصية الإسلامية ويرتفع به صرح الإسلام عالياً، وما ذلك إلا بتوفيق من الله سبحانه لعباده المؤمنين.

(ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَآئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ) (الحج: ٣٢).

فهرس الكتاب

المقدمة ٤
كلمة عن الكتاب ٧

الباب الأول
نواميس الكون وبناء الإنسان

الإنسان ونواميس الكون! ١٥
دور أمانة الدين في بناء الإنسان! ١٩
أفضل الخلق، يحمل الأمانة! ٢٣
تطورات عملية لبناء الإنسان! ٢٧
كَلاَّ، إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ! ٣٢
جناية المدنية المتطورة على الإنسان والإنسانية! ٣٧
لماذا أصبح الإنسان رخيصاً ومتاع الدنيا غالياً؟ ٤١
واقع العالم البشري بين تاريخه القديم والحديث! ٤٥

الباب الثاني
غارات شعواء
على الإسلام وحضارته البناءة

أولياء الطاغوت والإفساد في الأرض! ٥١
المسلمون مستهدفون قديماً وحديثاً! ٥٥
هل نحن على أبواب حرب عالمية ثالثة؟! ٥٩
إعدادات هائلة للقضاء على الأمة! ٦٣
تهديدات للعودة بالعالم الإسلامي إلى عصر الحجارة! وهدم الكعبة ٦٧
سؤال يتطلب الجواب! ٧١
المسلمون بين الأمس واليوم! ٧٥
أسواق السلاح العالمية ليست علاجاً! ٨٠
ما أشبه الليلة بالبارحة! بين الحوثية والأبرهية ٨٥

الباب الثالث
الإسلام هو الحل الوحيد
للخروج من الأزمات

شجرة إيمانية لا شرقية – ولا غربية! ٩١
أبشروا بنعمة الكمال والخلود! ٩٦
الإسلام فطرة الله التي فطر الناس عليها! ١٠٠
الدين الكامل نعمة لا تساويها نعمة! ١٠٤
دور العلم والإيمان الوحيد في وجه الطغيان العنيد ١٠٩
دور اللفظ والمعنى في مجال التعليم والتربية! ١١٤
ألم يأن للغرب أن يقتنع بالإسلام؟! ١١٨
ألم يأن للغرب المريض أن يدرك معنى "حرية الرأي"؟! ١٢٢
فلسفة الغرب المادية تُعلن إخفاقها! ١٢٦
يا لفشل الغرب في سد موجة الإسلام! ١٣٠
ما هي العوائق عن تمثيل الإسلام الصحيح؟ ١٣٤
أمة الكلمة بحاجة إلى وحدة الكلمة! ١٣٧
مزاملة العلم والصناعة مع الذكر والإنابة ١٤١
دور الأمهات في بناء المجتمعات بمناسبة (يوم الأم العالمي) ١٤٥
جيل الشباب، بين السلب والإيجاب! ١٤٩

الباب الرابع
دعائم اليقظة الإسلامية

ميزة شهر المحرم، قبل الإسلام وبعده! ١٥٥
تحية إلى رسول الرحمة والسلام صلى الله عليه وسلم ١٥٨
أزهار الربيع كيف ينبغي أن نجنيها! ١٦٣
قصة الإسراء والمعراج والمسجد الأقصى والقدس بين الأمس واليوم ١٦٨
شهر رمضان الكريم، كيف نعيشه! ١٧٣
دعوني أتعلم في مدرسة الصيام! ١٧٧
الدعوة الإبراهيمية الإمامة، ورفع قواعد البيت وتطهيره! (١) ١٨٢
الدعوة الإبراهيمية الإمامة، ورفع قواعد البيت وتطهيره! (٢) ١٨٦

هذا الكتاب

"معلوم أن الإنسان هو المحور الوحيد الذي تدور حوله الكائنات، وما خلقها الله سبحانه إلا للإنسان بوجه خاص، وما جعلها الله تعالى دار امتحان إلا للإنسان الذي فضله على جميع الخلق، نستطيع أن نعرف أن أصحاب العلم والمعرفة ورجال الفكر والدعوة، كلهم قاموا بأداء واجبهم نحو توجيه المجتمعات الإنسانية إلى الوجهة الصحيحة المطلوبة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى عن طريق عباده المرسلين، وكان ختم الرسالات السماوية بخاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،وأصبحت رسالته ودعوته هما المرتكز الأساسي لبناء الإنسان من جميع النواحي، وكل نوع من أنواع المجتمعات البشرية رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، سادةً وخَدَمةً، وأساتذةً وتلاميذ، شعوباً وقبائل، فعادت المسئولية العملية على الجميع، كما قد صرح بذلك رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم راع وهو مسئول عن مال سيده ، فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته

إن هذه المجموعة الكلامية من هذا الكتاب وإن كانت تتوزع بين عناوين مختلفة وأسماء متعددة، أتمنى أن تجتمع على نقطة واحدة، وهي الدعوة إلى الله تعالى والتفكير فيما أنعم الله به علينا من مسئولية النصح والدعوة إلى الخير، فإن الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"

سعيد الأعظمي الندوي

مدير ندوة العلماء (الهند)

DESIGNED BY SAAD NADWI (HAMDAM MALEGAON, M.S.) ✆ 9860448703